

دراسات في الفكر القومي العربي (١)

المراسلات المتبادلة

بين

الشريف الحسين بن علي وال Ottomans

١٩١٨-١٩٠٨

دراسة تحليلية

تأليف

الدكتور كنیب سعود الفوارز

١٩٩٧

المراسلات المتبادلة

بين

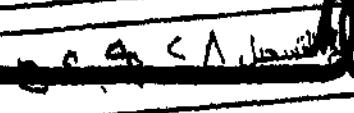
الشريف حسين والعثمانيين

١٩٠٨ - ١٩١٨

دراسة قطاعية

المؤلف

خليفة سعید الفوارز



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
١٩٩٧/٥٢٦)

رقم التصنيف : ٩٥٣

المؤلف ومن هو في سنته : **الشيخ محمود الفراز**

عنوان الكتاب : **الدراسات المعاصرة بين المغرب
حسن والعالم العربي ١٩١٨-١٩٥٩**
الموضوع الرئيسي : ١ - **الكتاب** و**النشر** **الاسلام**
٢ - **التطور** **العربي** **الاسلامي** **المغرب**
حسن

رقم الإيداع : (١٩٩٧/٥٢٦)

بيانات النسخة :

* - تم إعداد بيانات المهرسة الأذنية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الأهمية

في حياة الإنسان لحظات مختلط فيها مشاعر الحزن العميق والفرح الصادق وتلك معادلة لا يدركها إلا من عاشها ، وفي أحدي تلك اللحظات الصادقة مع كل ما تحمله من مشاعر يصعب على الإنسان تحملها ، أدركت بأنني قد حققت قسم والدي المرحوم سعود الفواز وبنفس اللحظة تمنت لو كان شقيقي المرحوم حماده الفواز على قيد الحياة ليرى نتيجة جهده . فوالدي قد أقسم بأن يوصلني إلى أعلى مراتب العلم وشقيقه تعهد ب毅افاء القسم والأخذ بيدي ، فالي روح من أقسم والي روح من أكمل المشوار . ٠٠٠ إلى تلك الأمواج الظاهرة المؤمنة التي كافتت بالجهد وصدق الكلمة ، أقدم هذا الجهد المتواضع عرفاً بحمل الأبوة والأخوة الصادقة .

الباحث

كليل سعود الفواز

المحتويات

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
	المقدمة :
١٣-٧	الفصل الاول : العثمانيين وشراطه مكة حتى تولية الشريف
٥٥-١٧	حسين عام ١٩٠٨
٢٢-١٨	١ - أقليم الحجاز وشرفه مكة
٥٥-٢٣	٢ - العثمانيين ولصب الشرافة قبيل عام ١٩٠٨
	الفصل الثاني : المراسلات الشريفية - العثمانية ١٩٠٨ - ١٩١٤
٦٨-٦٠	١ - الحسين بن علي حتى توليه الشرافة
٧٤-٦٩	٢ - أمارة الشريف حسين على مكة
٨٩-٧٥	٣ - الحجاز بين الحسين والاتحاديين
١٠٤-٩٠	٤ - تدهور العلاقات بين الاتحاديين والشريف حسين
١٥٤-١٠٧	الفصل الثالث : المراسلات الشريفية حتى اعلان الثورة العربية عام ١٩١٦
١١٤-١٠٨	١ - الحسين وبخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى
١٢٥-١١٥	٢ - الحسين بين اعلان الجهاد وحملة القناة الاولى
١٣٣-١٢٦	٣ - المراسلات بعد فشل حملة القناة الاولى
١٥٤-١٣٤	٤ - الحسين بين الضغوط العثمانية والمطالب الوطنية
	الفصل الرابع : المراسلات الحجازية - العثمانية لبيان الثورة
١٩٨-١٥٧	العربية ١٩١٦-١٩١٨
١٦٨-١٥٨	١ - اسباب الثورة واهدافها من خلال المراسلات بين الجانبين
١٨١-١٦٩	٢ - الاتحاديون والثورة العربية
١٩٨-١٨٢	٣ - مراسلات الصلح العثماني - الحجازي وانتهاء عمليات الثورة العربية

الفصل الخامس : طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين

٢٤٠-٢٠٢ والعثمانيين وتطورها ١٩١٨-١٩٠٨
٢٢٩-٢٠٢	أولا - صيغ المراسلات وتطورها
٢٢٢-٢٠٢	١ - المراسلات المباشرة
٢١٤-٢٠٢	أ - المراسلات في الحالات الاعتيادية
٢٠٢	الفرامانات
٢١٠	المراسلات المتبادلة باليد
	الاتصالات المباشرة (المراسلات
٢١٢	الشفهية غير الخطية)
٢٢٢-٢١٤	ب - المراسلات المستعجلة
٢١٤	البرقيات المستعجلة
٢١٧	الاتصالات اللاسلكية
٢١٨	المراسلات بالشفرة
٢٢١	المراسلات بالنيابة او بالوكالة
٢٢٩-٢٢٢	٢ - المراسلات غير المباشرة
٢٢٢	أ - المنشورات صيغة للمراسلات
٢٢٤	ب - المراسلات من خلال الصحف
٢٢٧	ج - المراسلات من خلال الوساطات الشخصية
٢٤٠-٢٣٠	ثانيا - لهجة المراسلات وتطورها
٢٣٠	١ - مرحلة ما قبل الحرب
٢٣٣	٢ - مرحلة ما قبل الثورة
٢٣٨	٣ - مرحلة الثورة العربية
٢٤٥-٢٤٣	الخاتمة
٢٧٩-٢٤٨	الملاحق
٢٩٨-٢٨٢	المصادر والمراجع

شكر وتقدير

الحمد لله وحده الذي انهم على في انجاز هذا البحث لكن الوفاء
يفرض على ان اسجل شكري وتقديري لتلك العقول الكبيرة والنية المؤمنة
برسائلها السامية والمديدة بجهدها ووقتها لتنير الطريق أمام ابناء هذه
الامة لتفعيلها بوافر خبرتها ومعرفتها . فلليهم اينما كانوا وافر الشكر
والامتنان .

وفي هذا المجال لا بد ان اسجل مع التقدير شكري للاستاذ طارق
الحمداني المشرف على هذه الرسالة فقد كان ومنذ اللحظة الاولى الداعم
والراعي وكان لجهده وخبرته العلمية اسهاماً مباشرأ في انجازها .

كما لا يفوتنـي ان أسجل بالتقدير التوجيهات والارشادات القيمة التي
بذلها مهـنـ اساتذـةـ الكرام ومنهم الدكتور يحيـ الشـاهـرـيـ والـدـكتـورـ
صادقـ الحـلوـ والـدـكتـورـ حـسـنـ الجـافـ والـدـكتـورـ نـورـيـ العـانـيـ .

كما انـ اخـرـ بالـشـكـرـ الاخـوةـ الـذـينـ قـدـمـواـ لـيـ المسـاعـدةـ وـآزـدـونـيـ
فـيـ بـحـثـيـ وـمـنـهـ الدـكـتـورـ يـحـيـ الشـاهـرـيـ وـالـدـكـتـورـ عـبـدـالـامـيرـ مـدـسـنـ جـبارـ
حيـثـ شـهـعـونـيـ عـلـيـ اـبـخـازـ الـبـحـثـ وـقـامـواـ بـتـزوـيـدـيـ بـبـعـضـ الـمـصـادـرـ التـيـ غـطـتـ
جـوـانـبـ أـسـاسـيـةـ مـنـ الـبـحـثـ اـضـافـةـ لـيـ اـسـاتـذـةـ الـإـسـاـنـ الـذـينـ تـحـمـلـواـ عـنـاءـ
قـرـاءـةـ فـصـولـهـاـ وـقـوـمـوهـاـ مـنـ نـوـاديـهـاـ الـلـغـوـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ .

ولا يـفـوتـنـيـ انـ أـسـجـلـ اـمـتـانـيـ لـمـنـ اـسـهـمـواـ فـيـ تـظـيلـ الـكـثـيرـ مـنـ
الـطـهـوـبـاتـ وـمـنـهـ الدـكـتـورـ مـدـدـ الـمـشـهـدـانـيـ .

كـذلكـ فـانـ الـوـاجـبـ يـفـرضـ عـلـيـ انـ اـقـدـمـ الشـكـرـ لـلـذـينـ تـحـمـلـواـ مـهـنـ عـنـاءـ
الـسـهـرـ وـالـمـشـقةـ وـوـفـرـواـ لـيـ الـوقـتـ وـالـمـكـانـ الـكـافـيـ لـلـهـمـ وـهـمـ اـصـدـابـ

يتبّع ورفقاء دربِ زوجته العزيزة وابنائِه وقاموا بشّهادته واعانونه فلهم كل الدّب والتقدير .

ولا بد أن أبين بالاعتذار الدور الذي قام به الفريق حميم الفائز لتبنيه فكرة طباعة هذا الكتاب وتنفيذها وسؤاله المستمر في أيّن وطننا في طباعته ، فله الشكر والتقدير وأكثر الله من أمثاله وأمد في عمره . وعلّم أن أقر بأنه لولا الدور المميز الذي قام به القوات المسلحة ممثلة برئيس هيئة أركانها ومدير التوجيه المعنوي وضباطه وأخيراً المطابع العسكرية ومديريها لما خرج هذا الجهد في القراء ، فلهم جميعاً منهم الشكر والتقدير ومهما كتبت في هذه السطور فإن فيهم حقهم لأن جدهم كان كبيراً ومساهمتهم كانت مثمرة .

وأخيراً فإن الكلمات تفف عاجزة عن الشكر لأخوانه في وزارة الخارجية الذين تحملوا عنا المشاركة في إخراج هذا الكتاب وانتم التمسر العذر منهم لأنكم مدرك بأنتم قد اقتلتم عليهم بالمراجعة والطباعة وأخذت من وقتهم الكثير ، وهم الأخ ياسر الهواملة والأخ فائق شمس الدين . وفي الحقيقة فإن جهد الصديق ياسر الهواملة مميزاً اظهره من خلاله الصدق والإخلاص في التعامل والاتزان
ربنا وفقنا جميعاً لما فيه مصلحة أمتنا ووطننا الحبيب والعذر لمن قد أكون نسيت أن أذكره .

والله من وراء القصد

الباحث

كليب سهود الفواز

المقدمة

المقدمة

تناول الباحثون والاكاديميون علاقات اشراف مكة وبشكل خاص علاقات الشريف حسين بالبريطانيين بالبحث والدراسة في حين رکز فريق آخر على علاقات العثمانيين بأشراف مكة ضمن حلقة واحدة متشابهة هي احداث الثورة العربية الكبرى بينما مسألة تناول العلاقات في ضوء المراسلات المتبادلة بينهما مسألة تفتقر بل تدر على حد علمنا الى دراسة اكاديمية تتناول مثل هذا الموضوع .

ان هذه العوامل الاساسية مجتمعة قد دفعتنا لاختيار المراسلات بين الشريف حسين والعثمانيين موضوعا للدراسة لاعتقادنا ان الدراسات التاريخية الاكاديمية التي تتناول هذه العلاقة تسير ببطء في جامعاتنا العربية والأردنية بشكل خاص رغم امتلاكها ثروة وثائقية ومعلوماتية كبيرة .

ولقد جاء الاختيار للفترة (١٩٠٨ - ١٩١٨) لانها شهدت قدوم قواً جديدة للمنطقة وانهيار قواً كانت مسيطرة لفترة زمنية طويلة الأمر الذي أدى الى تغييراً في موازين القوى في العالم وتعقيداً في زخم الحركة الوطنية وبلورة في الافكار والتغيرات السياسية في الوطن العربي والتي كان للشريف حسين بن علي الدور الفاعل المؤثر فيها . وقد مثل عام ١٩٠٨ بداية لتلك الفترة التي ندرسها ، حيث حصل الشريف حسين على الفرمان السلطاني بتوليه إمارة مكة المكرمة وشرافتها ، فضلاً عن إعلان الاتحاديين ثورتهم . بينما مثل عام ١٩١٨ النهاية لتلك الفترة التي ندرسها ، لانه العام الذي توقفت فيه عمليات الثورة العربية وانهيار الدولة العثمانية .

ويأتي اختيارنا لهذه الفترة من تاريخ اشراف مكة المكرمة لانها لم تحظ بعناية الباحثين العرب والأجانب بقدر كاف ، إذ لم تقل الكثير من المباحث الخالصة بالأشراف ما تستحقه من دراسة وتحقيق ، ومن بينها " المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين " التي لم تبحث بحثاً أكاديمياً مستقلاً على الإطلاق . كما إن طبيعة الحقبة بأحداثها ، ومتغيراتها السريعة ، وتناقضاتها الراصدة انعكست بشكل مباشر على أوضاع العجاز والدولة العثمانية وبالتحديد تطور انتما السياسي .

لذا فان تكريس رسالة علمية لدراسة " المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين " إبان تلك الحقبة المليئة بالأحداث أمر له مبرراته الموضوعية .

تتألف الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . الفصل الأول ، فصل تمييدي لدراسة العلاقات بين أشراف مكة والعثمانيين منذ دخول العجاز تحت السيادة العثمانية عام ١٥١٧م اثر إرسال الشريف برکات ابن محمد شريف مكة المكرمة ابنه أبي نمي إلى القاهرة ، لتقديم كتاب البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول ، واستعرض الفصل المباحث العامة حتى توليه الشريف حسين عليها عام ١٩٠٨ . وجاء هذا في مبحثين ، استعراض المبحث الأول إقليم العجاز وأشراف مكة المكرمة ، من التواحي الجغرافية والتاريخية والدينية ، وركز الثاني على موقف العثمانيين من منصب الشرافة إبان الحقبة (١٥١٧ - ١٩٠٨) ، مبينا مدى تأثير هذا الموقف في بلورة الوعي السياسي للأشراف من جهة ، وزيادة حدة التنافس لنيل منصب الشرافة بينهما من جهة أخرى .

ولأهمية الفترة التي تبدأ بتولي الشريف حسين منصب الإمارة عام ١٩٠٨ وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى فقد كرسنا لها الفصل الثاني من الرسالة حيث ان هذه الفترة حافلة بالأحداث السياسية الهامة ، الأمر الذي انعكس على طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين . وقد تميزت الفترة بمعطالية الشريف حسين بمنصب الشرافة ، موضحين ذلك بالمراسلات التمهيدية بين الشريف حسين والعثمانيين . وعالجنا في هذا الفصل المراسلات المتعلقة بتولي الشريف حسين منصب الشرافة ، وتأثير ذلك في حرصه على إعادة المكانة الدينية للحجاجز وموقف الاتحاديين منها ، وأشار الفصل الى جهود الشريف حسين وأولاده في تحدي سياسة الاتحاديين الطورانية ، وبيان اثر الصراع الشريفي - العثماني على سيادة العجاز . كما تتبع الفصل المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والخاصة بتطبيق السياسة المركزية ، في العجاز واعتباره ولاية لا تختلف عن باقي الولايات العثمانية وذلك بمحاولات شموله بنظام قانون الولايات العثماني ومد سكة الحديد الى مكة ، واثر ذلك في تدهور العلاقات مع أشراف مكة ، مبينين ذلك من خلال المراسلات المتبادلة بين

مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده من جهة وبين الأشراف أنفسهم من جهة أخرى .

وبحثا في الفصل الثالث " المراسلات الشريفية العثمانية حتى إعلان الثورة العربية عام ١٩١٦ " وتناولنا فيه المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين بشأن رغبة الآخرين في دخول الحرب العالمية الأولى ، وجهود الشريف حسين للاحالة دون تحقيق ذلك ، وقد حاولنا بيان موقف الشريف حسين وأولاده من الضغوط العثمانية الرامية لاستحصال فتوى بالجهاد المقدس من أمير مكة المكرمة الشريف حسين بن علي ، مبينين ذكاء ودهاء الشريف في كيفية التخلص من هذا الموقف الحرج بالتلويع لهم بولاته للدولة العثمانية وخلاصه في تنفيذ أهدافهم ومنها مشاركته المباشرة في حملة القناة الأولى ، كما أشار الفصل إلى طبيعة المراسلات بعد فشل تلك الحملة ، وكيف كشفت تلك المراسلات عن حقيقة سياسة الاتحاديين اتجاه أشراف مكة خصوصا وعن الأحرار العرب عموما ، مبينين خطروسة وجبروت الثالث الاتحادي (أنور وجمال وطليعت) في تلك السياسة . واستئتمى الفصل المواقف الثابتة للشريف وأولاده وخاصة بضرورة تمنع العجاز بمكانتها السامية فضلا عن المطالب القومية والوطنية التحررية الأخرى ، حيث تصدى الفصل إلى موقف الشريف وأولاده إزاء الضغوط العثمانية المتكررة بإعلان الجهاد ، ودورها في إنشاج مسوغات أسباب إعلان الشريف حسين ثورته على الاتحاديين ، بعد أن مهد الفصل في إتباع الشريف وأولاده لأسلوب المهادنة مع الاتحاديين في سبيل سحب جميع القادة العجائز من تحت أيدي الاتحاديين وأمام عيونهم ومن ثم ليعلنوا ثورتهم في ١٠ حزيران ١٩١٦ .

أما الفصل الرابع " المراسلات الحجازية - العثمانية إبان الثورة العربية ١٩١٦ - ١٩١٨ " ، فقد تتبع أسباب الثورة وأهدافها من خلال المراسلات المتبادلة بين الجانبين ، والتي أدت إلى بلورة الوعي السياسي لدى غالبية العرب والمسلمين في تقبل الثورة ضد الاتحاديين . وتعرض الفصل في بيان ذلك إلى تحليل المنشورات التي أصدرها الشريف حسين والمراسلات والتصریفات التي كان يتداولها مع أولاده

أوقادته فضلاً عن المراسلات والتصريحات التي كان يتبادلها الشريف وأولاده مع الاتحاديين . وتعرض الفصل إلى موقف الاتحاديين من الثورة ، وما رافق ذلك من استثناء رسمي عثماني منها . وزاد هذا الأمر من حدة الصراع بين الأشراف والاتحاديين ، وزعزعة الاستقرار السياسي العثماني في الولايات العربية ، ومثلت ضربة للنفوذ العثماني في تلك الولايات . وغطى الفصل جهود الاتحاديين في تلافى الأزمة بتقديمهم الصلح مع القادة الجازيين ، واستعرض الفصل المباحثات الجازية - العثمانية لتحقيق ذلك . وجرى التعرض في الفصل نفسه إلى تمسك الشريف حسين وأولاده بضرورة تحقيق استقلال وحرية العرب وفق نظام لا مركزي مع الدولة العثمانية ، إذ عمق ذلك من حدة الصراع بين الجانبين . وكشف الفصل عن المراسلات الختامية بين الجانبين والتي أعقبها انتهاء العمليات العسكرية للثورة العربية ، التي سجل الاتحاديون اعترافهم في مراسلتهم بأهمية تلك الثورة ودورها الفعال والمؤثر في انهيار الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب .

وتصدى الفصل الخامس إلى " طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين وتطورها ١٩٠٨ - ١٩١٨ " ، إذ تعرضت الفقرة الأولى منه لدراسة صيغ المراسلات وتطورها ، والتي جاءت على صورتين مباشرة وغير مباشرة . فالمراسلات المباشرة جاءت بصيغ متعددة منها ، الفرمانات الصادرة من الباب العالي لأمير مكة المكرمة وشريفها والتي كانت تتجدد كل سنة ، وصيغة المراسلات المتبادلة باليد بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده . أو صيغة الاتصالات أو المباحثات المباشرة بين مسؤولي الجانبين وهي عبارة عن مراسلات شفهية غير خطية ، وهذه الصيغة من المراسلات تكون في الحالات الاعتيادية . وعالج الفصل تلك الصيغة في الحالات المستعجلة ، إذ جاءت المراسلات المباشرة في هذه الحالات بصيغ البرقيات المستعجلة والاتصالات اللاسلكية ، فضلاً عن المراسلات بالنيابة أو الوكالة . أما هيئة المراسلات غير المباشرة فقد صنفت الفصل إلى ثلاث صيغ ، المنشورات صيغة للمراسلات ، والمراسلات من خلال الصحف ، وأخيراً المراسلات من خلال الوساطات الشخصية . أما الفقرة الثانية فقد عالجت

لهجة المراسلات وتتطورها ، مبينا ظروف وملابسات تطور اللهجة من حال إلى حال إذ شهدت المراسلات لهجات التودد ، الاحترام المتبادل ، الاستشارة ، التحذير ، التهديد والوعيد ، وغيرها . ونظرا لورود أكثر من لهجة في الفترة الواحدة ، فقد كان من الصعب معالجتها على أساس طبيعة اللهجات ، لذا ارتأينا معالجتها على أساس المراحل التاريخية . وقد بحثنا الفصل في ثلث مراحل ، ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وما قبل إعلان الثورة العربية ، وأخيرا مرحلة الثورة العربية.

ولخصنا في الخاتمة على ما توصلنا إليه من استنتاجات من خلال متابعة المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين وأولاده والعثمانيين إبان الحقبة التي حددتها الدراسة ١٩٠٨ وحتى ١٩١٨ ، وهذا ما عرفناه في خاتمة الرسالة ، وفي الوقت نفسه اعتمدت الرسالة على مصادر ومراجع متعددة أبرزها ، المصادر والمراجع العربية التي شكلت العمود الفقري لمادة الرسالة ، لتعطيتها الفترة الزمنية موضوع البحث ، وتأتي أهمية تلك المصادر لأنها كتبت من قبل أشخاص عاصروا الأحداث ، واهتمامها مؤلفات أمين سعيد " الثورة العربية الكبرى " و " أسرار الثورة العربية الكبرى ومساهمة الشريف حسين " و " ثورة العرب في القرن العشرين " . وكان لمؤلفات سليمان موسى حضور ملحوظ في الرسالة : ومنها " الحركة العربية " و " المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨ " . إضافة إلى مؤلفات زين نور الدين زين الضرورية لأي باحث يتصدى لدراسة الثورة العربية ، وهي " أسباب الثورة العربية الكبرى " و " الصراع الدولي على الشرق الأوسط " . كما استندنا من كتاب " العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز " لمؤلفه بكر فائق الصواف ، لانه يتضمن معلومات وتفسيرات مهمة أغنت بعض جوانب الرسالة .

وتم التركيز على المذكرات الشخصية في هذه الرسالة على الرغم من الخطورة فيتناولها والتركيز عليها لأسباب قد تكون لدى كاتبها في حينها مما دفعنا إلى الدقة في دراستها لكنها مع ذلك زودتنا بمعلومات غالية في الأهمية قد لا تتتوفر في مصادر أخرى وأهمها مذكرات الملك عبدالله بوصفها سجلًا حافلا بالتفاصيل الأساسية لدراسة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والدولة العثمانية ضمن فترة الرسالة

فضلاً عن مذكرات جمال باشا السفاح التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة بهذه
وهناك مذكرات جعفر العسكري ومذكرات احمد فدري ومذكرات تحسين العسكري
ومذكرات فائز الغصين ، وتلئي أهميتها كونها مصادر أصلية صادرة عن جهة
مسؤوله أو مطلعه على الأحداث ، حيث أسهمت في إغناء الرسالة بالعديد من
المعلومات المهمة.

كما واعتمدت الرسالة على المصادر الأجنبية ، التي ساعدتنا إلى حد كبير في
الكشف عن جوانب خفية للعديد من المراسلات والواقع السياسية التي يصعب
الوقوف عليها من دون الإطلاع على مضمون هذه المؤلفات وابرزها
Btrus Abu Abdullhmaid and The Sharifs of Meeca 1850 - 1900
فضلاً عن مؤلفين ضروريين لأي باحث في تاريخ الحجاز ، لكون مؤلفيها
مطلعين على الأحداث وكونهما يمثلان جهة مسؤولة في علاقتها بالجاز وما
وكتابه Hogarth و Le Hedaz dans La Cuceremondial payot Bermond
وكان لكتاب Ernst Dawn Form ottomanism المعنون
بعلاقات الأشراف بالسلطة العثمانية منذ فترتها المبكرة.

كما اعتمدنا على بعض الصحف لأنها شكلت سجلاً غنياً بالتفاصيل
للمراسلات المتبدلة بين الشريف حسين والعثمانيين إذ نقل بعضها صوراً لتلك
المراسلات لم ترد في أي مكان آخر . وتلئي في مقدمتها صحيفة القبلة باعتبارها
لسان حال الثورة العربية والحكومة الحجازية أولاً وكونها صادرة عن جهة مسؤولة
أو مطلعه على الأحداث ثانياً وكون مصادرها أصلية وموثقة ثالثاً ، وكذلك فإن أية
دراسة عن الثورة العربية ومملكة الحجاز دون الإطلاع على القبلة ، أمرًا ليس
متسرراً فحسب بل مثيراً للرجح .

كما استفدنا من بعض وثائق الأرشيف العثماني باست碧ول المحفوظة في أرشيف
المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية التابع للجامعة المستنصرية ، والتي لا

يمكن لأي باحث دونها أن يتصدى إلى دراسة علاقات العثمانيين بالولايات العربية ومنها الحجاز .

أما الدوريات العربية فقد شكلت مادة مهمة من مصادر الرسالة ، وتأتي أهميتها لأن بعضها قد عالجت أحداثاً خاصة بالحجاز ، مما جعلها تغنى الرسالة بالعديد من المعلومات الأساسية المهمة.

وفي الختام لا بد ان اعترف بان هذه الرسالة ما هي إلا محاولة لفهم حقبة تاريخية مهمة من تاريخ امتنا لم يسلط عليها الضوء في الدراسات العربية المعاصرة الا وهي " المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والاشراف في مكة " .

اضافة الى ان الحقبة لم تقل نصيبها من الدراسة والتحليل بل ان البعض حين تناولها من نواح اخرى فقد حاول النيل من قيمة الثورة العربية وتناسي بان الاجدر به ان يكون منصفاً لفترة مهما اختلفت الاراء فيها الا انها كانت رافداً معبرا عن طموحات أمّة عانت الكثير ورأت في الثورة مخرجاً لتلك المعاناة .

ونرجو الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في اختيارنا وطرحنا لعل وعسى ان تكون قد ساهمنا من خلال هذه الدراسة باضافة جديدة في حقل المعرفة لبعض التفاصيل عن تاريخ امتنا الماجدة .

والله نسأل التوفيق

الفصل الأول

العشماينيون وشُرُّق آفَة مَكَّة

حَتَّى تَولِيَة الشَّرْفِ حَسَنِ الشَّرَاقَةِ عَامَ ١٩٠٨

المقدمة

تناول الباحثون والاكاديميون علاقات اشراف مكة وبشكل خاص علاقات الشريف حسين بالبريطانيين بالبحث والدراسة في حين رکز فريق آخر على علاقات العثمانيين بأشراف مكة ضمن حلقة واحدة مشابهة هي احداث الثورة العربية الكبرى بينما مسألة تناول العلاقات في ضوء المراسلات المتبادلة بينهما مسألة تفتقر بل تدر على حد علمنا الى دراسة اكاديمية تتناول مثل هذا الموضوع .

ان هذه العوامل الاساسية مجتمعة قد دفعتنا لاختيار المراسلات بين الشريف حسين والعثمانيين موضوعا للدراسة لاعتقادنا ان الدراسات التاريخية الاكاديمية التي تتناول هذه العلاقة تسير ببطء في جامعاتنا العربية والأردنية بشكل خاص رغم امتلاكها ثروة وثائقية ومعلوماتية كبيرة .

ولقد جاء الاختيار للفترة (١٩٠٨ - ١٩١٨) لانها شهدت قدوم قواً جديدة للمنطقة وانهيار قواً كانت مسيطرة لفترة زمنية طويلة الأمر الذي أدى الى تغييراً في موازين القوى في العالم وتعقیداً في زخم الحركة الوطنية وبلورة في الانكشار والتغيرات السياسية في الوطن العربي والتي كان للشريف حسين بن علي الدور الفاعل والمؤثر فيها . وقد مثل عام ١٩٠٨ بداية لتلك الفترة التي ندرسها ، حيث حصل الشريف حسين على الفرمان السلطاني بتوليه إمارة مكة المكرمة وشرافتها ، فضلاً عن إعلان الاتحاديين نورتهم . بينما مثل عام ١٩١٨ النهاية لتلك الفترة التي ندرسها ، لانه العام الذي توقفت فيه عمليات الثورة العربية وانهيار الدولة العثمانية .

ويأتي اختيارنا لهذه الفترة من تاريخ أشراف مكة المكرمة لانها لم تحظ بعناية الباحثين العرب والأجانب بقدر كاف ، إذ لم تتل الكلير من المواضيع الخاصة بالأشراف ما تستحقه من دراسة وتحقيق ، ومن بينها "المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين " التي لم تبحث بحثاً أكاديمياً مستقلاً على الإطلاق . كما إن طبيعة الحقبة بأحداثها ، ومتغيراتها السريعة ، وتناقضاتها الواضحة انعكست بشكل مباشر على أوضاع الحجاز والدولة العثمانية وبالتحديد تطور اتهما السياسية .

لذا فان تكريس رسالة علمية لدراسة " المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين " إبان تلك الحقبة المليئة بالأحداث أمر له مبرراته الموضوعية.

تتألف الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . الفصل الأول ، فصل تمهددي لدراسة العلاقات بين أشراف مكة والعثمانيين منذ دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية عام ١٩١٧م اثر إرسال الشريف برکات ابن محمد شريف مكة المكرمة ابنة أبي نصي إلى القاهرة ، لتقديم كتاب البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول ، واستعرض الفصل اللمحات العامة حتى توليه الشريف حسين عليها عام ١٩٠٨ . وجاء هذا في مبحثين ، استعراض المبحث الأول إقليم الحجاز وأشراف مكة المكرمة ، من التواثقي الجغرافية والتاريخية والدينية ، وركز الثاني على موقف العثمانيين من منصب الشرافة إبان الحقبة (١٩١٧ - ١٩٠٨) ، مبينا مدى تأثير هذا الموقف في بلورة الوعي السياسي للأشراف من جهة ، وزيادة حدة التناقض لنيل منصب الشرافة بينهما من جهة أخرى.

ولأهمية الفترة التي تبدأ بتولي الشريف حسين منصب الامارة عام ١٩٠٨ وحتى اندلاع الحرب العالمية الاولى فقد كرسنا لها الفصل الثاني من الرسالة حيث ان هذه الفترة حافلة بالاحداث السياسية الهامة ، الأمر الذي انعكس على طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين . وقد تميزت الفترة بمحطات الشريف حسين بمنصب الشرافة ، موضعين ذلك بالمراسلات التمهيدية بين الشريف حسين والعثمانيين . وعالجنا في هذا الفصل المراسلات المتعلقة بتولي الشريف حسين منصب الشرافة ، وتأثير ذلك في حرصه على إعادة المكانة الدينية للحجاجز و موقف الاتحاديين منها ، وأشار الفصل الى جهود الشريف حسين وأولاده في تحدي سياسة الاتحاديين الطورانية ، وبيان اثر الصراع الشرفي - العثماني على سيادة الحجاز . كما تتبع الفصل المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والخاصة بتطبيق السياسة المركزية ، في الحجاز واعتباره ولاية لا تختلف عن باقي الولايات العثمانية وذلك بمحاولات شموله بنظام قانون الولايات العثماني ومد سكة الحديد الى مكة ، واثر ذلك في تدهور العلاقات مع أشراف مكة ، مبين ذلك من خلال المراسلات المتبادلة بين

مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده من جهة وبين الأشراف أنفسهم من جهة أخرى .

وبحثنا في الفصل الثالث " المراسلات الشريفية العثمانية حتى إعلان الثورة العربية عام ١٩١٦ " وتناولنا فيه المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين بشأن رغبة الآخرين في دخول الحرب العالمية الأولى ، وجهود الشريف حسين للاحالة دون تحقيق ذلك ، وقد حاولنا بيان موقف الشريف حسين وأولاده من الضغوط العثمانية الرامية لاستحصال فتوى بالجهاد المقدس من أمير مكة المكرمة الشريف حسين بن علي ، مبينين ذكاء ودهاء الشريف في كيفية التخلص من هذا الموقف الحرج بالتلويع لهم بولاته للدولة العثمانية واحلاته في تنفيذ أهدافهم ومنها مشاركته المباشرة في حملة القناة الأولى ، كما أشار الفصل إلى طبيعة المراسلات بعد فشل تلك الحملة ، وكيف كشفت تلك المراسلات عن حقيقة سياسة الاتحاديين اتجاه أشراف مكة خصوصاً وعن الأحرار العرب عموماً ، مبينين غطرسة وجبروت الثالث الاتحادي (أنور وجمال وطلعت) في تلك السياسة . واستقصى الفصل المواقف الثابتة للشريف وأولاده والخاصة بضرورة تمنع الحجاز بمكانتها السامية فضلاً عن المطالب القومية والوطنية التحررية الأخرى ، حيث تصدى الفصل إلى موقف الشريف وأولاده إزاء الضغوط العثمانية المتكررة بإعلان الجهاد ، ودورها في إنضاج مسوغات أسباب إعلان الشريف حسين ثورته على الاتحاديين ، بعد أن مهد الفصل في إتباع الشريف وأولاده لأسلوب المهادنة مع الاتحاديين في سبيل سحب جميع القادة الحجازيين من تحت أيدي الاتحاديين وأمام عيونهم ومن ثم ليعلنوا ثورتهم في ١٠ حزيران ١٩١٦ .

أما الفصل الرابع " المراسلات الحجازية - العثمانية لإبان الثورة العربية ١٩١٦ - ١٩١٨ " ، فقد تتبع أسباب الثورة وأهدافها من خلال المراسلات المتبادلة بين الجانبين ، والتي أدت إلى بلورة الوعي السياسي لدى غالبية العرب والمسلمين في تقبل الثورة ضد الاتحاديين . وتعرض الفصل في بيان ذلك إلى تحليل المنشورات التي أصدرها الشريف حسين والمراسلات والتصریحات التي كان يتبادلها مع أولاده

أوقادته فضلاً عن المراسلات والتصريحات التي كان يتبادلها الشريف وأولاده الاتحاديين . وتعرض الفصل إلى موقف الاتحاديين من الثورة ، وما رافق ذلك استياء رسمي عثماني منها . وزاد هذا الأمر من حدة الصراع بين الأشخاص والاتحاديين ، وزعزعة الاستقرار السياسي العثماني في الولايات العربية ، وهو ضربة للنفوذ العثماني في تلك الولايات . وغطى الفصل جهود الاتحاديين في تجاوز الأزمة بتقديمهم الصلح مع القادة الحجازيين ، واستعراض الفصل المباحث الحجازية - العثمانية لتحقيق ذلك . وجرى التعرض في الفصل نفسه إلى تنازع الشريف حسين وأولاده بضرورة تحقيق استقلال وحرية العرب وفق نظام لا مرد مع الدولة العثمانية ، إذ عمق ذلك من حدة الصراع بين الجانبين . وكشف الفصل المراسلات الخاتمة بين الجانبين والتي أعقبها انتهاء العمليات العسكرية للدولة العربية ، التي سجل الاتحاديون اعترافهم في مراسلاتهم بأهمية تلك الثورة ودورها الفعال والمؤثر في انهيار الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب.

وتصدى الفصل الخامس إلى " طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف والعتاشيين وتطورها ١٩٠٨ - ١٩١٨ " ، إذ تعرضت الفقرة الأولى منه لدراسة صيغ المراسلات وتطورها ، والتي جاءت على صورتين مباشرة وغير مباشرة فالمراسلات المباشرة جاءت بصيغ متعددة منها ، الفرمانات الصادرة من الباب || لأمير مكة المكرمة وشريفها والتي كانت تتجدد كل سنة ، وصيغة المراسلات المتبادلة باليد بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده . أو صيغة الاتصالات أو المباحثات المباشرة بين مسؤولي الجانبين وهي عبارة عن مراهن شفهية غير خطية ، وهذه الصيغة من المراسلات تكون في الحالات الاعتيادية وعالج الفصل تلك الصيغة في الحالات المستعجلة ، إذ جاءت المراسلات المباشرة هذه الحالات بصيغ البرقيات المستعجلة والاتصالات اللاسلكية ، فضلاً المراسلات بالنيابة أو الوكالة . أما هيئة المراسلات غير المباشرة فقد صنفناها إلى ثلاثة صيغ ، المنشورات صيغة للمراسلات ، والمراسلات من خلال الصحف وأخيراً المراسلات من خلال الوساطات الشخصية . أما الفقرة الثانية فقد ع

لهجة المراسلات وتطورها ، مبينا ظروف وملابسات تطور اللهجة من حال إلى حال إذ شهدت المراسلات لهجات التودد ، الاحترام المتبادل ، الاستشارة ، التحذير ، التهديد والوعيد ، وغيرها . ونظراً لورود أكثر من لهجة في الفترة الواحدة ، فقد كان من الصعب معالجتها على أساس طبيعة اللهجات ، لذا ارتأينا معالجتها على أساس المراحل التاريخية . وقد بحثنا الفصل في ثلاثة مراحل ، ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وما قبل إعلان الثورة العربية ، وأخيراً مرحلة الثورة العربية.

ولخصنا في الخاتمة على ما توصلنا إليه من استنتاجات من خلال متابعة المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين وأولاده والعثمانيين إبان الحقبة التي حددتها الدراسة ١٩٠٨ وحتى ١٩١٨ ، وهذا ما عرفناه في خاتمة الرسالة ، وفي الوقت نفسه اعتمدت الرسالة على مصادر ومراجع متعددة أبرزها ، المصادر والمراجع العربية التي شكلت العمود الفقري لمادة الرسالة ، لتغطيتها الفترة الزمنية موضوع البحث ، وتأتي أهمية تلك المصادر لأنها كتبت من قبل أشخاص عاصروا الأحداث ، واهتمام مؤلفات أمين سعيد " الثورة العربية الكبرى " و " أسرار الثورة العربية الكبرى ومساهمة الشريف حسين " و " ثورة العرب في القرن العشرين " . وكان لمؤلفات سليمان موسى حضور ملحوظ في الرسالة : ومنها " الحركة العربية " و " المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨ " . إضافة إلى مؤلفات زين نور الدين زين الضورية لأي باحث يتصدى لدراسة الثورة العربية ، وهي " أسباب الثورة العربية الكبرى " و " الصراع الدولي على الشرق الأوسط " . كما استفدنا من كتاب " العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز " لمؤلفه بكر فائق الصواف ، لاته يتضمن معلومات وتفسيرات مهمة أغنت بعض جوانب الرسالة .

وتم التركيز على المذكرات الشخصية في هذه الرسالة على الرغم من الخطورة في تناولها والتركيز عليها لأسباب قد تكون لدى كاتبيها في حينها مما دفعنا إلى الدقة في دراستها لكنها مع ذلك زودتنا بمعلومات غالية في الأهمية قد لا تتتوفر في مصادر أخرى وأهمها مذكرات الملك عبدالله بوصفها سجلًا حافلا بالتفاصيل الأساسية لدراسة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والدولة العثمانية ضمن فترة الرسالة

فضلاً عن مذكرات جمال باشا المفاح التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة كهذه وهناك مذكرات جعفر العسكري ومذكرات احمد قدرى ومذكرات تحسين العسكري ومذكرات فائز النصين ، وتنائي أهميتها كونها مصادر أصلية صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث ، حيث أسهمت في إغناء الرسالة بالعديد من المعلومات المهمة.

كما واعتمدت الرسالة على المصادر الأجنبية ، التي ساعدتنا إلى حد كبير في الكشف عن جوانب خفية للعديد من المراسلات والواقع السياسية التي يصعب الوقوف عليها من دون الإطلاع على مضمون هذه المؤلفات وابرز هما Sultan Abu Etrus Abdulhmaid and The Sharifs of Meeca 1850 - 1900 فضلاً عن مؤلفين ضروريين لأي باحث في تاريخ الحجاز ، لكون مؤلفيهما مطلعين على الأحداث وكونهما يمثلان جهة مسؤولة في علاقتها بالحجاز وهم Manneh Hogarth وكتابه Le Hedaz dans La Cuceremondial payot Bermond وكان لكتاب Ernst Dawn Form ottomanism to Arabsim بضمات واضحة في معالجة الكثير من الأحداث السياسية المتعلقة بعلاقات الأشراف بالسلطنة العثمانية منذ فترتها المبكرة.

كما اعتمدنا على بعض الصحف لأنها شكلت سجلًا غلياً بالتفصيلات للمراسلات المتداولة بين الشريف حسين والعثمانيين إذ نقل بعضها صوراً لتلك المراسلات لم ترد في أي مكان آخر . وتنائي في مقدمتها صحيفة القبلة باعتبارها لسان حال الثورة العربية والحكومة الحجازية أولاً وكونها صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث ثانياً وكون مصادرها أصلية وموثقة ثالثاً ، وكذلك فإن أيام دراسة عن الثورة العربية ومملكة الحجاز دون الإطلاع على القبلة ، أمرًا ليس متعمراً فحسب بل مثيراً للرجوع .

كما استندنا من بعض وثائق الأرشيف العثماني باست碧ول المحفوظة في أرشيف المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية التابع للجامعة المستنصرية ، والتي لا

يمكن لأي باحث دونها أن يتصدى إلى دراسة علاقات العثمانيين بالولايات العربية ومنها الحجاز .

أما الدوريات العربية فقد شكلت مادة مهمة من مصادر الرسالة ، وتأتي أهميتها لأن بعضها قد عالجت أحداثا خاصة بالحجاز ، مما جعلها تغنى الرسالة بالعديد من المعلومات الأساسية المهمة.

وفي الختام لا بد ان اعترف بان هذه الرسالة ما هي إلا محاولة لفهم حقبة تاريخية مهمة من تاريخ امتنا لم يسلط عليها الضوء في الدراسات العربية المعاصرة الا وهي " المراسلات المتباينة بين العثمانيين والاشراف في مكة " .

اضافة الى ان الحقبة لم تقل نصيتها من الدراسة والتحليل بل ان البعض حين تناولها من نواح اخرى فقد حاول التلليل من قيمة الثورة العربية وتناسي بان الاجدر به ان يكون منصفا لفترة مهما اختلفت الاراء فيها الا انها كانت رافداً معبرا عن طموحات أمم عانت الكثير ورأت في الثورة مخرجا لتلك المعاناة .

ونرجو الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في اختيارنا وطرحنا لعل وعسى ان تكون قد ساهمنا من خلال هذه الدراسة باضافة جديدة في حقل المعرفة لبعض التفاصيل عن تاريخ امتنا الماجدة .

والله نسأل التوفيق

الفصل الأول

الثمانين وشُرُّقَاءَ مَكَةَ

حَتَّى تَوْلِيَةِ الشَّرِيفِ حَسَنِ الشَّرَافَةِ عَامَ ١٩٠٨

الفصل الأول

العثمانيون وشُرفاء مكة حتى تولية الشريف حسين عام ١٩٠٨

- ١ إقليم الحجاز وأشراف مكة
- ٢ العثمانيون ومنصب الشرافة قبيل عام ١٩٠٨

١- إقليم الحجاز وأشراف مكة :

يعد الحجاز ، منطقة قديمة وعريقة مكتسبة عراقتها بوجود الكعبة المقدسة ، ومقام سيدنا النبي إبراهيم عليه السلام ، وابنات الرسالة الإسلامية في مكة ، وهي مدينة تحضنها الجبال بواد غير ذي زرع^(١) ، وهي العاصمة الإسلامية - الدينية التي ارتبطت بها جذور الإسلام^(٢) .

ومن الناحية الجغرافية ، فالحجاز إقليم مستطيل يشغل الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية على شاطئ البحر الأحمر ، وأغلب أراضيه قاحلة صخرية وعمر ثعاني من الجفاف ، بسبب ندرة هطول الأمطار عليها - باستثناء الطائف - ، الأمر الذي يعكس سلبياً على موارد البلاد المائية مما يؤدي إلى شحتها ، ويقسم الحجاز إلى مناطق أربع^(٣) ، على نحو عمودي يمتد فيها خط الحجيج الاستراتيجي الذي تسلكه أربع قوافل هي حسب أهميتها : - قائمة الحج الشامي وتضم حجاج بلاد الشام والدولة العثمانية ، وقائمة الحج المصري وتضم حجيج مصر وشمال إفريقيا ، وقائمة

(١) القرآن الكريم ، سورة إبراهيم ، آية ٣٦ قوله تعالى "ربنا الذي أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم" .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن تاريخ مكة ، انظر ما كتبه محمد بن عبدالله الازرقى ، تاريخ مكة ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣٢-٣٧ ، احمد السباعي ، تاريخ مكة ، مطبوع قريش ، مكة ١٣٨٥هـ ، ج ١ ، ص ١١ .

(٣) ومناطق الحجاز الأربع هي : -

- أ - الشقة الساحلية ، وهي رملية منخفضة تتخللها الصخور المرجانية ،
- ب - حزام جبلي احياناً ويلخلض احياناً أخرى .
- ج - هضبة ترتفع إلى الشمال وتلخص في الجنوب .
- د - المرتفعات الرئيسية في الشرق .

للتفاصيل انظر مليمان موسى ، الثورة العربية الكبرى ، الحرب في الحجاز ١٩١٦-١٩١٨ ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص ١٦-١٧ .

الحج العراقي وتضم حجاج العراق وبلاد الشام ، وقائلة الحج اليمني وتضم حجاج بلاد اليمن والهند واندونيسيا^(١) .

ويؤلف الحجاز مدن وقرى رئيسية^(٢) ، أبرزها وأقدسها إسلامياً مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، كما أنها العاصمة التاريخية العربية لقرיש وجذورها وأصلابها ، وقرיש قبيلة عربية قديمة بقيت متخصصة بمكة وشعابها أحياً طولية^(٣) والواقع أنه قلما حظيت مدينة مقدسة في التاريخ بمثل هذا الاستقرار السلالي الواضح .

وتأتي أهمية مكة من (الشرفاء) الذين بدأوا حياتهم منها وسكنوا فيها رحراً طويلاً من الزمن ، والذين اخذوا امتيازهم وقداستهم من هوية انتسابهم إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وعدا ذلك فإن منصب الشريف^(٤) الأكبر يكتسب أهمية خاصة ومنحت له إمارة مكة المكرمة^(٥) .

(١) فائق بكر الصواف ، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٩٣٣-١٩١٦-١٨٧٦ ، مكة المكرمة ، ص ٤٩ .

(٢) أ- تأتي المدينة المنورة بالمرتبة الثانية بعد مكة المكرمة من ناحية قداستها ، وهي مدينة مسورة تقع في واحة كبيرة ، تعيبط بها الجبال من ثلاث جهات ، وتحيط بها عشائر قبلية حرب .

ب- مدينة جدة وهي ثغر مكة ومركز للتجارة الخارجية للحجاز .

ج- رابع مدن الحجاز فهي الطائف التي تقع على هضبة مرتفعة ، لذلك يقصد إليها الشريف والوالى لقضاء شهور الصيف ، ومعظم قبائلها من عتبية وتقيف .

د- قرية العقبة التي تقع على رأس خليج العقبة وفيها ينتهي وادي حربة الكبير ، وفيها قلعة قديمة تخزن فيها الحبوب لتمويل قوافل الحجاج بالإضافة إلى ما تقدم ، توجد في الحجاز قرى وأماكن أخرى أبرزها : تبوك ، والعلا ، والمولىع ، وصبا ، والوجه ، وينبع البحر ، وينبع النخل ، ورابع ، والليث وغيرها ، للتفاصيل ، انظر موسى ، الثورة ، ص من ٢٠-١٨ .

(٣) محمد السنوسى ، الرحلة الحجازية ، ج ١ ، مخطوط في دار صدام للمخطوطات برقم ٤٠٤١

(٤) كلمة الشريف تدل في اللغة على الارتفاع والعلو ، وتطلق على الشخص العر الذى له آباء متقدمون في الشرافة ، وقد تطور مدلولها تاريخياً ، فكانت تطلق على أصحاب الجاه ورؤسائه -

لقد كان أمير مكة المكرمة وشريفها هو المرجع الأعلى في الحجاز ، وصاحب الكلمة العليا في تصريف أمور باديته^(١) ، ويتبين الأمر من تمنع الأشراف في مدخلاتهم بجميع قضيائهما المحلية ، سواء ما يخص حياتها الدينية كمركز ثابت للتجمع الإسلامي ، أم حياتها الاجتماعية المتميزة عن غيرها بفعل ذلك التجمع السنوي ، وما يخلفه من آثار اقتصادية على حياتها التي يقف على رأسها "الأشراف" بصفتهم الطبقة المتنفذة بجميع المصالح المحلية تلك ، إلى جانب نفوذهم الذي يمتد إلى اليوادي والبطائح كأطراف ولوائح تابعة لعاصمتهم مكة . كما كانوا مرجعاً أعلى للفصل في الخصومات والنزاعات ، والقضايا المتعلقة بالحجيج خطوط سيرهم نحو مكة واقامتهم فيها^(٢) ، بقصد توفير سبل الراحة والأمان لهم^(٣) .

- القبائل وكبار القوم قبل الإسلام ثم صار الانتساب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأقربائه علامة مميزة لهذا اللقب ، وقد ذهبت التفسيرات الصادرة من الآيات القرآنية والأحاديث والروايات التاريخية عدة مذاهب في أحقيته أي الفروع من الأسرة النبوية في هذا اللقب ، بيد أنه كان يدور في أسرة الرسول دون غيرها ، كالعلوبين والعاسفين . أما في الحجاز فكانت العادة أن يسمى أبناء (الحسين بن علي) بالشرفية وحدمه نظراً لأن أجدادهم كانوا حكام مكة ، في حين كان يلقب أبناء الحسين بلقب السيد فقط ، ومع ذلك يتكلمون عن الشريف الأكبر بقولهم سيدنا ، انظر دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة العربية ، مادة شريف ، المجلد الثالث عشر ، ص من ٢٦٦-٢٦٧ .

- (٤) محمد طاهر العمري ، مقدرات العراق السياسية ، المطبعة العصرية ، بغداد ، ١٩٢٥ ، جـ ١ ص ٣٠٣ وانظر كذلك :

Rich, schofield and' Gerald Blake, Arabian Boundoniss : Primary Documents 1853-1853, Vol 2 (Archive Editions) England , 1988,P.608.

(١) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) سيار الجميل ، العثمانيون وتكون العرب الحديث من أجل بحث روبيوي معاصرة ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٤٨١ ، نبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسن ، هذا العالم العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ٩٧ .

ومما نقدم يمكننا القول بأن أشراف مكة قد تمتعوا بسيادة شبه مركبة على الحجاز ، إذ حفظ لهم منصبهم الديني سلطة روحية نافذة بحكم إدارتهم المحلية للحرم المكي كسدنة ، كما حفظ لهم مكانتهم الإقليمية بعيداً على السلطتين الزمنية والروحية الكبرى للعالم الإسلامي ، خاصة وإننا نلحظ بأن الأشراف لم يتقلدوا منصب الخلافة الإسلامية ، أسوة بالعباسيين والفاطميين . وأخيراً يمكننا التأكيد بأن منصب الشرافة قد حفظ للأشراف بسلالاتهم العربية والمقدسة حتى يومنا هذا ، بل إننا لم نشهد أية سلالة في التاريخ قد احتفظت بامتدادها العرقي على النحو الذي اتصف به أشراف مكة . وعلى الرغم من أن نظام الشرافة قد أضفى على الحجاز نوعاً من الحكم الذاتي ، إلا أنه في الوقت نفسه كان مبعث صراع مزير بين عدة أسر كانت تتطلع إلى أن يشغل أحد أفرادها منصب شريف مكة المكرمة وأميرها ، وقد تافتت ثلاثة أسر على إمارة مكة المكرمة في بداية الأمر وهي :-

١- الأسرة الموسوية (بنو موسى) .

٢- الأسرة السليمانية (بنو سليمان) .

٣- الأسرة الهاشمية (الهواشم أو بنو هاشم)^(١) .

وقد حكمت هذه الطبقات الأسرية الثلاث مكة للفترة التاريخية ٥٩٨-٣٥٨هـ / ١٢٠٥-٩٦٩م ، أي حوالي ٢٤٠ سنة .

ويرمز التاريخ الأول (٣٥٨هـ - ٩٦٩م) إلى خضوع إقليم الحجاز للسيادة الاسمية لدولة العمالق في مصر^(٢) ، أما التاريخ الثاني (١٢٠٥-٥٩٨م) فيرمز إلى

- (١) محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري في المنقى في أخبار أم القرى تحقيق وتعليق وتعليق محمد عبدالله مليباري (مطبع الصفا ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م) ، ص ١٩٣ .

(٢) رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٤٠-١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٣ ، الصياغ ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٣) للتفاصيل عن حكم العمالق في مصر انظر سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

بدء حكم الأسرة الرابعة على مكة وهي الأسرة الادريسيّة أو القنادية (بنو قنادة) نسبة إلى مؤسسها الشريف قنادة ابن ادريس ، الذي حكم مكة المكرمة فترة امتدت زهاء عشرين سنة (١٢٠١-١٦١٧هـ/١٥٩٨م) ، وتداول أبناؤه وأحفاده الحكم من بعده حتى سقوط دولة العمالق في مصر على يد السلطان العثماني سليم الأول سنة ١٥١٧ اثر قضائه على (طومان باي) آخر سلاطين الدولة المملوكية^(١) .

وقد أصبح سلاطين آل عثمان "حماة الحرمين الشرفين" منذ أن قدم بركات بن محمد بن بركات (بركات الثاني) شريف مكة وحاكم الحجاز ولاءً للسلطان سليم الأول واعترف بالسيادة العثمانية على الحجاز ، وكانت نتيجة هذا الاعتراف أن أبقيت الدولة العثمانية على نظام الشرافة في مكة المكرمة في آل بركات^(٢) .

ومما نقدم لاحظ أن بني قنادة قد حكموا مكة المكرمة فترة تاريخية طويلة بين ١٢٠٩-١٢٠٩هـ/١٩٢٥-١٩٢٥ ، أي ٧١٦ سنة ، إذ انتهى دورهم الديني والسياسي في الحجاز في عام ١٩٢٥ ، إذ ضم ابن سعود الحجاز لسلطنته في نجد لتصبح (سلطنة نجد والجاز) ، ولم ينته دور الأشراف عند ذلك ، بل بدأ دورهم السياسي في حكم كل من العراق والأردن وقبلهما سوريا ، ليس كأشراف وامراء فحسب ، بل ملوك وامراء وذلك خلال القرن العشرين^(٣) .

وي جانب بيهم ، تلك الحقيقة بقوله "استمر الحكم في الحجاز في حوزة بني قنادة اشراف مكة ٠٠٠ وحافظ هؤلاء عليه حتى اخرج الحجاز جمعية من يد الهاشم سنة ١٩٢٤"^(٤) .

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ،

(٢) السباعي ، المصدر السابق ، ص ص ١٧٢-١٧٣ ،

(٣) للمزيد من المعلومات ، انظر محمد جميل بيهم ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ، (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ١ ، ١٩٥٠ ، ص ٧٨) .

٢ - العثمانيون ومنصب الشرافة قبل ١٩٠٨ :

بعد دخول مصر تحت السيادة العثمانية على عهد السلطان سليم الأول عام (١٥١٧م) ، نقطة تحول هامة في تاريخ الحجاز واليمن ، إذ بسطت الدولة العثمانية نفوذها عليهمَا كونهما إقليمين عربين استراتيجيين ، عقائدياً بالنسبة للحجاز واقتصادياً بالنسبة لليمن .

وكان دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية دخولاً سلرياً ، إذ لما دخل السلطان سليم الأول القاهرة وجد بها بعض القضاة ورجال العلم من أهل الحجاز ، إذ كان السلطان الغوري قد اعتقلهم رداً على اضطرابات وقعت في إقليم الحجاز ضد الحكم المملوكي في مصر فاطلق السلطان سليم الأول سراح جميع المعتقلين الحجازيين^(١) ، وعندئذ وجد أشراف مكة أنفسهم ملزمين وهم سدنة المقدسات الإسلامية ، بالإعلان عن مباركتهم للسلطان العثماني سليم الأول^(٢) ، بعد أن أرسل الأخير رسالة يدعو فيها الشريف برकات بن محمد شريف مكة المكرمة إلى الدخول في طاعة العثمانيين فاستجاب الشريف برکات للدعوة التي تلقاها من السلطان سليم الأول ، وارسل إليه ابنه الشريف أبي نمي إلى القاهرة^(٣) ، حاملاً كتاب والده الذي أعلن فيه فروض البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول^(٤) ، فضلاً عن ذلك فقد قدم مفاتيح العرمتين الشريفيتين

^(١) كان سبب هذه الإضرابات غضب الأشراف في إقليم الحجاز على السلطان الغوري لفشلته في ليقاع الهزيمة بالبرتغاليين وإخفائه في وقت تحول طريق التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، وكان هذا التحول في طريق التجارة قد حرم جدة من مواردتها الجمركية ، للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

^(٢) Randall Baker, King Husain And The Kingdom Of Hejaz, The Oleander Press, 1979, P.2

^(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

^(٤) سليمان موسى ، الحسين بن علي والثورة العربية ، ط ٢ ، عمان ، لجنة تاريخ الأردن ،

١٨ ، ص ١٩٩٢

رمزاً لولاته^(١) ، واعطى السلطان نفسه لقب (خادم الحرمين) اكتساباً لعواطف العرب خاصة وال المسلمين عامة^(٢) ، وبهذا يمكننا القول بأن اشراف مكة ، على ما يبدو ، هم أول من اعترف بالسلطان سليم الأول سلطاناً عثمانياً على المناطق العربية .

وقد قابل السلطان العثماني سليم الأول تلك الطاعة بأن أبقى على نظام الشرافة في ولاية الحجاز ، واعترف بولاية الشريف بركات على مكة ، كما عين ابنه أبو نمي شريكاً في الإمارة ، واستمر الأخير في الشراكة حتى وفاة والده عام ١٥٢٥ ، إذ استقل أبو نمي بشؤون إمارة مكة ، وبذلك استمر مبدأ الشراكة في الحكم فترة ليست بالقليلة بين اشراف مكة^(٣) .

ولما كان شريف مكة وأميرها قد قبل دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية وأعلن ولاءه وطاعته للسلطان العثماني فقد استحدث العثمانيون ، إلى جانب إيقائهم على نظام الشرافة ، نظاماً مدنياً جديداً فأنشأوا في ثغر جدة منجيةة يتيم فيها وال كانت مرتبته في أغلب الأحيان صنجد وفي أحيان أخرى باشا له ثلاثة أطواخ^(٤) .

(١) سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

(٢) موسى ، الحسين ، ص من ١٨-١٩ . إذ حمل أبو نمي معه مجموعة من آثار الرسول والصحابة عليهم السلام ليضيف عليه لقب خادم الحرمين الشرفين ، بل صار يخطب له بذلك في خطب الجمعة في مصر بقولهم "والنصر للهم السلطان بن السلطان ملك البرترين والبحرين وكأسر الجيшиين وسلطان العرالبين ، وخادم الحرمين الشرفين ، الملك المظفر سليم شاه ، اللهم الصمد نصراً عزيزاً وفتح له فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة ، يارب العالمين انظر الصواب ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، أنيس المصاوي ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٣٨ .

(٣) احمد بن عمر الزيلعي ، نظام المشاركة في الحكم لدى اشراف مكة ٦٤٧-٦٤٩/١٥١٧-١٤٩٥هـ ، مجلة الدارة السنة الثانية عشر ، العدد الرابع ، ص ٧٢ .

(٤) اطواخ جمع طوخ ونكتب في بعض المراجع بحرف الغاء أي اطواع وطوغ ، والطوخ مصطلح تاريخي معناه ذيل حصان أبيض معقود على صعدة تعلوها أكدة من نحاس وذهب . وكان كبار رجال الدولة يتميزون بعدد الأطواخ التي ترفع أمامهم في الحفلات والموكب . إذ كان الباشا الذي يشغل منصب وزير أو والي في ولاية كبيرة يحمل ثلاثة اطواخ أما السلطان فكانت تحمل-

وكانت مكة قد ازدهرت اثر رجوع أبي نمي واستقبالها له بعد إتمام مهمته ، فقرأ أبو نمي بيان التقويض على الناس ، وخطب باسم السلطان سليم الأول^(١) ، ولا شك أن الحجاز قد دشن مرحلة جديدة في تاريخه تحت إدارة الأشراف ، ويتبين الأمر من دخوله سليماً في نطاق السيادة العثمانية ، واحتفاظه بنظام " الشرافة " فضلاً عن إنشاء " سنجدية عثمانية في جهة " .

ومما بعث على ازدهار الحجاز في ظل الإدارة الشرفية انفراده دون سائر الولايات العثمانية بعده امتيازات ، كان في مقدمتها إعفائه من تقديم جزية سنوية للدولة العثمانية على الرغم من أن الحجاز كان يتلقى كل عام اعتمادات مالية ضخمة من مصر ، عبارة عن حصيلة الأوقاف الموقوفة على الحرمين الشريفين وقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكانت هذه الأوقاف عبارة عن الأراضي الزراعية وغيرها من الأراضي الثابتة التي أوقفها أهل البذل من المصريين زلفى إلى الله ، كما قرر السلطان سليم الأول زيادة الاعتمادات المالية المخصصة للحجاز ، واعتبر هذه الاعتمادات من الواجبات المالية المفروضة على مصر كالجزية المقررة عليها للسلطان ، وكان يطلق على أموال الحجاز الصرة ، بينما كان يطلق على خزينة السلطان اسم الخزنة ، لذلك كانت علاقة إقليم الحجاز بمصر أقوى من علاقته بالولايات العثمانية الأخرى ، بل أن الباشا العثماني في مصر كان يعتبر في كثير من الأحيان مسؤولاً عن الحالة السياسية والاقتصادية في إقليم الحجاز^(٢) .

ولم تكن الامتيازات وقفًا على الأماكن بل تعداه إلى المواطن في الحجاز فقد ألغى سكانه من التجنيد ، كما اعفوا من جميع الضرائب الشخصية والعقارية ، غير أن الأشراف كانوا يفرضون ضرائب بسيطة على الأغنام والماشية ، كما كانوا

- أملأه سبعة اطواخ ، للتفاصيل انظر احمد عزت عبدالكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١١٢ .

^(١) سبار ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

^(٢) الصواب ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

يقررون ضرائب على الحجاج وقوافلهم^(١) والمطوفين والجمالة واصحاب المحفات وكانت الموارد الناتجة في حصيلتها عن كل ذلك كبيرة للغاية ، فاما ان يحتكرواها لانفسهم ، او يتقاسموها مع الوالي العثماني^(٢) ، الذي كان يقيم في جدة ونتيجة لذلك ازدادت ثرواتهم بشكل ملفت للنظر خلال الوجود العثماني في الحجاز^(٣) وما كان ليتم ذلك بطبيعة الحال لولا سعادتهم المطلقة على جميع الواردات والأموال التي تستحصلها مكة في كل عام ، إضافة الى الاعطيات الكبرى التي كان السلاطين يمنحونها لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة باسم القراء لتوزع عليهم أثناء موسم الحج^(٤) ، فضلاً عن ذلك فان الدولة العثمانية لم تطبق على إقليم الحجاز نظام الزعامات والتيارات والخاصيات ، وهي من مظاهر النظام الإقطاعي العسكري الذي طبقته في العراق وبعض الأجزاء من بلاد الشام ، كما أنها لم تطبق على الحجاز نظام الالتزام الذي طبق على مصر وأجزاء أخرى من بلاد الشام من الولايات أو الأجزاء التي لم تخضع للإقطاع العسكري^(٥) .

^(١) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط ٥ ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٢)

^(٢) لما استعاد الأتراك مكة من محمد علي ساروا على نهجه في إقامة والي بجانب الأمير الشريف في الحجاز ، للتفاصيل ، انظر رفيع المصدر السابق ، ص من ٢٠٥-٢٠٦ .

^(٣) يقول تشاييلدر ارسكين عن الحجاز بأن "ذلك البلد لا تضرب فيه ضريبة ولا توقع عليه جزية يعيش أهلها على موسم الحج " انظر تشاييلدر ارسكين ، فيصل الأول ملك العراق ، ترجمة عمر أبو النصر (المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٣٤) ، ص ٢٤ .

^(٤) سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

^(٥) للتفاصيل انظر محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٩١٤-١٩١٤ ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص من ٦٤-٦٧ .

وهكذا احتل أشراف مكة بحكم علاقاتهم بالعثمانيين بمكانة متميزة في الحجاز بشكل خاص ، كما ازدادوا سمعة وتقديرًا في العالم الإسلامي بشكل عام^(١) ، على الرغم من عدم استطاعتهم إعلان الاستقلال الكامل عن السلطة العثمانية العليا^(٢) . أي أن هناك تحالف إقليمي ، على ما يبدو ، بين أشراف مكة والعمانيين من أجل بناء مصالح مشتركة سليمة منذ عام ١٥١٧م ، فإذا كان الأشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى ، لغرض الأمن والاستقرار الإقليمي والمطبي فأن العثمانيين قد استفادوا من المقارنة الدينية المقدسة لطبقية الأشراف لغرضهن الاستحواذ على ولاء العالم الإسلامي قاطبة.

لقد سار حكم الأشراف لمكة جنبا إلى جنب مع السلطة الروحية القديمة التي يمارسونها ، والتي تعززت من خلال العثمانيين بـ "السلطة الزمية المحلية" . ويعتبر أشراف مكة هم السلالة العربية الأولى التي اعتمد عليها البلاط العثماني اعتماد أساسيا في الحجاز ، وبصورة خاصة في مكة منذ بداية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين . وكان الأشراف جزءاً مهماً من بنية النظام العربي القديم الذي استطاع البلاط العثماني أن يوظفه لصالحه ، وخصوصاً إذا كان ذلك يتصل بالأماكن الإسلامية المقدسة. وتکاد العلاقة تكون ثابتة بين الحكم العثماني كـ "سلطانين" و"أشراف مكة" ، ما دام هؤلاء الأشراف لم يثروا أي حقوق سلطوية عربية (كقرشيين عرب) بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطات في الإسلام^(٣) .

^(١) Butrus Abu-Manneh, Sultan Abdulhmud And The Sharifs Of mecca 1850-1900, Asian And African Studies , Vol.g No.1, 1973, P.1

^(٢) Ernest Dawn G., From Ottomanism to Arabism, London, 1973, P.4.

^(٣) للتفاصيل ، انظر سوار ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

لقد ترسخ حكم الأشراف سياسياً نتيجة لجهود الشريف بركات في القضاء على نائب جده حسين الكردي^(١) ، الذي كان قد أعلن عصيانه فيها عقب عودة السلطان سليم الأول إلى عاصمته استبول ، فامر الأخير الشريف بركات باستعادة الموقف وقتل حسين الكردي ، فاجاب بالطاعة ، إذ قبض عليه وأغرقه في البحر^(٢) . ولا شك أن ذلك يسلط الضوء على حقيقة نجاح سياسة السلطان سليم الأول مع اشراف مكة واستغلاله القوى السياسية والدينية لصالح عمله من خلال إتباعه الأساليب الإدارية الامركزية العثمانية . ويمكن القول بان صفة "التحالف والاحترام المتبادل" الظاهرية هي التي كانت تميز علاقة العثمانيين بأشراف مكة والتي استمرت ، على ما يبدو ، حتى القرن الثامن عشر .

فقد شهدت الحجاز حتى منتصف القرن الثامن عشر تناقضاً شديداً بين بني بركات وبين أولاد عمهم بني زيد ، نتج عنها أن تسلم الآخرين الإمارة في هذه الفترة ، ولم يكن فيهم منصب الشرافة وراثياً بل كان ينتقل بعد موت الشريف إلى أقوى رجل في العائلة نفوذاً^(٣) . وفيهم من ذلك بأن طبيعة حكم الأشراف كان على

(١) كان السلطان الغوري المملوكي قد عين حسين الكردي حاكماً على جهة ، للتفاصيل انظر محمد ليبيب البتونسي ، الرحلة الحجازية (المطبعة الجمالية ، بمصر القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) ، ص ٧٦.

(٢) David Geotge Hogarth, Hejaz before Word War (falcon, Oleander, 1978) . P.42.

(٣) موسى ، الحسين ، ص ١٩ ، شهدت الحجاز أيام القرن السابع عشر حالات الصراع على منصب أمير مكة المكرمة ، فضلاً عن النزاعات الأسرية لطبقة الأشراف ، وقد أدى ذلك الصراع إلى اقسامات اجتماعية ، كما أدى في كثير من العهود إلى ولادة شرافات مشتركة القسم الشرفاء على أنفسهم في هذا القرن بين الاثنين سواسيتين منهم شرفاء بني عبدالمطلب وشرفاء بني محسن ، وأدى هذا الانقسام إلى صراع دموي بين أصحاب المطامع والمنافع والمصالح والسلطة ، وفي عام ١٦٣١ دخل شرفاء مكة لأول مرة تحت قيادة الشريف زيد بن محسن ليقتل ضد الجيش العثماني الذي قدم من اليمن إلى الحجاز ، لذهب الشريف زيد ضحية الحرب بين الطرفين بعد شرافة دامت قرابة ستة أشهر . فضلاً عن ذلك فقد تعرضت -

نط أسرى - سلالي متقل من طبقة أسرية إلى طبقة أخرى ، والتي تسمى (العتر الشريفة) ، فحتى القرن الثامن عشر كان حق الانتخاب محصوراً قيادياً - طبقياً في بني بركات .

لم تكن الدولة العثمانية وبخاصة في القرن الثامن عشر في مركز يسمح لها بالتدخل المباشر في شؤون شرافة مكة المكرمة لأسباب خارجية وداخلية ^(١) ، ولكن السلطان العثماني كان يتاح الفرصة في بعض الأحيان لعزل من يريد عزله من الشراف ، ويستعين في إجراء العزل بالوالى العثمانى فى بلاد الشام ، وكان الأخير يذهب إلى الحجاز على رأس قافلة الحج الشامى ، وكانت تحت أمرته قوة عسكرية كبيرة تقوم في أثناء إقامته في مكة المكرمة ، بعزل الشريف المطلوب عزله ويولى غيره من نفس الأسرة . كما كان يعين أحد الباشوات الأتراك والياً عثمانياً في جهة

- الحجاز ليإن القرن نفسه إلى مشكلات اقتصادية وسوء الظروف الطبيعية التي سببتها السيوف الجارفة نحو مكة في كثير من السنين ، والم ملف للنظر بأنه حتى في أشد حالات الحجاز تعاسة لم يكن التدخل العثماني لحل الأزمات بصورة مباشرة ، بل بقي اعتماد البلاط العثماني على شراف مكة قوياً في معالجة الأزمات ، وعلى الرغم من أن العلاقات السياسية بين الشراف والعثمانيين أخذت تتدهور أكثر من قرن كامل على ذلك التتابع السلطوي للباب العالي ، إلا أن البلاط العثماني لم يغير من طبيعة العلاقة التاريخية التي ربطته بأشراف مكة ويصحح الأمر لكن العثمانيين لم يغيروا من أسلوب الحكم المطلق لأشراف الحجاز ، وكثيراً ما نجد أبناء أولئك الأشراف يقيمون في العاصمة العثمانية تقرباً من السلطان ، أو هرباً من أحوال الحجاز القاسية أو طلباً للامتيازات ، للتفاصيل ، انظر سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٧٧ .

(١) كانت الدولة العثمانية توجه في القرن الثامن عشر العروب الهجومية التي كانت تشنها عليها من وقت إلى آخر روسيا القيصرية ، بهدف الخروج من عزلتها البحرية عن طريق الاستيلاء على مضائق العثمانية (البيسفور والدردنيل) ابتجاه الوصول إلى البحر المتوسط أو ما كان يسمى المياه الدافئة ، وذلك لأن روسيا محاطة بمياه تجمد لمدة تسعة أشهر من السنة ، كما أن الدولة العثمانية ، تواجه في هذا القرن أيضاً حركات المعارضة من بعض ولاياتها بهدف الاستقلال الذي عن السيادة العثمانية مثل ظاهر العمر في فلسطين وعلى يك الكبير في مصر ، للتفاصيل انظر محمد رفعت رمضان ، علي يك الكبير ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٣٣-١٣٤ ، الصواب ، المصدر السابق ، ص ٥١-٥٢ .

ولكن الأخير كان يضطر إلى الفرار أحياناً بمجرد عودة قافلة الحج الشامي إلى دمشق ، ولا يستطيع العودة إلى جدة إلا مع وفـد الحج السنوي ، بسبب تصاعد منازعات أشراف مكة المكرمة^(١) .

وعلى الرغم من أن نفوذ الدولة العثمانية قد اهتز اهتزازاً عميقاً منذ بداية القرن الثامن عشر في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فقد انفرد أشرف مكة المكرمة وأهل الحجاز بالولاية لسلطان الدولة العثمانية ، وكان شريف مكة المكرمة يتسلم براءة منصبه في كل عام ويقيم حفلة كبيرة في الحرم المكي ويقوم أحد كبار رجال قصره بتلاوة فرمان السلطان^(٢) . ويعرف شريف مكة المكرمة من جانبه بالقاضي الذي يعينه السلطان ويعينه من الاستانه ، ويُغفر شريف مكة المكرمة بأنه خادم الدولة وخادم الخليفة العثماني^(٣) .

وكانت فرمانات تعيين أمراء (شرفاء) مكة تصدر عند حصول شاغر لمنصب أمير مكة المكرمة ، بسبب وفـاة الشـريف الذي يشغلـه أو عـزلـه أو استقالـته . إنـ الشـريفـ الذيـ يـحلـ مـحلـهـ يـعـينـ منـ قـبـلـ السـلـطـانـ العـثـمـانـيـ بعدـ اـنتـخـابـهـ منـ قـبـلـ الأـشـرافـ ، وـبـنـاءـ عـلـىـ تـقـارـيرـ قـاضـيـ مـكـةـ وـوـلـاـةـ مـصـرـ وـشـامـ وجـدـةـ . وـكـانـتـ السـلـطـاتـ العـثـمـانـيـةـ تـرـسـلـ إـلـىـ أمـيـرـ مـكـةـ الـعـيـنـ حـدـيـثـاـ وـثـيقـةـ (بـرـاءـةـ) أوـ ماـ يـسـمـىـ (مـنشـورـ الـإـمـارـةـ)ـ المـتـضـمـنـ تـعـيـيـنـهـ فـيـ الـإـمـارـةـ ، وـهـذـاـ الـمـنـشـورـ يـبـيـنـ وـظـائـفـ الـأـمـيـرـ

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٢) للمزيد من الإطلاع على الفرمانات العثمانية الخاصة بأشرف مكة انظر ، إبراهيم رفعت باشا مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، ج ٢ (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م) . سليمان فويضي ، التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية (المطبعة محمودية ، البصرة ، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م) ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٣) رمضان ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

الجديد كما يتضمن توصية له بالعمل على أساس العدل والمحافظة على الولاء والتبعية للدولة العثمانية^(١).

وهكذا كانت عالمة تعين الشريف أميرا على مكة المكرمة هي منشور الإمارة الذي يحمل " طغراء " السلطان العثماني ويعطى للأمير الجديد ، وكان الأمير يستقبل بمراسيم عند مجئه إلى مكة المكرمة . أما إذا كان موجودا في مكة المكرمة فأنه يخرج لاستقبال منشور وخلعة الإمارة المرسلة إليه ، ويلبس الخلعة ثم يقرأ منشور الإمارة في مكان معين ويصوت عال أمام الناس معلنا بدء إمارة الأمير الجديد . ومن المعلوم أن المنصور المرسل إلى الأمير الجديد يكتب باللغة التركية ، وبسبب عدم معرفة أمراء مكة المكرمة ، مع استثناء البعض ، باللغة التركية فقد كان السلطان العثماني يرسل لهم كتابين سنويا في موسم الحج أحدهما بالعربية والأخر بالتركية ، وكانت توجد بمعية أمير مكة المكرمة هيئة من الكتاب الذين يشرفون على المراسلات التركية يطلق عليها اسم " ديوان التركي " ^(٢) .

وهكذا تركت المراسلات العثمانية - الشريفية وفرمانات تعين أمراء (شرفاء) مكة المكرمة بصماتها على حقيقة تمنع إقليم الحجاز بقدر كبير من الاستقلال الذاتي تحت السيادة العثمانية ، ولم يشعروا بوطأة النفوذ العثماني في هذه الفترة ، ومن ثم ظل بعيدا عن تطلعات الأستانة السياسية والعسكرية طالما كان الأشراف يدينون بالولاء للسلطان العثماني ، ولذلك ازداد نظام الشرفافة قوة في أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر . وكانت هناك عوامل أخرى أسهمت في دعم نظام شرافة مكة

(١) للتفاصيل عن فرمانات تعين أمراء (شرفاء) مكة ، انظر ، إسماعيل حقي أو زون جارشلي ، أمراء مكة في العهد العثماني ، ترجمة عن التركية الدكتور خليل علي مراد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٣-٣٧ ، رفعت باشا ، المصدر السابق ، ص ٢.

(٢) ويدرك جارشلي بأنه بعد إتمام قراءة منشور الأمير الجديد يباشر الدلالون بإعلانه في مكة المكرمة ، وطبقا للعادة الجارية كانت المدافع تطلق ١٩ طلقة بالمناسبة ، انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩.

المكرمة خلال هذه الفترة ، تمثلت في انحسار الحكم العثماني عن اليه وانسحاب الأسطوanel العثمانية من البحار الشرقية ، ولقدام اشراف مكة فتح ميناء جدة للتجارة الأولى منذ أواخر القرن السابع عشر^(١) .

ومن الجدير بالذكر ان أوضاع الحجاز الاقتصادية قد أصابها المرحلة التاريخية الثانية (أي بعد ١٦٨٣) مقارنة بما كان عليه الحال التاريخية الأولى ، ليس فقط نتيجة للظروف المحلية والإقليمية في ه فضلا عن انحسار السيادة المركزية - العثمانية عن بعض الأقاليم الع في القرن الثامن عشر ، ولكن بسبب موجات الغلاء المفرط وارتفاع الغذائية الذي عمت اليمن ومن ثم بلاد الشام أيضا كما عانت مكة مد المكي لمرات عدة اثر هطول الأمطار وتدفق السيول . ولا شأ الاقتصادية القاسية كانت قد تركت آثارا الاجتماعية ، ومن الطبيعي إلى ازدياد عدد القراء والمدعمين وحدوث نزاعات بين السكان ، أو طرف القبائل ، وبين بعضها البعض ، ومحاصرة التجارة في البر و إلى أعمال السطو والعنف ، ولكن من ناحية أخرى ، فقد يقى اشراف بسيادة شبه مركبة في الحجاز^(٢) .

ويعد عهد الشريف سرور ١٧٧٧-١٧٨٨ ، من الفترات الشريفية التاريخ المحلي والإقليمي الحديث لكل من مكة والجaz ، إذ امتد والأمان والعدل والرخاء قياسا لما سبقه من عهود شريفية ، نتيجة الطبيعية التي ساده ، أقاليم الحجاز . وما يميز عهد الشريف سر اصطدامه غير المباشر بالدولة العثمانية بعد ان حاول الشريف سرور نفسه لقب السلطان ، وذلك من خلال الألواح النصية التي علقها في مذ

^(١) الصواب ، المصدر السابق ، ص ٥٤.

^٣ Arab Rebellion of Amir Ghilib of Mecca , (1788-1813) , Middle Eastern
7.No.2. (May, 1917) P. 185.

السلطان سرور . ولكن الدولة العثمانية قمعت تجربة الشريف سرور^(١) ، انتللاها من سياستها الرامية بعدم السماح لأحد من طبقة (الأشراف) ان يعلن نفسه (سلطانا) حتى ولو كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

وشهد عهد الشريف غالب بن مساعد ١٨١٣-١٧٨٨ امتداد النفوذ الوهابي إلى الحجاز ، ولا شك ان ذلك يشكل حلقة جديدة من احداث تاريخ هذه البلاد وطبيعة علاقته بالعثمانيين ، إذ دخلت الحجاز في سنة ١٨٠٣ ضمن املاك الدولة السعودية بعد مقاومة غير ناجحة من قبل الحجازيين وشريفهم ، وبقي الشريف غالب أميرا خالل هذه الفترة^(٢) .

ومع ذلك فقد كان يكاتب محمد علي والي مصر^(٣) . وفي الوقت نفسه كان يراسل محمود الثاني ويحذر من اطماع سعود بن عبدالعزيز ويؤكد بان خطوطه القادمة ستكون الانقضاض على الشام والعراق . ويبدو ان تخوف شريف مكة وتحذيراته كان لها ما يبررها ، إذ حصل ما كان متوقعا ولكن في الحجاز لا في سوريا والعراق ، إذ أقدم سعود عام ١٨٠٦ على طرد الشريف غالب وتعيين الشريف عبد المعين بن مساعد بدله أميرا على مكة المكرمة ، وإعلانه زوال السيادة العثمانية على الحجاز ، ومن ثم مباشرة بمحاولات توحيد نفوذ الدولة وتوسيع رقعتها وهذا ما يتضح جليا من تعرشاته بالعراق والشام^(٤) .

لا شك ان تحركات آل سعود يعد خطرا يهدد سلطة الدولة العثمانية ويجهز من مركز السلطان الروحي بصفته خليفة المسلمين وخادم الحرمين الشريفين ، ولذلك كانت الدولة العثمانية شديدة الحررص على استعادة سيادتها على إقليم الحجاز

(١) سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٨٤ .

(٢) M.Abir, Op.cit., PP. 188-191 .

(٣) موسى ، الحسين ، ص ١٩ ، أمين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين (دار الهلال القاهرة ، د.ت) ، ص ٢٩ .

(٤) منيرة عبدالله العوينات ، علاقات نجد بالقوى المحيطة ١٣١٩ - ١٣٣٢ / ١٩١٤-١٩٠٢ م ، ط١ ، ذات السلسل ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص ٩٩ .

فعزمت الدولة العثمانية ، بعد ان ادركـت عجزها عن إخراج آل سعود من الحجاز على الاستعـانة بـوالـي مصر محمد عـلـي باشا^(١) بالـقيام بـالمهمـة التي فـشـلـ فيها كلـ من والـي بغداد وـوالـي دمشق^(٢) .

لقد عهدـ العـسـلـطـانـ مـحمدـ الثـانـيـ إـلـىـ مـحمدـ عـلـيـ باـشاـ وـالـيـ مـصـرـ فـيـ تـجهـيزـ حـمـلةـ عـسـكـرـيـةـ عـلـىـ نـجـدـ وـالـحـجازـ فـيـ عـامـ ١٨١١ـ ،ـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ وـالـيـاـ عـلـيـهـماـ قـيـماـ بـعـدـ^(٣)ـ وـيـبـدـواـ أـنـ عـدـمـ قـدـرـةـ الـعـشـمـانـيـيـنـ عـلـىـ تـشـكـيلـ جـيـشـ قـوـيـ لـمـواـجـهـةـ قـوـاتـ آلـ سـعـودـ وـسـقـعـهـمـ مـنـ جـهـةـ ،ـ وـنـقـاطـ الـحـرـكـةـ الـوـهـاـيـةـ عـلـىـ الـمـدـنـ وـالـمـراـكـزـ الـاـقـتـصـادـيـةـ مـنـ جـهـةـ ثـانـيـةـ ،ـ وـيـسـبـبـ الـمـشـكـلـاتـ الدـاخـلـيـةـ وـالـخـارـجـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـعـيـشـهـاـ الـدـوـلـةـ الـعـشـمـانـيـةـ مـنـ جـهـةـ ثـالـثـةـ ،ـ وـكـانـتـ هـذـهـ جـمـيعـهـاـ وـرـاءـ الـعـجـزـ الـعـسـكـرـيـ لـلـدـوـلـةـ الـعـشـمـانـيـةـ الـذـيـ تـمـثـلـ فـيـ عـدـمـ قـدـرـتـهـاـ عـلـىـ مـواـجـهـةـ قـوـاتـ آلـ سـعـودـ .

وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ رـأـيـ مـحمدـ عـلـيـ باـشاـ أـنـهـ فـيـ حـالـةـ نـجـاحـهـ فـيـ اـسـتـعـادـتـ الـأـرـاضـيـ الـمـقـدـسـةـ مـنـ السـعـوـدـيـيـنـ ،ـ فـاـنـهـ يـوـمـ يـوـمـ مـرـكـزـهـ حـيـالـ الـدـوـلـةـ الـعـشـمـانـيـةـ ،ـ وـعـندـئـذـ

(١) ولـ مـحمدـ عـلـيـ عامـ ١٧٦٩ـ فـيـ مـدـيـنـةـ كـلـالـلـهـ (ـقـولـهـ)ـ بـإـقـلـيمـ مـكـدـونـيـاـ ،ـ وـتـنـطـوـيـ قـصـةـ حـيـاتـهـ عـلـىـ اـسـاطـيـرـ وـتـلـاقـضـاتـ ،ـ إـلـاـ أـنـهـ عـلـىـ مـاـ يـبـدـوـ ،ـ عـاـشـ طـفـولـتـهـ يـتـيـمـاـ مـتـرـعـعاـ فـيـ أـحـضـانـ أـسـرـةـ خـرـبـيـةـ ،ـ وـاشـتـغـلـ فـيـ تـجـارـةـ التـبـغـ ،ـ وـعـنـدـمـاـ بـلـغـ الـثـلـاثـيـنـ مـنـ الـعـمـرـ تـحـقـ بـكتـيـةـ الـبـانـيـةـ ،ـ وـاظـهـرـ فـيـ الـجـيـشـ مـوـهـبـةـ وـشـجـاعـةـ ،ـ فـغـداـ قـائـدـاـ لـلـقـوـاتـ الـأـبـانـيـةـ الـتـيـ دـخـلـتـ فـيـ عـدـادـ الـجـيـوشـ الـمـرـسـلـةـ إـلـىـ مـصـرـ ،ـ وـتـمـكـنـ مـنـ تـرـسيـخـ إـقامـهـ فـيـ مـصـرـ حـتـىـ تـمـ تـصـيبـهـ عـلـيـهـاـ فـيـ ١٣ـ مـارـسـ ١٨٥٥ـ لـلـتـفـاصـيلـ انـظـرـ عـدـالـرـحـمـنـ الرـافـعـيـ ،ـ عـصـرـ مـحمدـ عـلـيـ ،ـ الـقـاهـرـةـ ،ـ ١٩٣٠ـ ،ـ صـ صـ ٦٨ـ ٧٣ـ عـدـالـرـحـمـنـ زـكـيـ ،ـ الـتـارـيـخـ الـحـرـبـيـ لـعـصـرـ مـحمدـ عـلـيـ الـكـبـيرـ ،ـ الـقـاهـرـةـ ،ـ ١٩٥٠ـ ،ـ صـ صـ ١٧ـ ١٤ـ ١٣ـ /ـ مـحمدـ شـفـيقـ غـرـيـالـ ،ـ عـصـرـ مـحمدـ عـلـيـ ،ـ الـقـاهـرـةـ ،ـ ١٩٥٤ـ ،ـ صـ ٣٣ـ ٣٩ـ .

(٢) عـزـ وـلـةـ بـغـدـادـ وـمـوـصـلـ وـدـمـشـقـ الـعـشـمـانـيـيـنـ عـنـ مـواـجـهـةـ آلـ سـعـودـ الـذـيـنـ بـدـأـوـاـ بـمـهـاجـمـةـ الـقـوـافـلـ وـالـمـدـنـ عـلـىـ أـطـرـافـ الصـحـارـىـ الـعـرـاقـيـةـ -ـ السـوـرـيـةـ ،ـ وـرـغـمـ أـنـ باـشـوـاتـ بـغـدـادـ وـدـمـشـقـ قـالـمـواـ بـعـدـ هـجـمـاتـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـتـمـكـنـواـ مـنـ الـقـيـامـ بـمـهـاجـمـةـ مـضـادـةـ ،ـ لـلـتـفـاصـيلـ انـظـرـ صـلـاقـ حـسـنـ الـمـوـدـانـيـ ،ـ الـعـلـاقـاتـ الـعـرـاقـيـةـ الـسـعـوـدـيـةـ ١٩٢٠ـ ـ ١٩٣١ـ ،ـ درـاسـةـ فـيـ الـعـلـاقـاتـ السـيـاسـيـةـ (ـدارـ الـجـاحـظـ ،ـ بـغـدـادـ ،ـ ١٩٧٥ـ)ـ صـ صـ ٣٣ـ ٣٩ـ .

(٣) مـوسـىـ ،ـ الـحـسـنـ ،ـ صـ ١٩ـ .

لا تعود الأخيرة تذكر في عزله او نقله ولا تقدم على ان تعامله معاملة سائر الولاة الآخرين . أما إذا تقاعس عن الحملة فيكون لدى الدولة العثمانية مبرراً قوياً لعزله عن ولادة مصر ، إذ كان من أهدافها إعادة سيادة الدولة العثمانية إلى إقليم الحجاز وما يتبع ذلك من استئناف إرسال قوافل الحج إلى مكة المكرمة وزيارة مسجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكانت هذه الشعائر قد توقفت ، فإذا نجح محمد علي باشا في تحقيق هذه الأهداف ، وهي أهداف عثمانية فان العالم الإسلامي سيعزو الفضل إلى مصر والى إليها محمد علي في أداء الشعائر الإسلامية المقدسة في إقليم الحجاز^(١) .

وأمدت الدولة العثمانية والتي مصر بالذخائر والأموال^(٢) ، كما دعت أمير مكة المكرمة الشريف غالب على مناصرة الحملة ، وتحريك الثورات في إقليم الحجاز ضد الوجود السعودي^(٣) ، وابتدأت الحملة المصرية عام ١٨١١ حيث احتلت في تشرين الأول منه ميناء ينبع الذي اتخذه محمد علي باشا قاعدة هجومية وقيادة لعملياته الحربية الواسعة ضد آل سعود ، ثم تقدم نحو الحجاز واستولى عليه برمته بعد

^(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

^(٢) العوينات ، المصدر السابق ، ص ٩٩.

^(٣) M.Abir , Op.cit. , P.197.

ستين(١) ، ثم توغل في نجد حيث استولى على الدرعية عاصمة السعوديين في ١٥
أيلول ١٨١٨(٢) .

ولم يأمن المصريون جانب الشريف غالب ، فأجبروه على اعتزال الإمارة وأرسلوه إلى سلطانك ، وعيّنا ابن أخيه يحيى بن سرور أميرا بدلا عنه وبقي يحى في منصبه حتى عام ١٨٢٧(٣) . إذ كان محمد علي باشا يقدم مقتراحاته للدولة العثمانية بإخراج إمارة الحجاز منبني زيد وتوليه أمير غيرهم من الأشراف(٤) . ويبدو أن بوادر عدم الوفاق بينه وبينبني زيد أخذت تلوح في الأفق بعد طرد الشريف غالب وأسرته.

وأمرت جهود والي مصر محمد علي باشا في توليه الشريف محمد بن عون أميرا على مكة المكرمة ، وبذلك انتقل الحكم إلى الفرع الثالث من نسل أبي نمى وهم (بني عون)(٥) . وسبب تعين محمد بن عون أنه كان ينافس غالب ويحيى على

(١) تجمع اختل المصادر التاريخية على أن طرد السعوديين من الحجاز كان في كانون الثاني عام ١٨١٣ ، بينما يتوهم الأمير شبيب ارسلان ، على ما يبدو ، عندما ذكر بان طرد السعوديين من الحجاز استغرق عشر سنوات بقوله "استولى الوهابيون على الحجاز ، وعجزت الدولة (العثمانية) عن اخراجهم منه فرمتهم بمحمد علي والي مصر الذي جرد عليهم الجيوش وليث يقاتلهم نحو عشر سنوات إلى ان اخرجهم من الحجاز " انظر الأمير شبيب ارسلان ، الارتسامات الطائف في خاطر الحاج إلى القدس مطاف ، وقف على تصميمها وعلق على بعض حواشيها السيد محمد رشيد رضا (مطبعة المنار بمصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٠ ، ص ١٢٦).

(٢) للتفاصيل عن العمليات الحربية المصرية في الجزيرة العربية ، انظر وثائق الارشيف العثماني باسطنبول ، وثيقة رقم ج/٤٧ ، رقم البحث ٤٠١٠ ، وثيقة غير مؤرخة ، الصواف ، المصدر السابق صص ٥٩-٦٧.

(٣) موسى ، الحسين ، ص ٢ ، بينما يذكر الصواف ، بأن أول ما فعله محمد علي فور وصوله إلى نجد هو أصدار أمره باعتقال الشريف غالب ، الذي خرج لاستقباله ، وارسله أسيرا إلى مصر ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٤) ارسلان ، المصدر السابق ، ص ١٢٦.

(٥) Hogarth, Op.cit., P42.

الز عامة في مكة ، وكان الأمير محمد بن عون قد انضم إلى جيش محمد علي ليان الحملة ، وساعدته مساعدة فعلية فحفظ له محمد علي ذلك واقطعه خمسة آلاف فدان في مصر^(١).

وكان لوجود قوات محمد علي في الحجاز ، وتأثيراته على هذه الولاية وهي تأثيرات شابهت فيما بعد إلى حد كبير تأثيرات الحكم المصري في بلاد الشام ، فقد كسرت قوات محمد علي شوكة القبائل العربية واستفادت الدولة العثمانية من الوضع الجديد ، عندما اتجهت سياستها إلى دعم قبضتها لا على الحجاز فحسب بل على شبه الجزيرة العربية^(٢).

أقام المصريون في الحجاز مدة ثمانية وعشرون عاما ، ثم انسحبوا منه في عام ١٨٣٩م ، حيث حللت حاميات عثمانية في الواقع الرئيسية محل الحاميات المصرية ، وأصبح أمر شرافة مكة منوطا بالسلطان العثماني^(٣) . وهكذا سار الأتراك على نهج محمد علي في إقامة وال بجانب الأمير (الشريف) في مكة المكرمة.

لا شك أن الحياة السياسية في الحجاز قد أشرف على مرحلة جديدة أخرى تسم بالتناقض العشاري بين القيادتين الرئيسيتين (بني زيد وبني عون) بهدف الحصول على إمارة مكة من ناحية ، ومحاولات العثمانيين بإقامة حكم مباشر في الحجاز من خلال تعيينهم للولاة والمسؤولين فيه من ناحية أخرى.

ويتضمن ذلك من إرسال الدولة العثمانية إليها من قبلها إلى الحجاز وهو ناشد باشا فأصبحت السلطة ثنائية بينه وبين شريف (أمير) مكة ، مما أدى إلى المنافسة

(١) موسى ، الحسين ، ص ٢٠ ، سعيد ، ثورات ، ص ٢٩.

(٢) كان من بوادر التشابه للحكم المصري في بلاد الشام والعجاز ، أن سمح محمد علي بعدد من الرحالة الأوروبيين بالتجول في القليم الحجاز والإقامة فيه بعض الوقت ، ودونوا ملاحظاتهم . وهكذا اسهم محمد علي في تثريب الحجاز للمعرفة الأوروبية ، انظر الصوائف ، المصدر السابق ، ص ٦٧ ، ولتفاصيل عن عمليات محمد علي العسكرية ، انظر وثائق الأرشيف العثماني باستنبول ، رقم الوثيقة ج/ ٤٧ ، رقم البحث ٤٠١٠ ، الوثيقة غير مؤرخة .

(٣) موسى ، الحسين ، ص ٢٠ .

بينهما ، فالوالى يمثل مصالح الحكومة العثمانية ويقود الجندي النظامى . أما الشريف فكان يسعى للاحتفاظ بسلطته فى المدن ، وفي حكم القبائل ، والأشراف على شؤون الحج والعجاج . وقد أدى التناقض بين الأمير والوالى ، إلى تدخل الدولة العثمانية^(١) ، إذ كانت الأخيرة تتدخل إذ حصلت مشادة بين الوالى والأمير على النفوذ والحكم فتحسمها بالطريقة التي كانت تلائم الظروف ، حيث كانت تتجأ إلى تأييد الوالى العثماني وتبدل الأمير حينما تكون قوية ، وتغير الوالى حينما تكون ضعيفة^(٢) . أو بمعنى آخر أن العثمانيين احتفظوا بشريف مكة ، إلا انهم جعلوا منه تابعاً لها^(٣) .

وقد حصل تناقض بين الشريف محمد بن عون والوالى العثماني ناشد باشا ، وأدى إلى تدخل الدولة ونفي الشريف محمد بن عون إلى الاستانة عام ١٨٥١ ، وتنصيب الشريف عبدالمطلب ، من بني زيد مكانه . ولكن الأخير عزل اثر الفتنة التي حصلت في الحجاز عام ١٨٥٦^(٤) . وإعادة محمد بن عون أميراً لمكة ، وبعد وفاة محمد بن عون عام ١٨٥٨ ، أقرت الحكومة العثمانية إمارة مكة إلى ابنه

(١) المصدر نفسه ، موسى ، الحسين ، ص ٢٠ .

(٢) محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة القومية الحديثة ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) فلامير بود يوفيتل لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديثة ، ترجمة الدكتور غيف البستانى ، دار التقدم ، موسكو ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣٣ .

(٤) كان للشريف عبدالمطلب بن غالب قد نفي إلى الاستانة بعد عزله عام ١٨٥٦ ، نتيجة فتنة وقعت بين أهل مكة والعثمانيين وكان سببها تحرير الأخيرة بيع الرقيق في مكة المكرمة ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٧٩-٨٠ .

الشريف عبدالله الذي بقي في الإمارة حتى عام ١٨٧٧^(١) ، أي خلع في السنة التالية من تولي السلطان عبدالحميد الثاني الحكم عام ١٨٧٦^(٢).

خلف الشريف عبدالله أخيه الشريف الحسين بن محمد بن عون ، ولكن الأخير لم يتمتع بمنصبه طويلاً ، فقد لقى حتفه مقتولاً بطعنة سكين في جده عام ١٨٨٠ ، وكان عمره اثنين وأربعين سنة ، وأطلق عليه اسم الشهيد الشريف الحسين بن محمد^(٣).

(١) للتفاصيل النظر ، الشيخ عبدالرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، حققه وعلق عليه حفيده محمد بهجت البيطار (مطبوعات المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، ١٩٦٣) ج ٢ ، ص ٩٦٨.

(٢) هو السلطان العثماني الرابع والثلاثون ، والده السلطان عبدالحميد ، ووالدته هي (تيري موجكان) ولد في ٢٢ أيلول ١٨٤٢ ، قضى شبابه في استانبول في بيته الصيفي في طرابيسا ، وتنتقل مع عمه السلطان عبدالعزيز إلى فرنسا ومنها إلى إنجلترا ، وتولى العرش العثماني بعد أخيه السلطان مراد ، للتفاصيل انظر اورخان محمد علي ، السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عصره ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ٨٣.

ويذكر علي الوردي بأن اسم والده السلطان عبدالحميد الثاني هي (حاجي) معتمداً في ذلك على كتاب الباحثة الألمانية (آلما وتلين) الحال بالخطاء ، وفي اعتقادنا ان المصدر الأول هو الأرجح لكونه مصدر تركي. للتفاصيل النظر على الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (مطبعة الشعب ، بغداد ، د.ت) ، ج ١٢ ، ص ١٣ ، آلما وتلين ، عبدالحميد ظل الله في الأرض ، ترجمة راسم رسدي ، (دار النيل للطباعة ، القاهرة ، د.ت) ، ص ٢١.

(٣) قتل الشريف حسين بطعنة سكين في جده على يد رجل من الأفغان تعرض للشريف وهو راكب في موكبه عند دخوله جدة ، ورغم عمليات التعذيب إلا أن الأفغاني لم يبع بشيء على الإطلاق عن بواشر الجريمة والمستربين ورائها . والقاتل اسمه فخر الدين وبكمال قواه العقلية ، وقد جرى استطلاعه في مجلس التمييز لولاية الحجاز وفق طلب من الشرفاء الكرام ، وادعى أنه من خرسان ، ثم عدل عن ذلك وادعى أنه أفغاني الأصل " وعندما سُئل عن أسباب القتل لم يصرح بشيء بل اكتفى بالقول " ما أنا الا نملة قاتلت فيلا ضخما ، ومثل هذا أمر خارج عن نطاق العقل ، فلا تحاولوا الحصول على اعتراف مني فلن اعترف بشيء . وان شئتم فاسألوا جبريل وعزرا نيل عليهم السلام عن الحقيقة ، أما أنا ملن يمكنكم الحصول على اعتراف مني في هذا -

حاول السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٨م) استغلال هذا الحادث لأشعل حدة التناقض على منصب الشرافة في مكة المكرمة فقد اقترح مطر باشا (المندوب العثماني في مصر) على السلطان عبد الحميد الثاني ، بتحويل الشريف من مكة إلى استنبول ونقل إدارة إقليم الحجاز بالكامل تحت إدارة ومسؤولية الوالي العثماني في جدة ، كما حذره من الشرافة بقوله إنها " مصدر للمتاعب " ^(١) .

ويبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني كان رجل دولة أكثر حذرا وإدراكا من ذلك المندوب ، إذ رأى أن انتقال الشريف إلى استنبول لن يكون عملاً فيه بصيرة ، لاته لربما يصبح نقطة استقطاب الرأي العام الساخط على السياسة العثمانية ، فضلاً عن ذلك فإنه سوف يفسر بأنه خطوة أولية نحو إلغاء الشرافة ، الأمر الذي سيثير إزعاجاً لدى فئات كثيرة من رعاياه السلطان ، إن لم يكن قسماً كبيراً من الرأي العام الإسلامي. وهكذا فقد فضل (السلطان) الإبقاء على منصب الشرافة في مكة ، ولكن مع ذلك فقد قرر التعامل مع المسألة بأسلوب مختلف عن أسلوب فترة التنظيمات في عهد السلاطين السابقين ^(٢) .

إن موقف السلطان عبد الحميد من الشرافة يسلط الضوء على حقيقة إدراك السلطان للمكانة المتميزة التي يحتلها الأشراف في العالم الإسلامي ، ولا شك أن لهذه المكانة تأثير قوي وخطير عليه بصفته " الخليفة المسلمين وحامي الحرمين الشرقيين " ، ومن هنا نلمس بان السلطان عبد الحميد الثاني كان حساساً في مسألة التعامل مع منصب الشرافة.

بعد اغتيال الشريف حسين عام ١٨٨٠ قرر السلطان عبد الحميد الثاني ان يبعد الإمارة إلى بني زيد ، وذلك من خلال تعينه الشريف عبدالمطلب بن غالب في هذا

- الشأن مهما عملتم وحالتم " للتفاصيل انظر وثائق الأرشيف العثماني باستنبول ، وثيقة رقم ٣٩٧٥ ، رقم الظرف ٥١ ، رقم القانون ٧٨ في ١٨ ربیع الاول ١٢٩٨ هـ الموافق ٥ شباط ١٨٨٢ م .

^(١) Abu-Manneh, Op.cit,P.5.

^(٢) Ibid

المنصب ، وقد سافر عبدالمطلب من الاستانه الى الحجاز في باخرة سلطانية خاصة كلفت الدولة العثمانية ألف وسبعمائة جنية عثماني . كما زود الشريف بثغرات سفر قيمتها ألفى جنية عثماني^(١).

لقد كان السلطان في ذلك الوقت حذرا من تعين الشريف عبدالمطلب وقد حذر الصدر الأعظم محمود نديم باشا الذي كان يتمتع بثقة السلطان من عبدالمطلب ، كونه معروفا من مذكرة كتب بعد فترة قصيرة من ثورة ١٨٥٥ ، التي كان عبدالمطلب متلقا فيها مع حسين عوني باشا ومدحت باشا^(٢) ، في عزل السلطان عبدالعزيز ، إذ جاء التقرير بأن الثورة تهدف الى " ان الخلافة سوف ترد الى اصلها (ويقصد الى قريش) وبيان عبدالمطلب سوف يرتقيها "^(٣) لقد كان السلطان عبدالحميد يعرف ذلك ،

(١) للتفاصيل انظر السباعي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص من ١٦٩-١٧٠.

(٢) ولد مدحت باشا في استنبول عام ١٨٢٢ لاب يعمل قاضيا ، وحصل على وظيفة في الصدارية العظمى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، ثم ترقى سريعا بعد ذلك في خدمة الباب العالي ، وفي عام ١٨٥٨ حصل على اجازة دراسية لمدة ستة شهور قضتها في اوروبا فزار لندن وباريس وفيينا وبروكسل ، وبعد عودته شغل عدة مناصب حكومية ، وعيّن في عام ١٨٦٥ على ولاية الدانوب ، واستدانت اليه في عام ١٨٦٨ رئاسة مجلس الدولة ، ثم عين حاكما على ولاية بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢) وعيّن في عام ١٨٧٢ صدرا اعظم ، للتفاصيل عن حياة مدحت باشا ، انظر السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٠٤-١٩٠٩ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص من ٤٩-٥٣ ، جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس ، (دار العلم للملاتين ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٠) ، ص ١٢٩.

(٣) وتشير الوثائق العثمانية المحفوظة باستنبول بان الشريف عبدالمطلب قام بتکفير سلاطين آل عثمان مرتين ، وقد اثار ذلك ضجة كبيرة في مكة المكرمة ضد السلطان العثماني عبدالعزيز بمساعدة مؤدية ، وعمل على " اثارة الناس ضد قوات الجيش السلطاني بدعوى انها قوات نصرانية " ويبدو ان مستشار السلطان هو الذي كتب هذه الوثيقة على حد تعبير الوثيقة نفسها بقولها " ويقول صاحب هذه اللائحة انه يعلم بذلك بحكم عمله في ذلك الوقت مستشارا للصدر -

لكنه أدرك ، على ما يبدو ، أن مصلحته تكمن في إزاحة عبدالمطلب من استبول لأن وجوده هناك قد اثبت إزعاجاً للدولة العثمانية ، ومن جهة أخرى كان إصرار السلطان على تولي الشريف عبدالمطلب منصب إمارة مكة كونه من عشيرة زيد ويعني ذلك أن السلطان كان يخطط لإثارة التناقض مع عشيرة عون وأن تواجه إداتها الأخرى ، وبهذا تكون الدولة العثمانية هي الفائز الوحيدة في النهاية.

ومما يؤكد ذلك فقد أصدر السلطان عبد الحميد الثاني اوامرته إلى الشريف الجديد عبدالمطلب لاخضاع بنى عون لللحظة والتدقيق " . ولكننا نلاحظ في الوقت نفسه بان العثمانيين لم تكن لديهم النية في إضعاف آل عون ، إذ ان طيلة الاشهر الواقعة بين وفاة الشريف حسين ووصول عبدالمطلب الى مكة ، فان السلطات العثمانية في الحجاز بدت أنها دون شك ضد العونيين ، ولكن لم يكن هناك أي دليل بأنهم عملوا على إجراء التحقيقات على سياسة الشريف الداخلية^(١).

وفي ٢٨ حزيران ١٨٨٠ وصل الأمير عبدالمطلب مكة ترافقه ثلاثة كتاب^(٢) من القوات كتعزيزات للحماية في الحجاز ، وفور وصوله إلى مكة أسرع بإزالة مويدي عشيرة عون من مناصبهم^(٣) ، كما أصدر الأوامر بنفي الأشخاص من ذوي النفوذ والذين توجس خيفة منهم على مركزه ، وأثر بالمنافع العامة أقاربها وبعض المقربين إليه فخصهم دون غيرهم باحتكار تجارة الفاكهة والخضر^(٤) . والانكى من ذلك ان كبير سنه جعله غير قادر على الأشراف الكامل وبكمامة على الشؤون اليومية

- الاعظم ، للتفاصيل النظر الارشيف العثماني باستبول ، رقم الوثيقة ، ٧٤ ، رقم الكارتون ١٤ ،
الوثيقة غير مؤرخة.

^(١) Abu-Manneh, Op.cit., pp. 7-8.

^(٢) مفردتها كتبية وهي فرقه عسكرية مولفة من ألف رجل.

^(٣) Abu-Manneh, Op.cit , p. 8.

^(٤) وكان الشريف عبدالمطلب يصدر قرارات يطلق عليها (تقارير) وبمقتضاهما تتوقف حرية تداول الفواكه والخضر ويصبح الاتجار فيها محصورا في أيدي بعض التجار من مكة هم جملة تلك التقارير يتحكمون في عرضها وتسعيرها ، للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٨١-٨٠.

للشرافة ، بل تركت إدارتها في أيدٍ غير ذات خبرة ، إذ تولّها أحد أبنائه الكبار وسكتيره^(١).

لا شك أن تصرفات الشريف عبدالمطلب بن غالب كانت جائزة وأضرت بمصالح الشعب الحجازي ، فادى إلى ردود فعل عنيفة تمثلت بانتشار التذمر في طول البلاد وعرضها ، وتآزرت العلاقات بين الشريف عبدالمطلب وبين ناشد باشا الوالي العثماني ، ورأى السلطان عبدالحميد الثاني ان يتدخل لتسوية الموضوع تسوية سليمة تتطوي على المحافظة على كرامة الشريف وتصحيح الأوضاع الجائرة التي ادخلها ، فقرر السلطان عبدالحميد عزل ناشد باشا ، وعيّن بدله صنفوت باشا في ٣ تشرين الأول ١٨٨٠ ، وزوّده بأوامر تقتضي بإلغاء التقارير التي أصدرها الشريف عبدالمطلب بن غالب والسماح للتجار بعمارسة نشاطهم بحرية ، الأمر الذي أثار استياء الشريف عبدالمطلب بن غالب من ما أصدره الوالي الجديد وسرعان ما نشب الخلاف بينهما . وازدادت الهوة التي تفصل بين الشريف والوالى ، ووافت الاستانة على أبناء هذا النزاع ، وأراد السلطان عبدالحميد الثاني ان يعطي الشريف عبدالمطلب فرصة أخرى ، فاصدر فرماناً بعزل صنفوت باشا وتعيين احمد عزت باشا الذي وصل مكة المكرمة في ٢٢ تشرين الأول ١٨٨١ ، وكان رجل طاغعاً في السن قد قارب التسعين من عمره ، ولكن سرعان ما أطل الخلاف التقليدي بين الشريف والوالى . الواقع ان احتدام التناقض بين الشريف والوالى وحرص كل منهما على الاستئثار بأكبر قدر من السلطة والنفوذ قد أدى إلى إهمال مصالح الحجاز ، وكانت السياسة العليا للدولة العثمانية في ولاياتها تقوم على هذا المبدأ ، وهو تقسيم السلطة في الولاية وتوزيع السلطة بين عدة هيئات حتى لا يقوم الوالى او غيره من كبار الموظفين بحركة انفصالية عن الدولة العثمانية^(٢).

ومن جانب آخر ، ان تعيين الشريف عبدالمطلب في منصب أمير مكة المكرمة ، فضلاً عن التصرفات التي قام بها ، أدت إلى خضب وإثارة بني عون

(١) Abu-Manneh, Op.cit., p. 8.

(٢) الصواب ، المصدر السابق ، ص ٨٤.

الذين قرروا إرسال وفد إلى الاستانه يحمل التماسا إلى السلطان موقع من ٤٠٠ مكي^(١) ، بهدف التماسه بعزل الشريف عبدالمطلب ونزع الشرافة من بنى زيد وأعادتها إلى وضعها السابق في فرع بنى عون ، وكان من بين أعضاء الوفد الحسين بن علي (ملك الحجاز فيما بعد) . ولجا الوفد إلى إثارة السلطان على مناقفهم عبدالمطلب فحدثوه طويلا عن صداقة عبدالمطلب للإنجليز ومدحت باشا ، بعد ان نفى الأخير خارج استنبول إلى مدينة الطائف بتهمة مقتل السلطان عبدالعزيز^(٢) .

وفضلا عن ذلك فقد انتشرت في استنبول إشاعات مفادها بأن البريطانيين كانوا يخططون لإثارة الأضطرابات في الحجاز وذلك بتقديمهم الرشاوى لشيوخ القبائل البدوية وبأنه " تم إرسال مليون جنيه إنجليزي في ذلك الوقت بهدف نشر الأضطرابات وحث الناس عليه " . وكانت هناك إشاعة أخرى تشير بأن محمد المهدي الزعيم السنوسي في سيرينايكا Cyrenaica الذي كانت لديه علاقات صداقة مع الشريف " بأنه يترأس عشرة آلاف من اتباعه وهو في طريقه نحو مكة . كما إن الوالي العثماني صفت باشا كان متزعجا من هذه الأخبار ، فابرق إلى استنبول متهما الشريف عبدالمطلب بن غالب بإقامة علاقات مع السنوسي^(٣) .

ومن الصعوبة بمكان معرفة مقدار الحقيقة وراء تلك الشائعات ، وعلى أيه حال ، وبعد أشهر قليلة من ظهور تلك التهم كتب الشريف عبدالمطلب بن غالب رسالة إلى الباب العالي ، يتهم فيها العونيين بنشر التحريض على الفتنة والتأمر ، وقد أوصت وزارة الحرية للسلطان ، بعد وصول هذه المعلومات ، بأن يرسل مسؤولا

^(١) Abu-Manneh, Op.cit., p. 9.

^(٢) للتفصيل عن الاتصالات بين الشريف عبدالمطلب وبين غالب مع الإنجلiz ومدحت باشا والتي نقلها وفد بنى عون للسلطان عبد الحميد الثاني ، انظر الأرشيف العثماني باستنبول ، رقم الظرف ٧٤ ، رقم الكارتون ١٤ ، الوثيقة غير مؤرخة ، المصواف ، المصدر السابق ، ص من ٨٤-٨٥ ، صابغ الهاشميون والثورة ، من ٣٥.

^(٣) Abu-Manneh, Op.cit., p. 9.

عثمانياً موثقاً به للتحقيق في الأمر ، كما يرسل قوة عسكرية لتعزيز الجيش في الحجاز^(١) .

وعهد السلطان عبد الحميد إلى القائد التركي عثمان نوري باشا بهذه المهمة ، وتوجه إلى الحجاز بمرافقة أكثر من ٢٠٠٠ من القوات ، وعين القائد عثمان أول مرة قائد أعلى ، على أن يكون بعد ذلك والياً للحجاز أيضاً . وارسل توصية إلى السلطان بأنه سوف يعمل على تثليص سلطات وامتيازات الشريف ، وكانت توصيته دقيقة ومفصلة دافع فيها عن تحديد سلطات الشريف ، وجاء فيها " يجب أن يتم تثبيت امتيازات الشرفه وأن تعرف بالأسلوب الذي يتطابق مع الحقوق المقدسة للسلطنة السامية " التي تعني عملياً تجريد الشريف من كل سلطات حكمه ، وقد أوصى الوالي عثمان بأن الشريف سوف لن يكون له مهام قضائية ، ولن يكون له جيش خاص إلا عدداً محدوداً من (الضبطية) الذي يعينهم الوالي ، ولن يكون له مسؤولية على شؤون المسجد الحرام وليس له الحق في تعيين موظفيه أو الاعطيات في العجاز ، وإن لا يكون له الحق في تعيين نقيب الأشراف ، وليس لأحد أن يعين المحاسب أو الشيوخ للروابط أو الأقسام المدنية ، وأشار الوالي العثماني أن تلك الامتيازات يجب أن تنتقل إلى الوالي بدلاً من أشراف مكة ، وبالنسبة لشئون القبائل فأن حق تعيين أو طرد الشيوخ يجب أن يتم تسليمها إلى الوالي ، ولكن توزيع حصصهم يجب أن يتم بعد التشاور وموافقة الشريف^(٢) .

ولقد تم مواجهة التوصية ، على ما يبدو ، باستحسان من قبل الباب العالي ، وقد أصدر السلطان أوامره بـ "الشروط والتحذيرات" التي اقترحها الوالي العثماني ، أكدتها السلطان بفرمان تقليد للشرفاء في المستقبل من أجل العمل في ضوئها . وهكذا تولى الوالي عثمان كل السلطة في الحجاز^(٣) .

^(١) Abu-Mannah, Op.cit., p. 10.

^(٢) Ibid.

^(٣) Ibid, p.11

وأمام هذه التطورات يمكننا التأكيد بأن نهاية الشريف عبدالمطلب بن غالب لم تكن بعيدة إذ عثر في عام ١٨٨٢ بيد أحد رجال البلاط على خمس رسائل تحمل ختم الشريف عبدالمطلب ومؤرخة ٢٠ آب ١٨٨٢م ، وكانت واحدة معنونة إلى القنصل البريطاني في جدة وأخرى إلى محمد بن رشيد حاكم حائل المستقل والثالثة إلىشيخ قبيلة حرب واثنين إلى الشريفين القائدين "لحزب زيد" . إن محتويات هذه الرسائل تظهر بأن هناك حركة ثورية يهد لها الشريف عبدالمطلب ، ودون أن يتحقق في الأمر سارع الوالي عثمان نوري باتهام الشريف عبدالمطلب بأن لديه نوايا ثورية فألقى القبض عليه ، وأعلن عن عزله ، إذ أن التقرير المرسل للسلطان يؤكد بأنه قد كانت لديه النية ل القيام بمثل هذا العمل ، ولكن الهيئة التحقيقية العليا التي أرسلت من استنبول أظهرت بأن الشريف عبدالمطلب لم يكن له يد في الأمر ، وبيان الرسائل يمكن ان تكون مزورة من قبل سكرتاريه ، ولكن ذلك جاء متأخراً^(١) ، بعد ان عزل عن شرافة مكة المكرمة وزوج في سجن الطائف ، ثم نقل من هناك إلى منزله بالبياضية بالمعابده في مكة المكرمة حيث قضى ما تبقى له في الحياة حتى وفاته في ٢٩ أيار ١٨٨٦^(٢) .

بعد عزل الشريف عبدالمطلب بن غالب ، عين السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٨٨٢ الشريف عون بن محمد المعروف بـ (عون الرفيق)^(٣) ، مكان أخيه عبدالله بن محمد بن عون ، ثم عين الأخير وزيراً في الاستانه وانعم عليه برتبة

^(١) وثائق الأرشيف العثماني باستنبول ، رقم الوثيقة ٧٤ ، رقم الكارتون ١٤ ، الوثيقة غير مؤرخة.

^(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٦ ، عارف عبدالغفي ، تاريخ امراء مكة المكرمة من ٥٨ - ١٢٤٤ ، دار العشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٣٢ ، ص ٨٣٨ .

^(٣) الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون هو الابن الاصغر من حسين باشا للشريف محمد بن عون ، وقد تولى امارة مكة وكالة لحين وصول أخيه حسين باشا ، الذي عينته الحكومة اميراً على مكة ، في آب ١٨٧٧ ، وفي شهر ايلول من السنة ذاتها ، ارسل الشريف عون الرفيق إلى استنبول ليعمل عضواً في مجلس شورى الدولة وهو بدرجة وزير ، للتفاصيل عن سيرة عون الرفيق قبل توليه الامارة انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

الباشوية نهاية ببني زيد ، ومكافأة لبني عون الذين نفذوا أمر السلطان بقتل محدث باشا وهو في سجنه^(١).

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات الشريفية - العثمانية قد شهدت مرحلة جديدة على يد الوالي عثمان نوري ، الذي عمل على تقويم امتيازات الشريف بل وتحديدها ، والواقع أن عثمان كان والياً قريباً استند على قوة شخصيته وارائه ، فضلاً عن القوة العسكرية التي كانت تحت تصرفه ، بهذا تمكن من انتهاج حكم عثماني جديد في الحجاز يقضى بحكمه مباشرة من قبل الدولة العثمانية ، ونال ، كما اتضح ، تأييد السلطان عبد الحميد الثاني.

ولم يكتف الوالي العثماني عثمان نوري بذلك ، بل حاول تقويم الشرافة إلى الصفر ، ففي بداية ١٨٨٣ عين نفسه حامياً للمسجد الكبير (شيخ الحرم) في مكة ، فضلاً عن منصبه كوالى وقائد أعلى ولا شك أن هذا المنصب الجديد قد أعطاه سيطرة المباشرة على علمائه وعمال حرم^(٢).

وقد أدرك الشريف الجديد (عون الرفيق) ضعف موقعه منذ تعيينه في أيلول ١٨٨٢ أميراً على مكة المكرمة وشريفها^(٣) . وحاول عون الرفيق أن يبحث عن دعم طبيعي عن طريق مصر ، ولكن بعد سقوط الخديوي اسماعيل وسيطرة البريطانيين على القاهرة لن يستطيع الخديوي أن "يلعب دور حامي الشريف"^(٤) ، الأمر الذي دفع بأمير مكة المكرمة وشريفها ، على ما يبدو ، إلى الابتعاد عن تحدي الوالى عثمان نوري ومجاملته.

وهكذا عمل الشريف بسياسة الأمر الواقع ، وطبقاً للتقارير التي اعلناها الوالى العثماني ، إذ امتنع عن كل شيء باشتئام النشاط الشعبي والأكثر تحديداً ، انه أعلن

(١) ربيع ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨١.

(٢) Abu-Mannach, Op.cit., p. 13!

(٣) البنتولي ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

(٤) عبدالعزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٦) ، ج ٢ ، ص ١٠١٣.

مقابلة العامة في أيام الجمع فقط ، كما سمح للزوار بمقابلته بشكل رسمي ، وامتنع عن البت بأمور القضاء ، وأشار بعض الناس من الطائف انهم ينتظرون لمدة ستة أشهر في مكة دون ان يجتمعوا بالشريف ، وكان عثمان من ناحية قد اظهر احتراما بالغا للشريف وكان يقوم بزيارته مرة في الأسبوع^(١) .

والواقع ان العلماء والوجهاء في الحجاز قد استنادوا من السياسة العثمانية ، لانهم كانوا لا يرغبون رؤية الوالي العثماني الذي اشتغل سلطات الشريف ، لانهم يعدون الشريف هو الحاكم التقليدي ، وباستمرار حكمه يتم المحافظة على القيم والتقاليد الحية لديهم . فضلا عن ذلك فقد كان الشريف رمزا لكيانهم الشبه مستقل ، وحاميه من الدولة التي اظهروا خوفهم منها بشكل واضح ، وكان حرمانه من سلطات حكمه ونفوذه من اجل احكام السيطرة العثمانية قبضتها على الحجاز ، يعد أمراً ذا أهمية بالغة جدا ، وبذل استند اغلب الرأي العام المحلي للجازيين على مساندة الشرافة^(٢) .

ويبدو ان الوالي عثمان نوري قد أدرك ، او بالوشایة على اكثرا الاحتمال ، ردود فعل العلماء والوجهاء الجازيين الرافضين لسياسة المركزية في الحجاز ، ويتصفح الأمر جليا من قوله لنائب القنصل البريطاني بأنه " من الضروري حرمان كل الرجال المؤثرين في مكة وجدة من القوة لفعل الشر "^(٣) اي انه بعد رفض الجازيين لسياسة الظلم " فعل شر " ، لا سيما وان حركات المعارضة برزت بشكل علني من قبل قبائل زبيد ، وبشر ، ومعبد ، وسلام ، وقطع أفراد هذه القبائل طريق التوافل بين جدة ومكة المكرمة في ٤ آب ١٨٨٣^(٤) .

^(١) Abu-Manneh, Op.cit., p. 13.

^(٢) Ibid p. 14.

^(٣) Ibid.

^(٤) وقد جهز الشريف عون للرفيق حملة عسكرية لقتالهم ففروا الى عسفان ، ولا حقتهم قواته حتى اوقعت بهم الهزيمة وادخلتهم في طاعته ، للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٧.

وهكذا بدا الوالي العثماني سياسة تعسفية ضد الوجهاء والعلماء ، اذ أرسل ثمانية منهم الى المنفى ، كما حكم على عمر ناصيف^(١) (وكيل الشريف عون الرفيق في مكة) بالسجن لمدة خمسة عشر سنة ، لاتهامه بالاشتراك في الانضطرابات التي قامت بها تلك القبائل ، وفي الوقت نفسه فرض الوالي عثمان نوري سيطرته على رواتب واعطيات العلماء والأشراف كوسيلة أخرى بفرض الضغط عليهم ، فضلاً عن ممارسة أساليب الضغط عليهم . فضلاً عن ذلك التجأ الوالي الى سياسة خبيثة لزيادة حدة التناقض والتباين بين العشائر الحجازية ، عن طريق منحه الإعانات السنوية الاعتيادية من القمح لعشيرة دون أخرى وهذه الوسيلة مارستها بشكل واضح ضد عشيرة حرب التي سيطرت على الطريق بين مكة والمدينة بينما حاول التقارب من عشيرة عتبة^(٢) .

وهكذا فان الحجاز في عهد إمارة عون الرفيق ، وبفعل سياسات الوالي عثمان نوري ، قد سادها سوء الإدارة ، وفقدان الأمن ، وإثارة الفوضى والفتنة ، وتفشي الرشوة والوشایة ، وتعلم الناس من كثُر ما وقع من جور وظلم^(٣) .

ولم يكتف الوالي العثماني بذلك ، بل أراد التدخل في تركيبة المجتمع المكي من أجل فرض سيطرته على شيوخ قطاعاته ، اذ ان مكة كغيرها من المدن الإسلامية التقليدية مقسمة الى قطاعات كان يترأس كل منها شيخ يعين من بين سكانها من قبل الشريف ، وبذا كان الشريف يسيطر على سكان المدينة ، وأدرك الوالي بان هذه أحد أعمدة سلطة الشريف في مكة ، وهكذا فقد أعلن في (مجلس إداري) مكة نيته عن إلغاء نظام الشيخ الواحد ، وتعيين ثلاثة أشخاص بدلا عنه^(٤) .

^(١) وهو رجل ذو ثروة كبيرة ونفوذ وحامل لوسام عال منحه اياه السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر Abu-Manneh, Op.cit., p. 14.

^(٢) Ibid, pp. 14-15

^(٣) موسى ، الحسين ، ص ٢٠ .

^(٤) Abu-Manneh, Op.cit., p. 16.

ولا شك ان هذه السياسات جعلت من عثمان نوري شخصية غير محظوظ وغير ذي شعبية ، وقد تركزت المعارضة ضده من قبل علماء ووجهاء مكة ، التي أصبحت أكثر فعالية وأكثر تماسكاً منذ عام ١٨٨٥ ، اذ أدرك الرأي العام المكي بأن الهدف من وراء سياسات الوالي العثماني يكمن في جمع الضرائب وفرض التجنيد الإلزامي. وفي أعقاب إعلان عثمان عن سياساته الأخيرة في المجلس ، فقد أصقت لوحة الإعلانات على بوابات الحرث تهاجم الوالي وتشير بأنه "ينوي تنفيذ التظيمات في الأرض المقدسة" ، وان نوايا عثمان باشا لتعيين ثلاثة أشخاص لكل قاطع كانت "لتتنفيذ إيجاصاء السكان لفرض جمع الضرائب وتطبيق التجنيد الإلزامي" ، وقد دعت هذه الإعلانات "أهل مكة لليقظة" . كما أعلنت عن تأسيس جمعية تدعى "الجمعية الإسلامية" هدفها الإطاحة بالوالى "الذى يتصرف مثل القيصر" . وسررت الإعلانات مظالم الوالي العثماني وهدمه بالموت ، وفي النهاية أعلنت بأن "الذى يقتل هذا الرجل سوف يدخل الجنة دون حساب" ^(١).

وعلى الرغم من هذه التهديدات الا ان أحدا لم يقم بأى عمل عنيف ضد الوالي ولكن الحملة المضادة له أخذت شكلا آخر تتمثل بممارسة الضغط عليه عند السلطان ، اذ أرسل الشريف (عون الرفيق) عدة رسائل وبرقيات الى السلطان يتهم فيها الوالي ، بعدم إعطاء قبيلة حرب عطاياهم السنوية كاملة ، وهذه السياسة هي التي دفعت بقبيلة حرب الى منع القوافل من العبور الى المدينة ، كما اشتكتى من سلوك الوالي اتجاه علماء ووجهاء مكة ^(٢).

وفي الوقت نفسه وقع سبعة وعشرون من علماء وشريفاء مكة التماسا (عرضة) الى السلطان اشتكتوا فيها من اضطهاد الوالي اتجاههم ، اذ أكدوا "ان العديد من العلماء والوجهاء قد سجنوا وعذبو واتهموا بانواع مختلفة من التهم الخامدة دون عدل" . كما اتهموا الوالي عثمان بعدم دفعه الرواتب والعطايا المعطاة

^(١) Ibid . PP 16-17.

^(٢) التفاصيل عن مضمون اعلن المعارضه ضد سياسة الوالي العثماني انظر : Abu-Manneh , Op.cit. , p. 17.

بشكل معتاد الى أصحاب المقامات العليا ، وانهوا التماسهم (عريضتهم) بمطالبة السلطان بتطبيق عدله . وأشاروا بأنهم ليس لديهم طريقة للتخلص من ظلم الوالي الا الهجرة^(١) . وما زاد الأمر تأزماً مغادرة الشريف عون الرفيق مكة عام ١٨٨٦ بمرافقة أهل بيته ومؤيديه الى استنبول ، وفور وصوله أرسل الشريف وفداً للسلطان يسأله اما إعفائه من منصبه للشرفية والإماراة على مكة المكرمة ، او عزله للوالي عثمان عن ولاية الحجاز ، معلناً بأنه لا يستطيع العودة الى الحجاز طالما ان الوالي فيه^(٢) .

وفي ضوء ذلك نلاحظ ان الحل النهائي بين رأسى السلطة في ولاية الحجاز لم يتقرر في مكة المكرمة عاصمة الولاية وإنما في استنبول عاصمة الدولة العثمانية . فقد أصدر السلطان عبدالحميد الثاني فرماناً بعزل الوالي عثمان نوري وتعيين حسين جميل بدله في منصب ولاية الحجاز ، ومع ذلك لم يأمن عون الرفيق جانب الباشا العثماني الجديد ، ولم يلبث أن قامت أزمة عدم ثقة بين الرجلين ، وبات الشريف يتوجس خيفة منه ويضطهد أي فرد يحاول الاتصال بالوالي ، وكثرت الأوامر التي صدرت منه بسجن او نفي كل من حامت حوله شبهة الاتصال بالوالي العثماني ، ولم ينجح أعيان الحجاز وكبار رجال الدين والفكر من بطش الشريف عون الرفيق ، اذ كان من بين هؤلاء الذين صدرت ضدهم أوامر النفي أمام الشافعية ومفتى الأحناف ومفتى المالكية ونائب الحرم وسادن الكعبة الشريفة ، ووصلت هذه الآباء الى الاستثناء ، فامر السلطان بإطلاق سراح المعتقلين والسماح للمنفيين بالعودة الى بلادهم ، كما أرسل لجنة برئاسة احمد راتب باشا لتقصي الحقائق ، واستطاع الشريف عون الرفيق ان يستميل رئيس اللجنة احمد راتب باشا الى جانبه ويكسب وده ، وبالتالي جاءت النتيجة في مصلحة الشريف وتحمل الوالي حسين جميل باشا مسؤولية ما حدث . وفي ضوء هذا التحقيق صدر فرمان (أمر) سلطاني بعزل حسين جميل

^(١) ربيع ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، عبدالغنى ، المصدر السابق ، ص ٨٤٠ .

^(٢) Abu-Manneh, Op.cit , p. 17.

باشا وتعيين احمد راتب باشا واليا على الحجاز ، وظل عون الرفيق أميرا على مكة المكرمة^(١).

وقد استطاع الشريف عون الرفيق بدهائه السياسي ان يوطد علاقاته بأحمد راتب باشا الوالي العثماني ، ويضع نهاية للمنازعات التي كانت تحدث في معظم العهود ان لم يكن في جميعها بين أمير مكة المكرمة وشريفها وبين الوالي العثماني . وكان هذا التقارب والتواط قد بنى على أساس التفاهم المسبق ولقاء المصالح الشخصية بينهما على حساب مصالح أهل الحجاز^(٢).

وهذا ما يعطينا التفسيرات وراء أسباب طول فترة الوالي احمد راتب باشا في منصبه ، اذ استمرت لمدة أربعة عشر عاما (١٨٩٤-١٩٠٨) ، فضلا عن ضعفه مقارنةً بمن سبقه من الولايات^(٣).

وفي ظل سياسة الوفاق والتصالح زاد الشريف (عون الرفيق) من استبداده ولجا الى طرائق تعسفية استهدفت جمع الأموال بمختلف الطرائق ، وكان الوالي العثماني يتقاسم معه جزءاً من حصيلة هذه الأموال ، وقد تفنن الشريف عون بوسائل ظلمه وطغيانه في الولاية ، الأمر الذي أدى الى ارتقاء أصوات الرفض والاحتجاج اتجاه سياساته من أهل الحجاز^(٤) ، حتى وصفه معاصره " بأنه طاغ ومستبد في سلوكه وفاسد ويسطر عليه الجيش " كما وصف بوصف آخر مفاده " كونه يفتقد للذوق والقدرة الإدارية " ، بل ان الاتهامات وجهت للسلطان أيضاً بمحافظته على عون الرفيق كشريف وأمير على مكة المكرمة ، لأسباب "فرض السيطرة المركزية وجباية الأموال "^(٥).

(١) الشناوي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٧.

(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٠

^(٣) Abu-Mannach, Op.cit , p. 18.

^(٤) للتتفاصيل عن سياسة الشريف التعسفية ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٣-٩٠ ، فؤاد حمزة ، قلب الجزيرة العربية ، مكة المكرمة ، ١٩٣٣ ، ص ٣١٥.

^(٥) Abu-Mannach, Op.cit., p. 19

ويبدو ان السلطان عبدالحميد الثاني كان على دراية تامة بسلوك الشريف (عون الرفيق) ولكنه كان يغض النظر عنه ، لانه كان يرى في ذلك تقليل بشأن وسمعة العائلة الشرفية التي كانت تنافسه في سلطنته الروحية سواء في الحجاز او في الإمبراطورية العثمانية او في العالم الإسلامي كافة ، اذ كان الأشراف يحظون بالتعاطف والدعم منهم ، الا ان سلوك الشريف قد أساء الى موقعه وأدى الى البدء في فقدان ذلك التعاطف والدعم . ويبدو ان السلطان عبدالحميد الثاني قد وجد في سياسة وسلوك الشريف عون الرفيق ما يحقق مطامحه في توضيح شرعية خلافته أمام الكثير من المسلمين وبخاصة العرب الذين كانوا على اقتناع تام بعدم شرعية عبدالحميد الثاني بالخلافة ، اعتقادا منهم بان الخليفة يجب ان يكون من قريش . وهكذا تتضح لنا سياسة ودهاء عبدالحميد الثاني في إبقاء الشريف (عون الرفيق) في منصب شرافة وامارة مكة المكرمة ، لانه وجد فيه الجواب الواضح في الرد على المسلمين العرب الذين يرون ان تكون الخلافة (عربية - قريشية) ، لينظروا كيف يتصرف هؤلاء الأشراف المرشحين ، بنظرهم ، لمنصب الخلافة العربية .

وفي المقابل فقد اصدر السلطان عبدالحميد الثاني اوامره ببناء مأوى في مكة للحجاج القراء ، وإرسال الأموال في موسم الحج لتوزيعها على الحجاج القراء ، كما باشر بتنفيذ سكك حديد^(١) الحجاز عام ١٩٠٠ واعلانه ان الهدف منها هو لجعل

^(١) صاحب مكرة انشاء سكك حديد الحجاز هو سكريتير السلطان عبدالحميد الثاني (عزه باشا العابد) وقد يوشر العمل فيه عام ١٩٠٠ بعد ان عهد به الى مهندسين من الامان ، وكان انشاؤه يتعلق بعوامل سياسية وعسكرية ، وخاصة بعد ان سيطرت بريطانيا على قناة السويس ، وذلك لضمان وسيلة فعالة لنقل الجنود والمعدات في اسرع وقت الى جهات الجزيرة المختلفة ، ولتسهيل الاتصال بالحرمين الشريفين ، وقد تم العمل في انشاء الخط من دمشق الى المدينة المنورة ، أي مسافة ١٣٠٣ كيلومتر ، للتفاصيل ، انظر اورخان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، العوينات ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، الصواب ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

طريق الحج آمنا ومرحبا . ولكن المشروع في حقيقته يهدف إلى خضوع الحجاج للسيطرة المركزية في استنبول^(١) .

كما كانت هناك إعانت توخذ من الحاج المسلمين كافة لتنفيذ هذا المشروع لتسهيل أمر الحجاج ، ولكن الشريف عون الرفيق أمر أن يكون هذا التبرع إجبارياً وإن يفرض على كل حاج غير مسر ريلا ، فأخذ المطوفون بجمع تلك الريالات من الجميع رغم أنه كان من ضمن العجاج بعض الأعيان والأمراء الذين يقومون بالtributes الكبيرة التي تصل إلى العشرات من الآلاف ، ولكن الشريف قد شدد أوامرها بعدم خروج الحاج من مكة المكرمة بعد الانتهاء من المناسك قبل دفع تلك الضريبة ، وإن يحبس الحاج جميعهم في مكة المكرمة مدة لا تقل عن سبعة أيام لتنفيذ البلد من بقائهم^(٢) .

ومن ناحية أخرى ، فقد اشتد التناقض بين الأشراف على منصب إمارة مكة المكرمة اثر وفاة الشريف (عون الرفيق) عام ١٩٥٥ ، وقد تحول تناقض الأشراف إلى تنازع واقتتال إلى حد أن أحدهم قتل أخيه وقتل آخر أبيه وتحول الأشراف إلى قطع شطرنج^(٣) في هذه المرحلة ، يتلاعب السلاطين وزراؤهم في الاستئثار بهم بحسب ما يرونها متمنياً مع أمن الدولة الخارجي والداخلي . وكان المرشحون يتنافسون على تقديم الوعود والعقود للسلطات الحاكمة في الاستئثار طمعاً في أن يظفر الوارد منهم بمنصب أمير مكة المكرمة وشريفها^(٤) .

ويوصي الأمير عبدالله بن الحسين في مذكراته تلك المرحلة بقوله ، انه كان يحفظ أشعاراً حماسية عن الصراع بين عائلته وفروع الأسرة الهاشمية المنافسة

(١) محمد عبدالباقي عشماوي ، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية وعربية (مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ٥١.

(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

(٣) صالح الهاشميون والثورة ، ص ٣٤.

(٤) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

^(١) ، والتي بالتأكيد كان السلطان عبد الحميد الثاني يغذي هذا الصراع ويوظفه لخدمة مصالحه المختلفة.

وهكذا فقد إقليم الحجاز على عهد السلطان عبد الحميد الثاني استقلاله الذاتي الذي كان متعملا به ، كما فقد منصب الشرافة في مكة المكرمة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الكثير من نفوذه المقدس في نفوس المسلمين بسبب سلوك عن الرفيق . وأصبحت الأمور في إقليم الحجاز تسير وفق فرمانات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني من جهة وارادة الوالي من جهة أخرى ، التي كانت تهدف إلى تجريد منصب الشرافة من مكانته وسمعته في إقليم الحجاز وخاصة والعالم الإسلامي بعامة. بل ان هذه المرحلة قادت إلى زيادة التنافس والتناحر لتأتي منصب أمير مكة المكرمة وشيفها بين أحفاد أبي نمي من قنادة مجتمعة على الرغم من انه كان على اشدّه في هذه المرحلة بين السلطتين القياديتين في الحجاز (بني عون وبني زيد).

^(١) يذكر الملك عبدالله ، بقوله "ويذكر في الايام بين بني عون - وهو بيتنا - وبني زيد - وهو الفرع الثاني من امراء مكة - ذاكرات الشعرا حمسية لازال اذكرها" . انظر عبدالله بن الحسين ، مذكري (مكتبة بئر نومه ، عمان الاردن ، ١٩٨٩ ، ط ١) ، ص من ١٠-٩.

الفصل الثاني

الراسلات الشرعية - العشائبة

١٩١٤ - ١٩٠٨

الفصل الثاني

المراسلات الشريفية - العثمانية ١٩٠٨ - ١٩١٤

- ١ - الحسين بن علي حتى توليه الشرافة.
- ٢ - إمارة الشريف حسين على مكة.
- ٣ - العجائز بين الحسين والاتحاديين .
- ٤ - تدهور العلاقات بين الاتحاديين والشريف حسين .

١ - الحسين بن علي حتى توليه الشرافة :

ولد الشريف حسين بن علي^(١) في الاستانة عام ١٨٥٣م ، خلال اماره الشريف عبدالمطلب بن غالب في مكة ، اذ كان والده وحده محمد بن عون يقيمان يومذاك هناك^(٢) ، وانتقل منها الى مكة مع اسرته وهو في الثالثة من عمره ، وذلك عند اسناد منصب الشرافة الى جده للمرة الثانية عام ١٨٥٦^(٣).

وفي عام ١٨٥٨ سافر والد الحسين الى الاستانة اثر وفاة والده محمد بن عون في العام نفسه^(٤) ، بينما ظل الحسين في مكة يتلقى تعليمه في مدارس خاصة للالشراف في مكة ، لعدم وجود مدارس عربية آنذاك ، فشغف الحسين في المطالعة والدرس ، وتفقه في امور الدين ، وحفظ القرآن^(٥) ، ثم ما لبث ان علم بانحراف صحة ابيه فسافر الى الاستانة واقام فيها الى جانبه حتى توفي عام ١٨٧٠^(٦).

(١) الحسين بن علي بن حسين بن عبدالله بن حسين بن ابي نبي (محمد) بن برकات بن حسن بن عجلان ... علي بن ابي طالب ، انظر خير الدين الزركلي ، ما رأيت وما سمعت ، المطبعة العربية ، مصر ١٩٢٣ ، ص ١١١ ، عبدالله ، مذكراتي ، ص ٩.

(٢) جده محمد بن عون عزل عن الامارة عام ١٨٥١ وخشي السلطان العثماني لزدياد ثفوذه واسع سلطانه ، وعلو مكانته فلقي الى الاستانة ، وهناك ولد الحسين بن علي . انظر حكمت عبدالكريم فرحان الثورة العربية الكبرى وتضليل العرب المعاصرة ، (مكتبة دار الثقافت ، عمان ١٩٩٠) ، ص ٥٦.

(٣) حسين محمد ناصيف ، ماضي العجائز وحاضرها ، (مطبعة خضير ، مصر ، ١٣٤٩ ، ج ١ من ٣) ، سليمان موسى ، غربيون في بلاد العرب (منشورات دار الثقافة والفنون الاردنية المطبعة الوطنية ، ط ١ ، عمان ١٩٦٩) ص ١٦٣ .

(٤) اشتغل والد الحسين في الاستانة في المناصب الحكومية ، ومنها عضوا في المجلس الاعلى ، ثم صار وزيرا وعين عضوا في مجلس الشورى ، للتفاصيل انظر أمين الريحاني ، ملوك العرب بيروت ، ١٩٢٩ ، ج ١ ، ص من ٣-٤ .

(٥) فريحات ، الثورة ، ص ٥٦ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص من ٣-٤ .

(٦) موسى ، الحسين ، ص ١٧ .

واضطربت وفاة والده للعيش تحت رعاية عمه الشريف عبدالله بن محمد بن عون الذي تولى الشرافة منذ ١٨٥٨ ، فقربه إليه ، وأخذ يعده لتحمل المسؤولية ثم جعل يسراه في المهام ، اذ سافر في أيامه إلى نجد ، وطاف في شرق الحجاز للوقوف على قبائل تلك الاتحاء وعشيرتها ، واختبر أحوال البدو وأساليب حياتهم حتى صار وكأنه الصلة الدائمة بين إمارة مكة والقبائل الحجازية وغيرها^(١) ، وكان من شدة اعجاب عمه به وحبه إليه أن زوجه من ابنته (عابدية خاتم) التي انجبت له اولاده الثلاثة علي ، عبدالله ، فيصل^(٢).

اختلف الذين عرفوا الحسين في تقديرهم لشخصيته فقال بعضهم انه كان يحمل قلباً خفافاً وهو رجل لطيف ، ونبيل مهذب ، وكان حسن المعشر ببيج الطاعة ، رقيق المحسنا ، وادابه في السلوك رفيعة وعاداته نفيسة ، يعمل بالخلاص ويدون تصنّع^(٣).

^(١) المصدر نفسه ، ص ١٨ ، فريحت ، الثورة ، ص ٥٦ .

^(٢) توفيت الشريفة عابدية خاتم عام ١٨٨٧ ، ليقى الحسين بضع سنوات دون زواج إلى ان تفي الى الاستثناء عام ١٨٩٣ متزوج من فتاة شركسية اسمها مدحية انجبت له بنتاً لسمها صلاحه عام ١٨٩٤ ، ولكن الزواج لم يتم طويلاً ، متزوج عام ١٨٩٧ من عاملة خاتم وهي امرأة تركية خفيدة رشيد باشا الكبير ، فولدت له ابنه الرابع زيد وبناتها فاطمة وسره ، انظر ، موسى الحسين ، ص ٢٤ . ولكن الاستاذ سليمان موسى ينالض نفسه في كتابه الحركة بقوله " وكانت زوجته قد توفيت قبل نفيه باربع سنوات فاتخذ في العاصمة زوجة ثانية من عائلة تركية مرموقة فانجبت له ابنه الرابع زيد وثلاثة بنات . للتفاصيل انظر سليمان موسى ، الحركة العربية سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ ، (دار النهار ، بيروت ، ١٩٧٧) ص ٤٦ . ويشاطره الاستاذ أمين الريhani الرأي في كتابه ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٥٥ والواضح ان الاستاذ سليمان موسى ينالض نفسه في مسائلين ، الاولى ، مسألة النفي ، اذ يشير في كتاب الحركة بأن زوجته قد توفيت قبل نفيه باربع سنوات أي عام ١٨٨٩ ، بينما يشير في كتابه الحسين بأنها توفيت عام ١٨٨٧ ، وكذلك ينالض نفسه في مسألة ثانية وهي عدد زوجاته.

^(٣) هارولد . ف. يعقوب ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة احمد المضواحي ، مركز دراسات البحوث اليمني ، صنعاء (دار العودة بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٨ ، ص ٣٠٧) .

بينما قال آخرون بأنه كان عندما جسورا^(١) غامضاً عميق الغور شديد التكتم والحذر قليل البوح بآرائه الشخصية^(٢) ، ووصفه فريق ثالث أنه كان صاحب ارادة طموحة ولكن جميع الذين رأوه وحادثوه اتفقوا على أنه كان صاحب شخصية جذابة لا تقاوم وقد وصفه السير رونالد ستورس ، (أول حاكم للقدس) بعد الاتداب البريطاني ذات مرة بأنه "بدون شك الرجل الوحيد الذي باستطاعته أن يهز مجتمع لندن من أقصاه إلى أدناه" . وكان بالنسبة للإنجليز "سيداً للغة الدبلوماسية الملتوية" ، أما بالنسبة للأتراك فقد ظل "لغزاً لا يحل"^(٣) .

ووصفه أمين الريhani اثر مقابلته بقوله "في محيى الملك حسين سيماء جلال طبيعي لم اشاهد مثله في غيره من ملوك العرب ، بل فيه تجلی روحانیة شرقية قرنت بالتأدب الغربي . ان في حديثه عنصرين من الانس والكياسة ، الاولى اخلاقی نبوی ، والثانية اجتماعی اكتسابی ، فهو رقيق الاديم صافیة ، عدل الانف ، دقة له جیین رفیع وضاح ، يظهر بكمال بهائه عندما يرفع العقال ويلبس العمامة ، وفي ناظریه نور يشع في حدقتین عسلیتين تحیط بهما هالة زرقاء ، ولوه فوق ذلك ابتسامة ما عرفت اجب منها للقلوب ، وقد كبرت هذه المحسن في نظري لأنها عارية من مظاهر الابهہ والجلال "^(٤) .

^(١) قول الرحالة موز ستورت ارسكين ، نقلًا عن موسى ، الحسين ، ص ٢٥ .

^(٢) موسى ، الحركة ، ص ٤٦ .

^(٣) جيمس موريس ، الملوك الهاشميون ، منشورات المكتب العالمي للترجمة والنشر ، بيروت د.ت ، ص ٢١ .

^(٤) الريhani ، ملوك ، ص ٢٢ . واحمد طربين يقول "كان الشريف حسين ، كاتم لا يصرخ بما يجول في ذهنه الا نادراً فإذا فعل تبني الكارا خطرة ومبتكراً" انظر احمد طربين ، الوحدة العربية ١٩٥٨-١٩١٦ ، دمشق ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٣ . وقد وصفت التقارير التي تقاضاها السلطان عبدالحميد الثاني عن الحسين بأنه "رجل عميق التدين على حظ موفور من قوة الارادة والصلابة والتفكير المستقل ، وأنه شخص صامت لا يتكلّم الا نادراً وإذا تكلّم افصح عن اراء حصيفة مرتبة ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٨ . بينما يرى محمد حسين الزبيدي في كتابه مولود مخلص باشا ودوره في الثورة للعروبة الكبرى وتاريخ العراق المعاصر (دار-

لقد عاصر الحسين اوضاع الحجاز الداخلية ذات العلاقة باسرته ، عند انتقال الشرافة منها الى خصومهم من الفرع الهاشمي الآخر المتمثل بآل زيد ، اثر مقتل عمه الشريف حسين بن محمد على يد الرجل الافغاني ، فكان الحسين من ضمن الوفد الذي مثل آل عون في الاستانة سنة ١٨٨١ للتفاوض مع الحكومة العثمانية من اجل استرجاع حقوقهم في الشرافة على مكة . ومع عدم استجابة الحكومة لرغبتهم في هذه الفترة ، الا انها قامت في عام ١٨٨٢ أي العام التالي ، بغلق الشريف عبدالمطلب بن غالب عميد آل زيد وشريف مكة عن طريق القوة ، لاستبداده في الامور وإمعانه في القسوة والاموال ، ونقلت الشرافة الى آل عون في شخص الشريف (عون الرفيق) عون الرفيق ١٩٠٥-١٨٨٢) عم الشريف حسين بن علي^(١) .

بيد ان مظاهر استمرار المنافسة على الشرافة في مكة المكرمة لم يقف عند هذا الحد ، وإنما تعداه الى نزاع آل عون انفسهم ، فضلا عن نزاعهم التقليدي مع آل زيد . فقد صعب على الحسين ان يرى بعض الاعمال الظالمة التي تقع على عاتق الناس من سياسة عمه (عون الرفيق) ، والتي كان الموظفون الاتراك يشتراكون مع رجال عمه في ايقاعها^(٢) . الامر الذي دفعه الى اعلان معارضته لسياسة عمه في ادارة الحجاز^(٣) . وزاد من التهم ، التي رأينا انها او معظمها على الاقل كان لها اساس من الصحة ، والتي كان يبيتها ضد عمه ، وكانت تدور حول اعمال شذوذ الامن ولابتاز اموال الحجاج وتقاوسيه عن الضرب على ايدي العابثين^(٤) ، في وقت وصلت فيه

- الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٥٧ ، قوله ، " والدارس لشخصية الحسين يرى انه متصلب الرأي ، عليه يصر على رأيه بصورة تجعل من المصعب تحويله عنه الى غيره " .

^(١) التفاصيل انظر الفصل الاول.

^(٢) موسى ، الحركة ، ص ٤٥ .

^(٣) موسى ، الحسين ، ص ٢٢ ، حراز ، الدولة ، ص ١١٦ ، حمزة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

^(٤) الشناوي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ .

امارة الحجاز من الضعف والفوضى حدا اثار استياء الحجازيين وتذمرهم بسبب تجاهل اميرها (عون الرفيق) امر ولاليته وادارتها^(١).

وهكذا فترت العلاقات بين الحسين وبين عمه الشريف (عون الرفيق) . اذ لم ترق للأخير تصرفات ابن أخيه ، فشكاه الى السلطان عام ١٨٩٣ هادفا ازاحته عن الحجاز ، وابدى له مخاوفه من تدخلات الحسين في شؤون الولاية ، وما يلحقه ذلك من خطر على الامن العام ويبعث الفوضى وعدم الاستقرار فيه^(٢). وفي الوقت نفسه أخذ جواسيس الاتراك يوالون ارسال تقاريرهم الى السلطان عبدالحميد الثاني بشأنه فوصفوه " بالعناد وبأنه ميال لاذكاء روح القومية والاستقلال وقللوا ان في آرائه خطرا على البلاد اذا هو اثارها في الوقت المناسب " . وأشار بعضهم بصرامة الى طموح الحسين في اعتلاء منصب شرافة مكة المكرمة وامارتها مؤكدين بأن الحسين قد صرخ بأنه " احق بها من غيره "^(٣) .

وفي العام نفسه ، بعث السلطان عبدالحميد الثاني الى الحسين ، يطلب اليه الشخص مع اسرته الى الاستانة ليحل في ضيافته بعض الوقت^(٤) ، وجاءت دعوته تحت حجة " قطعة لاسنة الموء ، والاستفادة من خبرته "^(٥) ، ولم يكن هناك بد من تلبية الدعوة فغادر الحجاز في العام نفسه مع عائلته الى الاستانة^(٦) ، التي امضى فيها خمس عشرة سنة حتى تنصيبه اميرا على مكة سنة ١٩٠٨م^(٧) .

(١) حملة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، عبدالله ، مذكراتي ، ص ص ٢٨-٢٩ .

(٢) وهبة ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، ارسكين ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣) موسى ، الحسين ، ص ٢٢ .

(٤) الصواب ، المصدر السابق ، ص ٩٧ ، أمين الريحااني ، ليصل الاول (مطبعة صادر ، بيروت ١٩٣٤) ، ص ٢١ .

(٥) ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤ .

(٦) موسى ، الحركة ، ص ٦٤ ، ولم تثبت لامر النفي حتى صدرت بحق الآخرين من كبار رجال الدين منهم " للشيخ عبدالرحمن سراج مفتى مكة المكرمة الاكبر ، والشيخ عابد مفتى المالكية بمكة المكرمة ، والميد عبدالله الزواوي مفتى الشافعية بمكة المكرمة باخراجهم من الحجاز الى ازمير ، للتفاصيل انظر عبدالله الحسين ، مذكراتي ، ص ١٩ ، زين لوري الدين زين ، اسباب-

والواقع انها كانت بهدف الاقامة الجبرية ولن يكون قريبا من عيون الارصاد ولم تكن للضيافة ، كما اعلن السلطان العثماني . وما يؤكد ذلك قول الامير عبدالله في مذكراته " لقد كانت اقامتنا باستبول اقامۃ جبر واکراه بالرغم من ان السلطان عبد الحميد الثاني ، لما مثل والدي في حضرته يوم وصوله الاستانة قال له انه اتما استدعاء له نشئه ويرجو منه ان يخدم الدولة ويخدمه ، وبالرغم من انه عليه عضوا في شورى الدولة ، وامر ان تهيأ له دارا ساحلية في البسفور وتفرض ، فقد كان في الحقيقة ورغم هذه الاعتبارات ، أخذ الى الاستانة نفيا وتغريبا ، بناء على معارضة سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز ، وأخذ الاموال الطائلة من المهاجر بشتى الاساليب ، تلك السياسة التي اختطها ولاة الحجاز والامير عن الرفيق "(١).

- الثورة العربية الكبرى (الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٦٥) ص ٥٦ ويشير سليمان موسى بأن " الشريف حسين أول من صدر الامر بابعده عن الحجاز" انظر موسى ، الحسين ، ص ٢٢ . ويبدو انه قد توهם لأن قبله عدد من الاشراف قد صدر بحقهم ذلك ، بل ان الحسين نفسه ولد في استبول وقت كانت عائلته مبعدة .

- (٢) هناك اختلاف حول مدة بقاء الحسين في الاستانة فالفترقة تشير الى خمسة عشرة سنة او حتى توقيع الشرارة (١٨٩٣-١٩٠٨) وذلك ما اكده ، حمزة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، الزركلي المصدر السابق ، ص ١١٣ ، وهيم ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ، الشناوي المصدر السابق ص ١٨٣ . وهناك ما يشير بانها ستة عشر سنة منهم مؤلفين سليمان موسى ، الحركة ، ص ٤٧ ، الحرب ، ص ٢٢ ، بينما آخرون ومنهم سليمان موسى يذكرون ان المدة سبعة عشر سنة ، انظر موسى الحسين ، ص ٦٣ ، فيليب ناتيلي وكولن سمبسون ، الخفي من حياة لورنس العرب ، ترجمة ايلي لاند وابراهيم العابد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ١٩٧١) ، ص ٦٣ وذكرها ايضا الريhani ، فيصل ، ص ٢١ ، العمري ، المصدر السابق ص ١٧٦ ، والانكى من ذلك ان انطونيوس يقول بانها ثلاثة عشر سنة ، انظر انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ والاكثر غرابة في قوله ونجتون الذي يذكر بان الحسين قضى مدة ثلاثون عاما في الاستانة كافية جبرية للتفاصيل انظر ريتشارد دنجلتون لورنس في بلاد العربية ، تعریب محمود عزّة موسى ، (بلامكان ، بلا تاريخ) ، ص ١٤٥ .

(١) عبدالله بين الحسين ، مذكراتي ، ص ١٩ .

كان الحسين في الأربعين من عمره عند وصوله إلى الاستانة ، وقد أصبح رجلاً واسع الخبرة كثير التجارب ، واقترا على معظم دخائل السياسة الحميدية فتظاهرة بالهدوء واحتياط بالحذر ، وكان بطبيعته ورعاً ثقيراً يمتاز باعصاب قوية لا تؤثر فيها العواطف فاستطاع بكل هذه الصفات تضليل جواسيس السلطان ، محاولة منه كسب اطمئنان السلطان فاسكنته الأخير في قصره الكائن في ضفاف السفور مقدراً منعماً ، وعينه عضواً في مجلس التحورى ثم منحه رتبة وزير ، واستمر في ذلك المنصب لحين تركه الاستانة عام ١٩٠٨^(١) . الا ان ذلك لم يكن يبعد عن ذهنه طبيعة اقامته ، ومن حيث كونها "اقامة جبر واكراء"^(٢) . رغم أنها ، وبدون شك ، قد اكسبته الخبرة وسعة النظر في تقدير الامور ، فضلاً عن تعرفة عن كثب على اوضاع الدولة العثمانية وطبيعة سياستها^(٣) .

وانصرف الحسين أثناء اقامته في الاستانة إلى العناية بأولاده والاتساف على تعليمهم على أيدي معلمين خواص في علوم العربية والتركية والعلوم العسكرية ، وفي الوقت نفسه كان والدهم يعمل على اتمامهم القرآن الكريم ، ومن المعلمين الذين اشتغلوا بتعليمهم الملائم الثاني صفوة العوا وهو شاب سوري اقام معهم في القصر ثم الشیخ محمد قضیب البان وأصله من حلب كان يعلمهم العربية ، ثم جيء بالشیخ محمد توفیق ليعلمهم حسن الخط ، ثم وقف الأدیب التركي محمد عارف باشا لتعليمهم الأدب^(٤) .

وعلى الرغم من ذلك الا ان الحسين وابناؤه ، على ما يبدو ، لم يكونوا بعيدين عن الاساليب السائدة في عصر السلطان عبد الحميد ، اذ كان منزله في الاستانة

^(١) موسى ، الحسين ، ص من ٢٣-٢٤ ، حمزه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، عبدالله بن الحسين ، مذکراتي ، ص من ١٧-٣٠ ، محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان ، فيصل بن الحسين من المهد إلى اللحد ، المطبعة العصرية ، دمشق ، ١٩٣٣ ، ص ٢٥ .

^(٢) للتفاصيل عن النص الكامل ، راجع عبدالله بن الحسين ، مذکراتي ، ص ١٩ .

^(٣) لرسكين ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ، و :

H.St. J, Philby ,Arabia, London , 1930 , P. 214

^(٤) عبدالله بن الحسين ، مذکراتي ، ص ٢٧ .

على حد تعبير ابنه عبدالله " بأنه مأوى لحرار الناس من العثمانيين ومتظلمة العرب للذاكرة فيما هم فيه "^(١) . الا ان ظاهره بالحزن واحتياطه بالهدوء فضلاً عن الصفات الأخرى ، هي التي جعلت السلطان وجواصيسه غير قادرين على ان يجدوا عليه مأخذًا طول الفترة التي قضاها في اقامته الجبرية في استانبول ^(٢) .

وعلى كل حال فقد اشار بعض الوزراء العثمانيين على السلطان عبد الحميد اكثر من مرة بتعيين الحسين بن علي اميرًا على مكة المكرمة عوضاً عن الشريف عون الرفيق ، ولكنهم لم يجدوا استعداداً لدى السلطان لتعيينه في هذا المنصب . ولما مات الشريف عون الرفيق عام ١٩٠٥ ، رفض السلطان عبد الحميد تعيينه في هذا المنصب الشاغر ، اصراراً على رأيه ، ونقلوا عنه قوله "اني راضٍ بتعيينه اميرًا على مكة المكرمة اذا اكتفى الشريف حسين بذلك فقط بل اني اعتقاد انه لن يكتفى بالامارة فحسب بل يطمع الى اكثر من ذلك ويهدد يوماً ما عرشي " ^(٣) .

وغمد السلطان الى تعيين الشريف علي بن عبد الله (ابن اخ الشريف المتوفى) ولم يمض اكثر من ثلاثة اعوام (١٩٠٨-١٩٠٥) حتى اعلن استقالته ولجوئه لمصر خشية من بطش الاتحاديين الذين جاؤوا للحكم في العام الاخير ^(٤) . اذ خشي الشريف علي بن عبد الله - بحكم صلاته الوثيقة بالسلطان ان يعمد رجال الاتحاد والترقي - الى الانتقام منه ، فغادر الحجاز على عجل وذهب الى مصر لاجئاً سياسياً ^(٥) . اذ

^(١) انظر الملك عبد الله ، مجلة الهلال ، القاهرة ، نisan ١٩٣٩ ، موسى ، الحسين ، ص ٢٢
موسى ، الحركة ، ص ٤٦ .

^(٢) موسى ، الحركة ، ص ٤٦ ، عبد الرحمن شهيندر ، فيصل بن الحسين ، مجلة المتنطف
المجلد ٨٣ (اكتوبر ١٩٣٣) ، ص ٢٥٨ .

^(٣) العمري ، المصدر السابق ، م ١ ، ص ١٧٧ .

^(٤) امين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، د.ت. ج ٢ ، ص ٤٩

^(٥) صالح ، الهاشميون والثورة ، ص ٣٤ ، امين سعيد ، اسرار الثورة العربية الكبرى ومساواة
الشريف حسين ، دار الكاتب ، بيروت ، د.ت ، ص ٤٤ .

كانت الأخيرة في هذه الفترة تحت الاحتلال البريطاني ولم يكن للدولة العثمانية نفوذ فيها .

عمد الانجليزون أيضاً إلى عزل الكثيرين من خواص السultan ووزرائه وولاته ، ومن جملتهم الشريف علي بن عبد الله أمير مكة ، وعيّنوا خلفاً له الشريف عبد الله بن محمد ، الذي كان يقيم في الاستانة ولكنه توفي وهو يتأهب للسفر إلى الحجاز^(١) .

وهكذا فإن اوضاع الحجاز الداخلية ذات العلاقة بأسرته ، فضلاً عن الاجواء السياسية للدولة أصبحت مؤهلاً لأن يجدد الحسين وبنوة مطالبته بحقوقه في امارة مكة المكرمة .

^(١) Hogarth , Op , cit , p.113 ; Philby , Op . cit ., p. 215

٢- امارة الشريف حسين على مكة المكرمة :

امسى منصب الشرافة شاغراً بوفاة الشريف عبد الله ، مما فسح المجال لتجدد النزاع التقليدي القديم بين آل عون بشخص الشريف حسين بن علي ، وآل زيد بشخص الشريف علي حيدر بن جابر ، والذي يبدو انه كان انعكاساً للنزاع القائم بين جمعية الاتحاد والترقي من جهة وبين الاتراك المحافظين من جهة اخرى^(١) ، وعلى ما اعتقد ، انها جزء من سياسة الاتحاديين الجديدة الرامية الى عزل خواصن السلطان ، ومنهم آل عون امراء مكة المكرمة واشرافها ، وهذا ما يعطينا التبرير وراء اصرار الاتحاديين على تولية منصب امارة مكة الى آل زيد وبشخص علي حيدر .

يبد ان الشريف حسين سعى لاغتنام الفرصة وذلك بتقديمه مذكرة الى السلطان عبد الحميد الثاني بوساطة الصدر الاعظم كامل باشا ، يطالب فيها بتعيينه في المنصب الذي شغره بوفاة ابن عمه ، بوصفه اكبر افراد العائلة الهاشمية سناً واحقيته بمقام أبياته ، وقد جاء في مذكرته ما يأتي :

"بناء على وفاة عمي الشريف عبد الله بن محمد امير مكة المكرمة ، بعد عزل ابن عمي لشريف علي بن عبد الله بن محمد وخلو مقام الامارة ، ولكوني اسن العائلة الهاشمية واحقها بمقام الآباء ، استرحم جلاله السلطان ان يتكرم بايصالى الى حتى الذي لا يخفى على جلالته مع صداقتي واخلاصي "(٢).

^(١) وتشير الى معلومة يذكرها الباحث ستيل مفادها ، ان الشريف حيدر كان على خلاف مع السلطان عبد الحميد الثاني واستمر لفترة طويلة بالرغم من طموحه في منصب الشرافة . انظر George still , A prince of Arabia , London , 1948 . p . 86

ورغم ان وهيم قد ابدى تحفظه منها ، الا اننا نكون اقل تحفظاً لكون المصادر العربية على حد علمنا ، لم تشر الى ذلك ، الا ان هذه المعلومة قد اكدها ارجنت داون Dawn , Op. cit , p 4.

^(٢) حول نص مذكرة الشريف حسين الى السلطان عبد الحميد الثاني ، للظرر ، عبد الله بن الحسين ، مذكريتي ، ص ص ٢٠-٢١ .

وكان الشريف حسين قد ارسل هذه المذكرة مع نجله عبد الله الذي قام بتسليمها الى الصدر الاعظم كامل باشا ، وبعد ان قرأها الاخير قال له : " اقبل اساميل والدك واطلب اليك ان تبلغه بأن حقه لا يضيع ان شاء الله " ^(١).

واردف الامير عبد الله هذه المذكرة ببرقية رفعها على لسان والده الى السلطان ^(٢) ، كما يتضح من قوله : " فكتبت نسخة برقية الى مقام السلطنة " جاء فيها " نظراً لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فلابغي التنظر من الاعطاف السنوية السلطانية عدم حرمانى من حقى وتعيينى من مقام آبائى " بوساطة الصداررة العظامى الى الاعتراض السنوية ، وبواسطة رئيس كتاب القصر السلطاني الى الاعتراض السنوية ^(٣).

وفي ليلة ارسال البرقية ، وردت برقية من رئيس كتاب القصر السلطاني يقول فيها " ان حضور الحسين يوم غد في الساعة الثالثة صباحاً مرغوب فيه لدى جلالة السلطان " ^(٤).

وتوجه الشريف حسين الى قصر السلطان في الوقت المعين ، فعينه السلطان اميراً على مكة ثم ابتمم الفرمان السلطاني بتعيينه ، وهذا نصه :

" ... وبناء على ذلك ولو قوع النفصال امير مكة على باشا اقتضى الحال الى احالة تلك الامارة الشريفة لذات الاشراف ذوي الاحترام ... الشريف حسين باشا - فأهلنا وفوضنا الامارة الشريفة المذكورة الى عهدة اهليته ... ليستقبل الحاج ذوي

(١) عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٢١ .

(٢) يبدو ان سليمان موسى قد توهن عندما ذكر بأن الشريف حسين هو الذي ارسل البرقية بقوله " ولم يكتف الحسين بهذا بل ارسل برقية بواسطة ثلاثة عناوين للعرض على السلطان " ، انظر موسى ، الحسين ، ص ٢٦ .

(٣) حول نص البرقية الامير عبد الله الى السلطان ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٢١ ، كما يبدو بأن فريجات قد توهن أيضاً عندما اشار بأن مذكرة الشريف حسين هي التي كتب منها الامير عبد الله ثلاث نسخ ، ولم يشر الى برقية الامير عبد الله اطلاقاً للتفاصيل انظر فريجات ، الثورة ، ص ٥٨-٥٩ .

(٤) عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٢١ .

الابتهاج المتوجهين من سائر ممالكتنا الشاهانية ويوصلهم الى مكة المكرمة سالمين
مطمئنين . وبعد ادائهم مناسك الحج الشريف على الوجه اللائق ايضاً يشيعهم
ويستكمل اسباب عزيمتهم بكل اعتاء ودقة في الشام . وان يكون الناظر على
توزيعهم وتقسيم المصارف الهايئونية المرسلة من قبل سلطتنا الى اربابها بوساطة
المأمورين بموجب الدفاتر الموجودة ، وان يستجلب الدعوات الخيرية لذاتنا الشاهانية
وان يهتم في توفيق الامور والصالح الواقع والجاري بالعدل والحقانية متحداً مع
وزيرنا والي الحجاز «^(١)» .

ومما سبق ذكره يمكننا القول بأن جهود الشريف حسين واسرته لم تذهب عبثاً
بل اسهمت بشكل مباشر في تعيين الشريف حسين لمنصب امير مكة عام ١٩٠٨ .

وتضاربت الاراء في تحديد موقف كل من جمعية الاتحاد والترقي والسلطان
عبد الحميد الثاني من تعيين الحسين في منصب امير مكة المكرمة ، اذ يرجع البعض
لتصفيه الى الجمعية واصرارها ، رغم معارضته السلطان^(٢) ، الذي كان يرتاد من
نواباً الشريف حسين واهدافه في فصل الحجاز عن الدولة العثمانية ، بل انهم صوروا
شكوك السلطان الى حد خشيته من احتفال تهديده (الشريف حسين بن علي) للعرش
يوماً ما ، فضلاً عن اطماعه بالخلافة ، وتربيصه الظرف المناسب للادلاء بها . اذ
نسب للسلطان تصريح او رأي ادلى به عند تعيين الشريف حسين اميرًا على مكة
المكرمة اذ قال "لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان
بتعيين الشريف حسين اميراً على مكة المكرمة ويا ليته يقنع بأماراة مكة المكرمة

^(١) حول نص القرمان السلطاني ، انظر موسى ، الحسين ، ص ص ٢٦-٢٧ ، حمزه ، المصدر
السابق ، ص ٣٢٥ .

^(٢) وهم ، المصدر السابق ، ص ٣٥ ، الزبيدي ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ، ارسکین ، المصدر
السابق ، ص ٤١ ، ادوار عطية ، العرب ، ترجمة محمد قلليل البقلي (الشركة العربية للطباعة
والنشر ، القاهرة ، ط ١، ١٩٦١) ، ص ٩٢ ، شکیب ارسلان ، تعليقاته على كتاب حاضر العالم
الإسلامي ، للثروب ستورارد ، ترجمة عجاج نوبيهض ، دار الفكر ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٧١ ،
مجلد رابع ، ص ٣٨٣ .

وياستقلال العرب فقط ، ولكن سيعمل بدهائه الى ان ينال مقام الخلافة لنفسه^(١) . او يعود تعينه من قبل الاتحاديين بسبب مكانة الشريف حسين ونبله الكبير ، او كرهه للسلطان كما يشير (الطونيوس)^(٢) .

وفي ضوء هذا الرأي يتبيّن بأن تولية الشريف حسين امارة مكة جاء بناء على رغبة جمعية الاتحاد والترقي .

بينما يخالف آخرون هذا الرأي ، فأعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانوا عازمين على اسناد المنصب للشريف علي حيدر ، لولا مقاومة كل من السلطان والصدر الاعظم ، ضمن مساعيهم الرامية الى الحد من نفوذ جمعية الاتحاد والترقي . ولعل في غضب الاتحاديين واستغراب الشريف حيدر لتنصيب الحسين محله ، ما يعزز هذا الرأي^(٣) ، وربما كان الاتحاديون يميلون الى تعين الشريف علي حيدر واعتقاداً منهم انه اكثر ميلاً اليهم من الشريف حسين ، هذا بالإضافة الى ان منصب امارة مكة خاص بالاشراف وهو منصب تقليل له صفة خاصة^(٤) ، ومن الجائز ايضاً ان يستند أصحاب الرأي الثاني ، على الموقف المتعاطف الذي تبادله الشريف حسين مع

(١) العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، من ١٧٧ ، لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ ، امر اللواء الركن المتقدّم ابراهيم الراوي ، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث (مطبعة دار الكتب) ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١١٢ ، تلصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩.

(٢) اذ يقول الطونيوس ان هناك سببين كان وراء اختيار الاتحاديين للشريف حسين اميرًا على مكة هما. شخصيته للبارزة الموقرة ، لضلا عن مكانته في المجتمع وسمو نسبه ، كل ذلك اكسبه احترام عدد كبير من المعجبين ، لضلا عن سبب آخر " هو ما كان معروفاً من كره السلطان له ، اختياره اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين كانوا في الحكم ليكون شريفاً في مكة ، النظر الطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، ت.أ ، لورنس ، اعمدة الحكم السبعية ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٣ ، ص ١٧ . كما يرى (هاورت) بأن الحسين كان يسعى لتحقيق نصر على ابن سعود لكسب ثقة الاتحاديين الذين الذين عينوه شريفاً على مكة ، انظر

Hawort , D , The Desert King , London , 1964 , P.22.

(٣) وهيم ، المصدر السابق ، ص ٣٦ ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٢٠ .

(٤) موسى ، الحركة ، ص ٤٨ .

السلطان والصدر الاعظم قبيل سفره للحجاج . فقد اوضح السلطان للشريف حسين مقاومة الاتحاديين له في اقراره للمنصب الجديد ، بقوله " اسأل الله ان يجازي من حال بيبي وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية ، وانني لست بالامين على الدولة والملك من هذه الفتنة المتقلبة " . وقد بادله الشريف حسين بالاستعداد لما يكفل حمايته (السلطان) ، بل تعهد له في اعتبار الحجاج اول من يدافع عنه ، قائلاً " متى شعرت جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاج " ، فشكراً للسلطان ثم قلده وسام الافتخار^(١) .

وكذلك من الجائز الاستناد على الموقف المتعاطف ايضاً بين الصدر الاعظم كامل باشا والشريف حسين عند توديعه للخير ، فقد سلمه مذكرة اكد فيها صلاحياته في الامارة دون الاكتراض بالدستور الجديد ، اذ جاء فيها : " ان الخطة الحجازية المباركة مرتبطة رأساً بمقام الخلافة العظمى ، وانه لايسري اليها ما يخالف الحقوق المقدسة (بمناسبة الدستور الجديد) القائمة بين الامارة الشريفة والسددة السلطانية السنوية . فقوموا بواجباتكم السامية على اساس التعامل القويم وفقكم الله للخير . وان اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج الى تأكيد "^(٢) . ولا شك ان هذه المذكرة تحت الشريف حسين على ضرورة تنفيذ واجباته طبقاً للقانون التقليدي والروابط التي تربط امارة الحجاج بالسلطة العثمانية ، ولا شك ان هذه تعد النقطة الاولى للنزاع بين السلطان والاتحاديين الذين يرغبون في تغيير سياسة الدولة القديمة.

واخيراً قد يكون ايضاً للنفرة الموجودة بين السلطان وعلي حيدر ، فضلاً عن علاقة الاخير بعدة اصدقاء من جمعية الاتحاد والترقي وترحيبه بالثورة ، اثرها في موقف السلطان وابعاده (علي حيدر) عن امارة مكة المكرمة^(٣) .

^(١) عبد الله بن الحسين، مذكراتي ، ص ص ٣٠-٣١ .

^(٢) المصدر السابق ، ص ٣١ ، موريس ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

^(٣) Dawn , Op . cit ., pp .4 -5.

وعلى الرغم من هذا التضارب فهناك امر لاشك فيه هو ان الاتحاديين كانوا اصحاب السلطة الفعلية ، وهذا ما اكده السلطان في آخر حديث له مع الشريف حسين قبيل سفر الاخير ، اذ وصفهم "الفئة المتغلبة".

فتعين الحسين او غيره هي من صلاحياتهم ، واذا ما افترضنا تمنع السلطان بقوته في هذه الاونة ، فمن الطبيعي ان يكون في خنى عن القضايا الثانوية ، بقدر اهتمامه في ازاحة الاتحاديين واسترداد مكانته . وعلى اية حال فأن السياسة التي انتهجها الاتحاديون في الجاز ، تتمثل بقيامهم بعزل الوالي احمد راتب عن الجاز لتباطئه في ولاتهم وتنفيذ سياستهم ، كما ان الشريف علي بن عبد الله قد فر ، كما تقدم الى مصر للسبب نفسه ، فضلاً عن اصدار الاتحاديون اوامرهم لتأكيد سياستهم في الجاز وانتخاب مبعوث عن كل (٥٠) شخصاً لتمثيل الجاز في مجلس المبعوثان^(١) ، ويشكل هذا دليلاً واضحاً على ان الاتحاديين كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة في تعين وعزل من يريدون وبالضرورة ان يكون منصب الشريف الحسين كاميراً على مكة المكرمة من اجراءاتهم .

(١) للتفاصيل ، انظر السباعي ، المصدر السابق ، من ص ١٨٤-١٨٥ ، وهيم ، المصدر السابق . ٣٧.

٤ - الحجاز بين الحسين والاتحاديين :

استقبل الشريف حسين بعد وصوله إلى جدة في تشرين الثاني ١٩٠٨ من قبل أشراف الحجاز ومشايخ القبائل ، وبعد إقامته ثلاثة أيام ، واصل سفره إلى مكة فاستقبله فيها وكيل الإمارة ووالى الحجاز وقائد المشير كاظم باشا ، وكثيرون من الأشراف والشيوخ^(١) .

ومن الجدير بالذكر أن حزب الاتحاد والترقي بجدة انتخب وفداً للسلام على الشريف حسين وقد استقبله رئيسه عبد الله القاسم بالكلمات التالية " جئنا نرحب بالأمير الدستوري الذي يومنا من سيادته ان يضرب صفحأ عن الاحوال الادارية القديمة ، وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عن الرفيق والشريف على ، تبعاً للأدلة المستبدة وارضاء للسلطان . وان البلاد اذ تحبّي سيادة الامير فأنها تحبّي فيه الامير الذي عرف روح العصر والتجدد المطلوب للعمل تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة "^(٢) .

وقد انتهز الشريف حسين الفرصة لتأكيد سياساته في جوابه ، " حقاً لقد حظيت بمقام اسلافي وأبائي على الشرعية التي يابع بها الشريف ابو نعيم السلطان سليم الاول . وان هذه بلاد الله لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي حرصة على الاحتفاظ بحقها " ، ولا شك ان رد الشريف حسين على الوفد كان ردّاً صاعقاً ، متسمّاً بالجرأة والشجاعة ، وبيدو انه كان مستاء جداً من سياسة الاتحاديين في الحجاز إذ هددتهم من مغبة الاستمرار في سياسة التدخل في شؤون الحجاز الداخلية بقوله " فليذهب كل منكم ليشتغل بما يخصه ... واياكم من قال وقيل ما يقولون " ، واعلن بوجههم سياساته الرامية إلى حقه في حكم الحجاز

(١) تشير معظم المصادر إلى أن تاريخ وصول الحسين جدة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٠٨ ومنهم ، موسى ، الحسين ، ص ٢٩ ، ولكن في كتابه الأول الحركة العربية ، ص ٤٩ ، يشير إلى تاريخ ٣ كانون الأول ١٩٠٨ .

(٢) حول نص كلمة وفد الاتحاديين ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٣٧ .

بنفسه بدون تدخل الآتراك الغرباء بقوله " وان السلطان الامر بالدستور الذي تذكره يفتخر هو واسلافه بأنهم خدام الحرمين الشريفين ، وليس الخادم بالملك "(١) ، وهكذا اظهرت كلمة الشريف حسين اصراره على ضرورة المحافظة على استقلال الحجاز الذاتي وحرصه على المحافظة على حقه التاريخي .

لقد اثار رد الشريف حسين استياء اعضاء وفد الاتحاد والترقي الامر الذي دفعهم الى الابراق الى مسؤوليهم في الاستانة والى مراكزهم يقولون فيها : "بعث عبدالحميد برجل جلس على مقام اسلافه لا يعبأ بأحد ، ولا يقر بدستور ولا يتجدد "(٢) فكان هذا ايداناً ببداية الخلاف العلني بين الشريف حسين وجمعية الاتحاد والترقي الذي دفعهم الى عداوة الشريف من جهة ، وتصديقهم مهما كلف الامر على تطبيق سياستهم المركزية على الحجاز من جهة اخرى .

وهكذا اظهر الشريف حسين منذ وصوله الحجاز نزعته المعارضة للسياسة المركزية ، التي هدف الاتحاديون تطبيقها في الحجاز كغيره من الولايات الاخرى وشرع يسعى ، يدفعه طموحه ، لثبت مركزه وسيادته في البلاد "(٣) .

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٢) عبد الله بن الحسين ، مذكرة ، ص ٣٧-٣٨ .

(٣) لقد بدأ الشريف حسين بهمة ونشاطاً منذ اليوم الاول لوصوله ، بل انه ارسل برقية يعين فيها نائبه لفي المدينة المنورة وهو ما يزال في عرض البحر ، وعقد مجلساً عاماً في مكة المكرمة " قبل ان يضع ملابس الاحرام " . وسرعان ما قبض على زمام الامور في الحجاز بحزم وجرأة لم تتوافر في سلاطنه ، اذ اخذ يتصل بجميع طبقات الشعب يستمع الى خلالاتهم ويحل منازعاتهم بنفسه . قد بذل جهوداً كبيرة لكي يسود الامن في البلاد ، وقد كان حريصاً على الفضل بنفسه في جميع القضايا مهما كانت صغيرة وخاصة بين البدو ، حتى اجمعت قلوب الناس على احترامه وسماع كلمته والامتثال لزعامته . وكانت الطريقة التي اتبعها الشريف حسين للحد من شوكة الوالي وعدم تمكينه من توثيق علاقاته بالاهلين ، انه كان " لا يترك واحداً من الاهلي يتلقاضى في قليل او كثير الا عنده سواء في تلك الاحوال الشخصية والحقوق المدنية " ، وهكذا تمكن الشريف حسين من توطيد نفوذه في الحجاز وكسب ولاء الاهلين وتقديم سواء منهم البدو والحضر ، كما تمكن من بسط نفوذه على قبيلتي عتبية وحرب لكبر قبائل الجزيرة العربية . -

لقد بدأ الشريف حسين عمله بوضع حد لتدخل اتحادي مكة وانصارهم في شؤون الحكومة ، اذ كان لهم نفوذ ومقام في دوائرها ، " فشكوا منه وضجوا من اعماله وتصرفاته ورموه بحب الاستبداد والسيطرة وشنوا عليه غارة من الصحف " ولكن الشريف لم يأبه لذلك ولم يحمله على تغيير سياسته ، عندئذ رأى المركز العام لجمعية الاتحاد والترقي استغلال مناسبة الحج (١) ، بمهاجمة الشريف حسين عن طريق امير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف (٢) ، الذي اعلن في عام ١٩٠٩ ان الطريق البري بين المدينة المنورة - دمشق غير مأمون ، وانه يخشى اعتداء القبائل لاضطراب الامن ، لهذا يرى الرجوع بمحمل الشام بطريق البحر من جدة الى سواحل الشام ، وعارض الشريف حسين تنفيذ هذا الاقتراح ، لأن معناه عجزه عن حماية الامن وتوطيده في داخل الحجاز ، لأن مكانة الامير تعتمد بشكل اساسي على ضمان امن الحج ، وتعهد الشريف حسين بتأمين وصول الحج برأساً عن طريق المدينة المنورة - دمشق ، تاركاً الامير عبد الرحمن باشا اليوسف وحاشيته يسافرون بحراً من جدة الى دمشق ، وقد انتدب الشريف حسين اخوه الشريف ناصر وابنه عبد الله لابصال موكب الحجاج من مكة الى المدينة المنورة فدمشق ، فاعطى الشريف بذلك برهاناً واضحاً على كفايته وسيطرته على القبائل (٣).

(١) للتفصيل، انظر ، موسى ، الحركة ، ص ص ٥٠-٥٢ ، وهيم ، ص ص ٣٧-٣٨ ، ناصيف المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨ .

(٢) وقد حدث ذلك في موسم الحج الأول بعد تولية الشريف حسين الامارة ، انظر موسى الحركة ، ص ٥١ .

(٣) وهو من اعضاء حزب الاتحاد والترقي ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٤٢ .

(٤) عبد الله الحسين ، مذكراتي ، ص ص ٤٢-٤٣ ، سعيد ، الثورة ، ص ١٠٤-١٠٥ ، موسى الحركة ، ص ٥١ ، اذ تمكن الحسين من اخضاع القبائل ومنها قبيلتي حرب وعتبية التي تهدد طرق الحجاج الى مكة ، للتفاصيل انظر سعيد ، اسرار ، ص ٣٥ .

وهكذا فشلت اهداف الاتحاديين في شخص عبد الرحمن اليوسف ، والتي كانت ترمي الى اظهار عدم كفالة الامير الجديد في ضمان الامن في الحجاز وابعاد مسؤوليته الرئيسة منه ، وهذا بلا شك يسبب له خسارة كل نفوذه على القبائل.

ونظراً لأن مكانة امير مكة تعتمد بشكل اساسي على ضمان امن الحج ، فأن العثمانيين ركزوا على ذلك ، وعملوا على فصل المدينة المنورة عن ولاية الحجاز فورت برقيات على الامير حسين بن علي من وكيله بالمدينة ، تتبه بأن محافظ المدينة على رضا باشا الركابي اقام حفلة كبيرة واتيا وكيل الامير بأن "لا صفة له بعد الان". كما وردت برقيات لامير حسين من الشرفاء ورؤساء العشائر تستكر هذا الفصل وتعترض عليه، فكتب الامير عبد الله الى الصدر الاعظم ابراهيم حقي باشا ، يسئله عن "مسؤوليات الامارة فيما بعد ، عن قوافل الحجاج والزوار؟ هل هي كما كانت الى مداشر صالح الى محل معين بين الحرمين "(١).

ثم قابل الامير عبد الله والي الحجاز كامل بك واستفسر منه عن مسألة فصل محافظ المدينة عن الولاية ، وتسائل الامير ، هل يعني ذلك ان مسؤوليات الامارة هناك قد الغيت ، فأجابه الوالي بالفصل رسميأ ، بعد ان اطلعه على برقتي الصدر الاعظم ، واكد الوالي بأن الامر اتخذ وبدون اخذ رأيي " . وبعد ساعتين من انتهاء المقابلة ورد جواب الصدر الاعظم على الامير عبد الله يقول فيه: " ان ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكك الحديدية ، تضمن السرعة في المخابرات ، لذلك اعتبرت محافظة المدينة المنورة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة الداخلية رأسا لا بالولاية . واما تبعات الامارة الجليلة وحقوقها ، فهي كما كانت من مكة المكرمة الى مداشر صالح "(٢).

ويتبين مما تقدم ان امير مكة المكرمة (الشريف حسين) اصبح بموجب فصل المدينة المنورة مسؤولاً عن الحجيج في مكة المكرمة ، واما زيارة الحجيج لقبر

(١) حول نص برقية الامير عبد الله الى الصدر الاعظم ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي من ٤٩ .

(٢) حول رد الصدر الاعظم ، انظر المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة فقد أصبحت من مصالحيات الحكومة العثمانية ، وهذا بلا شك سابقة خطيرة على واجبات منصب الشرافة في مكة. وأظهر جماعة الاتحاد والترقي في الحجاز مرة أخرى معارضتهم لأمير مكة المكرمة الشريف حسين بن علي ، وذلك عندما انتخب الامير عبد الله والشيخ حسن الشيبة بصفتهم نائبين عن مكة في البرلمان العثماني الاول ، فقد رفعت هذه الجماعة برقيات الى البرلمان استقررت فيه انتخابهما ، على اساس ان الامير عبد الله لم يكن راشداً وان الشيخ الشيبة لم يحسن القراءة والكتابة بالعربية والتركية ، ولكن ذلك لم يغير من نتيجة الانتخابات^(١).

وبعد وصول الوالي الاول فؤاد باشا عام ١٩٠٩ للحجاز ، فأن الصراع بين امير مكة الشريف حسين والاتحاديين اصبح مريراً وقد بلغ الصراع قمته عندما اتهم الوالي اقرباء الشريف حسين والمندوب في الطائف بمحاولة تدبيرهم ثورة ضد الحكومة ، الامر الذي دفع بالشريف حسين الى ارسال برقية استقررت فيها هذا الاتهام ، الذي لا يتعدى اكثر من اشاعة صنعوا الوالي ، الامر الذي دفع بالحكومة الى استدعاء الوالي وقائد الجندرمة . وفي نهاية العام نفسه ضاق الحسين ذرعاً من تصرفات الوالي واصبح لا يطيقها^(٢) ، الامر الذي دفعه الى ارسال شكوى للحكومة تم بموجتها عزل الوالي^(٣) .

ومن الجدير بالذكر ، ان الدولة العثمانية كانت تجعل بجانب الشريف امير مكة والياً من قبلها من الرجال العسكريين والاداريين ، وكان يعهد اليه الجيش النظامي والمحاكم وادارة الاحوال ، او بتعويض آخر بيده كل مصالح الحكومة النظامية ، ومقره

^(١) حول تقصي البرقيات ، انظر لورنس ، احمد ، من ٤١٧ ، P.8 ، Dawn, Op. cit ، لحمد نوري النعيمي ، اثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، بغداد ، ١٩٨٢ من ١٥٤ .

^(٢) Dawn , Op . cit ., p.8.

^(٣) موسى ، الحركة ، ص ٥٢ .

الحميدية بجانب الحرم الشريف ، وقد بنت الدولة هذا المقر لمن تبعه من الولاة
وتوابعهم على الحجاز^(١).

ومن جهة أخرى ، كانت الدولة العثمانية تهدف إلى دعم سلطانها في الحجاز
عن طريق إنشاء سكة حديد الحجاز . وقد واجه هذا المشروع مقاومة عنيفة شنتها
القبائل الحجازية ، لادرakahما بان إنشاء السكة سيلحق بهم خسائر مادية كبيرة ، فقد
كان أولئك البدو يتولون نقل الحجاج والزوار المتوجهين إلى المدينة المنورة من
موانئ البحر الأحمر الشمالية ، وخاصة ينبع ، ويتقاضون مبالغ كبيرة من المال لقاء
تلك الخدمة ولقاء توفير الدلالة والحماية لهم^(٢). مما اضطرت الحكومة العثمانية بعد
ان اثبتت فشلها في حماية خط سكة حديد الحجاز ، إلى سياسة القاهم مع القبائل
واوكلت المهمة إلى بحري باشا متصرفاً المدينة المنورة والشريف حسين أمير مكة
المكرمة ، إذ تلقى الأخير رسالة من الباب العالي يدعوه فيها للقيام بمهمة التوفيق بين
القبائل والسلطات الحكومية لتسوية القضية . وتشير التقارير الواردة للباب العالي بأن " "
بدو العجاز قد جلبو للسكنية بأجراءات الشريف الحكمة ، ففخذوا قبيلة حرب الكباريان
- المسرور وبنو سالم ، اللذان كانا يهاجمان سكة القطار فدما خضوعهما وضمانتهما
طبقاً للصلات العربية معلنين انهما لن يهاجما سكة القطار بعد ذلك^(٣).

وهكذا كانت الضمانات المالية التي قدمها الشريف حسين للقبائل ، كانت وراء
التعهدات والضمانات التي قدمتها في المقابل القبائل للشريف حسين ، والتي بلا شك
كانت كافية لهدوء الموقف حول سكة الحديد حتى عام ١٩١٦^(٤).

(١) ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص من ٨-٧ .

(٢) ادرك البدو من خط السكة ، ان اكماله يجعل أولئك الحجاج والزوار سيسلكون طريق حيفا او
دمشق ويركبون من هناك للقطار إلى المدينة المنورة ، للتلاقي عن مقاومة القبائل لسكة حديد
الحجاز حتى فترة الشريف حسين ، انظر خالد حمود السعدون ، مقاومة القبائل لسكة حديد
الحجاز ، اساليبها ، تطورها ، خلال عامي ١٣٢٦هـ و ١٣٢٧هـ .

(٣) السعدون ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

وهكذا ادرك السلطان عبد الحميد الثاني فشله في مد سكة الحديد الى مكة^(١) لأنها كانت احد اهدافه في استعادة التوازن في الحجاز لصالح استبول بل نلحظ بأن التوازن استمر لصالح الشريف حسين اثر تناهيه مع القبائل وتهديتهم على اساس عدم استمرار مد خط السكة الى مكة .

ولعل ذلك التحفظ هو الذي جعل الشريف حسين بن علي وسلفه علي بن عبد الله لأن يبذلان جهوداً جدية في التوسط لدى القبائل واقناعها بعدم معارضه مد السكة ومع ما هو معروف عن نفوذ الشراف مكة المكرمة بين تلك القبائل ، وهذا النفوذ هو الذي مكن الشريف حسين من اقتحام تلك القبائل عام ١٩٠٩هـ/١٣٢٧ م ، بالكف عن المقاومة ، وربما كان تحركه في هذا السبيل قد جاء في النهاية نتيجة قناعته بأن السكة لن يقدر لها بعد ذلك الوصول الى مكة المكرمة . ويلاحظ هنا ان اشرف مكة وغيرهم من القوى المحلية المجاورة رغم تحفظها على سكة حديد الحجاز فإنها لم تقم بجهد حربي او تحرك سياسي مكشوف ضدتها^(٢) .

وعلى الرغم من ذلك فان الشريف حسين قد اظهر اخلاصه للدولة العثمانية اذ لم يتردد ابداً في الاستجابة لطلبات الباب العالي في محاربة كل من حاول القيام على الدولة او الانفصال عنها ، من اجل ذلك قاد الشريف حسين حملتين عسكريتين الاولى سنة ١٩١٠ نحو نجد لمحاربة ابن سعود الذي انتزع ارض عتيقة من العثمانيين ، وكانت النتيجة ان اعطى ابن سعود للشريف حسين وثيقة خطية تتضمن اعترافه بسيادة الدولة العثمانية ، واعتراف يتبعية عتيقة للشريف^(٣) .

ولذا ان نتسائل هنا عن موقف الحكومة العثمانية خلال تلك الحملة وهو موقف لم يكن واضحاً ، على ما يبدو ، حتى لابن سعود نفسه . ويمكن القول انه من غير

^(١) Abu - Manneh , Op . cit ., 21.

^(٢) السعدون ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

^(٣) حول حملة شريف مكة على القصيم سنة ١٩١٠ ، انظر Haworth , Op . cit ., p . 22 .
اذ يشير الى ان الحسين كان يسعى لتحقيق التصار على ابن سعود لكسب ثقة الاتحاديين الذين علوه شرifaً على الحجاز

المعقول ان تتم حادثة من هذا النوع دون علم الحكومة العثمانية ، كما انه من غير المتوقع ان يقدم امير مكة المكرمة الشريف حسين التابع للحكومة على عمل من هذا القبيل دون حصول مراسلات مع حكومته ، ليتم اطلاعها على الامر ، وعلى هذا ارجح ان يكون الامر تم بعلم الحكومة العثمانية ، ان لم يكن بمعاركتها ، ولعل ذلك الخاطر قد طاف بذهن ابن سعود ، فضمن رسالته الى الشريف حسين قوله " بأنه ليس نزاع مع الحكومة العثمانية ، وان اهل نجد الذين اختاروه حاكماً لهم يعتزون بسيادة السلطان عليهم "(١) .

ويجدر بنا ان نسلط الضوء على الدوافع التي دفعت الشريف حسين للقيام على حملاته تلك ، فإذا استثنينا الغرض بأنها تمت بتوجيهه من الحكومة العثمانية فيمكننا القول بأن اول هذه الدوافع هي رغبته في تحقيق نصر مهم ، يظهره امام الحكومة العثمانية بأنه الزعيم المنفذ في كل شبه الجزيرة العربية والذي يستطيع ان يحقق بحملة صغيرة ما عجزت عنه جيوشها وجيوش حليفها ابن الرشيد (٢) ، ولا شك ان ورقة التهدى التي حصل عليها من ابن سعود قد حققت له هذه الغاية .

وفي عام ١٩١٠ ، استشار العثمانيون الشريف حسين امير مكة المكرمة بشأن الثورة التي قام بها الامام يحيى في اليمن ، فنصحهم الشريف حسين ان يتقدوا مع الامام يحيى على اية شروط تكون مقبولة لديه ، كي لا يضطرون لمواجهة ثورة اخرى في المستقبل وفي الوقت نفسه كتب الشريف حسين الى الامام يحيى باسم الرابطة الاسلامية على ضرورة الانفاق مع الدولة العثمانية . وعمل الاتراك بنصيحة الشريف حسين وعقدوا اتفاقية مع الامام يحيى في آب ١٩١١ ، اعترفوا فيها برئاسته

(١) فتوح عبد المحسن الخترش ، العلاقات السعودية - اليمنية ١٩٢٦-١٩٣٤ ، (منشورات ذات اللسلسل ، الكويت ، ١٩٨٣) ، ص ٥٢ .

(٢) للتفصيل عن العلاقات بين حائل والدولة العثمانية ، انظر جبار يحيى عبيد ، التاريخ السياسي لأماراة حائل ١٨٣٢-١٩٢١ ، اطروحة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ . ص ١٤٣ .

في صنعاء والجبل . وظل الامام وفياً لهذه الانقاضية حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى^(١) .

كما استجدت الدولة العثمانية في عام ١٩١١ بالشريف حسين للقضاء على الشيخ محمد الادريسي^(٢) امير منطقة عسير^(٣) بسبب شدة عصا الطاعة واعلاته عدم الولاء والطاعة للسلطان العثماني واعلاته انفال اقليل عسير عن السلطة العثمانية اذ استطاع الادريسي ان يجمع حوله القبائل وان يتضمن في ابها عاصمة اقليل عسير ، وان يتزعم للقيام بثورة عسير ، فانتهز فرصة وقوع الانقلاب العثماني عام

(١) موسى ، الحركة ، ص من ٥٢-٥٣ .

(٢) ولد محمد بن علي بن ادريس في منطقة صبيا في عام ١٨٧٦ م ، ونشأ فيها وظل حتى عام ١٨٩٤ ، حيث توجه الى مكة المكرمة ، واقام بها مدة ستة اشهر ، ثم قصد مصر لتقى العلوم في الازهر الشريف ، واقام بها ست سنوات . وفي خلال الامانة في مصر التفت حوله بعض المسلمين من دعاة السياسة الايطالية واظهروا الصداقة والمحبة وانتسبهم الى طريقة جده السيد احمد بن ادريس (احد علماء الصوفية المحققين) حتى استمالوه اليهم واصبحوا موضع تقديره : ثم بدأوا يتبرونه على الدولة العثمانية ويصفونها له بأنها دولة ظالمة ومجهنة بحق اهل اليمن ، ولا بد ان يزول ظل هذه الدولة من هذه الولاية وتعود الى اصحابها . " فألمت احق بأوطانكم " . وقد لقي هذا الكلام من الادريسي اذناً صاغية وجالت في ذهنه لكرة محاربة الدولة العثمانية . الامر الذي دفعه بالعوده الى مقره الاصلي صبيا واخذ يبيث الدعايا لنفسه ويتحبس لفترات المناسبة لتنفيذ رغباته ، للتفاصيل ، انظر المسواف ، مصدر سابق ص ١٤١ ، الريhani ، ملوك ، ص ٢٩٨ ، شريف عبد المحسن البركاني ، الرحلة لليمانية (المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٦٤) ص من ٦-١١ .

(٣) منصورية عسير جزء من ولاية اليمن التابعة للدولة العثمانية وتقع في جبال السراة ويتبعها ست قائم مقاميات منها في السراة الثنان وهما "النماص" الواقعة في شمال "ابها" ، وشرقي "القندذة" والثانية قائم مقامية "غامد" ومركزها "رخدان" شمال "النماص" والاربع الاخري واقعة بتهمة عسير ، للتفاصيل انظر مؤلف مجهول ، خصائص اليمن ، مخطوط محفوظ في دار صدام للمخطوطات ، بغداد ، برقم ٢٤٦ .

١٩٠٨ واعلان الدستور ، وما تبع ذلك من انشغال حكومة الانقلاب بالمشكلات الداخلية والخارجية^(١).

ويذكر البركاتي "لما خاف دولة امير مكة من استئصال امر الادربي ... خاطب الدولة العليا في ان تلتف انتظارها الى هذا الشائر الباغي" . "فرأت الدولة العليا ان تلقي فك هذا المشكك على كاهل دولته ، لما عهده في من الهمة التامة في توطيد دعائم الامن ، والعزز الماضي في قمع الثائرين ، وقطع دابر المفسدين فاصدر امير المؤمنين امره الشاهاني الى دولته بالتوجه لفك حصار ابها ، واستصال شافة الادربي" ، فتمثل الشريف حسين للامر^(٢).

تمكن الادربي من تكبيد القوات العثمانية خسائر جسيمة في اثناء حصاره لقواتها في مدينة ابها ، الامر الذي دفع بالدولة العثمانية الى الاستجداد بالشريف حسين ، الذي كان هو الآخر يتحسب من امتداد خطر الادربي الى الحجاز فارسل الشريف الرسل الى الادربي لغرض التفاف معه ، وووجه بتنفيذ مطالبه ، إلا ان الادربي رفض ذلك واصر على مواصلة الحصار ضد القوات العثمانية^(٣).

ادع الشريف حسين حملة على عسير ، لمحاولته فك الحصار عن القوات العثمانية المحاصرة في مدينة ابها ، وارسل برقية الى ولديه فيصل وعبد الله لقيادتها اذ كان الاخير عضواً في مجلس المبعوثان في استانبول^(٤) . ولا شك ان موقف الشريف حسين قد زاده احتراماً وتقديراً من الدولة العثمانية ، وهذا ما كان يبغىه من اظهار سمعته ومكانته وابراز سمعة ولديه عبد الله وفيصل .

(١) محمد لحمد بن عيسى العقيلي ، المخلاف السليماني او الجنوب العربي في التاريخ ، ج ٢ القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٩١ ، الصواب ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٢) للتفصيل النظر البركاتي ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٣) سعد كاظم حسن ، الملك فيصل الاول ودوره في الثورة العربية رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٨ ، ص ٣٣ .

(٤) يشير الملك عبد الله الى ذلك في مذكراته "وكنت يومئذ في المجلس التليابي ، فطليبي واجازتي المجلس ، للتتحقق بالامير في الحجاز ، الملك عبد الله بن الحسين ، الاثار ، ص ٧٨ .

و قبل تحرك الحملة ، القى الشريف حسين خطاباً في اعيان مكة و اشرافها قال فيها انه "يسافر مع اولاده و قبائله بأمر جلالة السلطان ، للتضحية نفسه في سبيل بلاده و وطنه وسلطانه ، الذين نذر نفسه لخدمتهم " ^(١) .

و تحركت الحملة في ١٦ نيسان ١٩١١ ، بقيادة الامير فيصل ، فوعده الاتراك بتسليم القليم عسير له في حالة نجاحه في الحملة والقضاء على الادريسي ^(٢) . و تقدمت الحملة في تهامة وتمكنت في تموز من فك الحصار عن ابها ثم استولت على القنفذة و توقفت فيها ، بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة وقلة المياه وانتشار امراض واوبئة ومنها الحمى ، التي أصيب بها قائد الحملة الامير فيصل ^(٣) . وبعد ذلك عادت الحملة الى الحجاز بينما ظل الادريسي صامداً على موقفه ضد الدولة العثمانية ومحتملاً في المناطق الجبلية في عسير ^(٤) .

و كان الشريف حسين قد خطب في مدينة ابها خطاباً ، يذكرى اعلان الدستور دللاً فيه على شدة اخلاصه للدولة العثمانية إذ قال للمحتفلين : " اعلموا علم اليقين انه لو لا وجود هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خلفائها بالامة الاسلامية لا تخطفونكم الدول الاجنبية اختطاف الذئاب للغنم المنفردة " ^(٥) .

و يبدو ان سبب عودة الشريف حسين الى الحجاز قبل تصفية ثورة الادريسي انما يعود الى الخلاف الذي نشب في ابها بين الشريف ومتصرف عسير سليمان شفيق باشا بسبب رفض الاخير الى الانتمار بما يشير الشريف ، وكانت من اسباب الخلاف الفضائح التي شاهد الجنود والضباط الاتراك يرتكبونها في عسير من اطراف القرى

^(١) موسى ، الحركة ، ص ٥٣ ، العقيلي ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

^(٢) البركاتي ، المصدر السابق ، ص ١٤ ، توفيق علي برو ، العرب والترك في تعهد الدستوري ١٩١٤-١٩١٥ ، معهد البحوث ولدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٧ .

^(٣) للتفاصيل ، انظر الملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، ص من ٧٩-٨١ .

^(٤) موسى ، الحركة ، ص ٥٤ ، عبد الله بن الحسين ، مذكرة ، ص ٦١ .

^(٥) موسى ، الحركة ، ص ٤٥ .

وقتلهما الابرياء والتمثيل بالموته ، كل ذلك كان سبباً في عودة الشريف إلى العجاز من جهة ، وبدالية تفكيره في الانتفاضة على الأتراك^(١) .

وفي آذار ١٩١٣ عادت الحملة إلى عسир لكن دون أن تشارك مع الأدريسي في معارك فاصلة^(٢) ، إذ حاول الشريف أن يتوسط بين الأدريسي والدولة العثمانية ولكن بذور الارتياح في أهداف الشريف اخذت تنمو في نفوس الأتراك ، فرفضوا الوساطة ومنذ ذلك الحين أخذ موقفهم منه يتشدد ويغدو أكثر صلابة^(٣) . ونستدل على ذلك من رسالة بعث بها الشريف حسين إلى أخيه ناصر (عضو الاعيان) في الاستانة وقد طلب منه أن يبلغها الصدر الأعظم ، إذ جاء في رسالة الشريف ما يأتي : " يا سيدى ودهم يخسفو بنا الأرض رغمأ عما نحن قائمون لهم به من الخدمات المهمة . ما هو من جهة الامارة . لا . لا يا سيدى ، بل لمقام الخلافة التي هي الان الوحدة الاسلامية ... لكن يا أخي كان يقتضي إذا سمعت مثل هذا تروح لحضررة الصدر او مستشاره وتقول له بلغنا كذا وانا متأسف بالكم تسعون في خروج الحجاز من ايديكم . وهو الان اول ولایة في الخضوع والسكوت . ويلزم تعلمون ان الدولة ليست محصورة في الترك بل لنا النصيب الاعظم في الشورى وحق الرأي فيما يتعلق بأساسها . فاما نراه اصلاح نعمل به وما نراه مضر ومخالف بمنافعها فثرده بالمراجعة لهم فيه ، ما هو لكسب شهرة او منفعة ذاتية بل لخدمة جماعة المسلمين ... خلاصة يا أخي انت ما ارسلناك تصير اعيان ، انت من طرفى اذا سمعت مثل هذا تروح تستوضح الصداررة والرأية عن مثل هذه المواد وتعرضه عليها ... " ^(٤) .

(١) موسى ، الحركة ، من ص ٥٥-٥٥ ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، من ص ٦٢-٦٥ .
سعید ، الثورة ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .

(٢) موسى ، الحسين ، من ص ٣١-٣٢ ، الاملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، من ص ٨٠-٨١ .

(٣) الملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، ص ٧٨ .

(٤) موسى ، الحركة ، ص ٥٦ ، ان موقف الشريف حسين كان متفقاً مع موقف الزعماء العرب الاصالحين الذين كانوا ينادون باللامركزية ، وبيان تقال الدول العربية قسطاً كبيراً من اسباب الحكم الذاتي ، لذلك نرى خمسة وثلاثين من الاعضاء العرب في مجلس المبعوثان يوجهون -

وقد اشيع في الحجاز اشاعات نسباً هزيمة الجيش العثماني وان الشريف قد قتل وقد نشر هذه الشائعات الشريف ناصر بن محسن ، أحدبني غالب ، وقد ابلغ الشريف حسين بذلك ، وفي اليوم الثاني لوصوله الى الطائف جاءه الوالي حازم يوك على رأس وفد لاستقباله كان من بينهم الشريف ناصر ، وعندما شاهده الشريف امر باخراجه فاجابه " الوالي : عنوا يا سيدى فانه قد جاء معى " .

اجابه الامير صادا : وان كان قد جاء معك ؟

قال الوالي : انا ممثل السلطان ، هذه المعاملة تحقر للسلطان نفسه ... فاجاب على الفور : هل تركتم ناحية من السلطان لم تحقروها ؟ انا ممثل السلطان هنا لا انتم...^(١) .

وبعد ثلاثة أيام وردت برقية من الصدر الاعظم تأمر امير مكة المكرمة الشريف حسين بالاعتذار عن قضية الشريف ناصر ، جاء فيها : "لقد بلغت المساعي السنوية التي وقعت من ذائقكم الهاشمية على الشريف ناصر بن محسن الذي هرع لاستقبالكم مع عطوفة حازم بك والي الحجاز ، وان الرغبة السلطانية منصرفة الى استدعاء الشريف الى مقامكم السامي وتلطيفه وارضائه"^(٢) .

فأجاب الامير حسين بأن ناصراً كان قد نشر إشاعة ، يمكنها ان تكون هدفاً لخلق ثورة ، وما جاء في برقية الامير حسين قوله " بما ان الاسباب الموجبة لما نال الشريف ناصر بن محسن من زجر واخراج لا يتعلق بي شخصياً فانا لا ارى ان علي

- للشريف حسين المذكورة التالية : " نحن نواب العرب في مجلس للمبعوثان " ندرك على امرة مكة ، ولتعرف لك دون سوالك بالرئاسة الدينية على جميع الاقطار العربية ، لأنك الان خلاصةبني الرسول صلى الله عليه وسلم . واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا نجهز به عند الحاجة " . انظر سليمان فيضي ، في غمرة النضال : مذكرات سليمان ، بفداد ، ١٩٥٢ ، من ٨٧ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٧ .

(١) الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص من ٧٦-٨٧ .

(٢) حول برقية الصدر الاعظم للشريف حسين ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ٨٧ . الملك عبدالله بن الحسين ، مذكريتي ، ص ٧١ .

اظهار الندم على ما فعلت . وان ما اشاعه الموما اليه من اخبار اضمحلال القوى التي كانت معى لم يقصد منه الا ايجاد حركة ثورية هنا ، فهو يستحق ما لقى مني . وقد بلغنى الخبر من مكتوبى الولاية ، ثم جاء به الوالى وهو يعرف ذلك ، وفي هذا من المداهنة والفساد ما ليس من خلقي ^(١) .

ولكن الباب العالى لم يفتح بجواب الامير حسين ، اذ جاء الرد على الفور من الصدر الاعظم يقول : " ان الباب العالى لا يستطيع غض النظر عن كسر الرغبة السنوية التي تبلغتموها بالبرقية السابقة ، والتي تويدها بهذه موكدين انتظار جلاله السلطان النتيجة " ^(٢) .

اما الامير حسين فلم يهتز او ينسحب من موقفه ، اذ على الفور ابرق للباب العالى برقية جوابية جاء فيها : " اتنى بعد ولى العهد في المكانة : ولا اظن ان الرغبة السنوية تقصد الحط من هذا المركز القديم . والباب العالى الذي لا يستطيع غض النظر عن نفوذ الذات السنوية ، كيف يواجه هذه التهمة الشائنة الى رجل لم يلتصق بعد غبار السفر عن رجله في مجد السلطان ؟ وان الباب العالى حر في ما يجب ان يفعله " ^(٣) .

واستمرت القطيعة بين الباب العالى والامارة طيلة شهر رمضان وفي ليلة العيد زار قائد الجنادل رمة عثمان بك الامير علي الابن الاكبر للامير حسين ، واحبره بان الوالى حازم بك امر بزيارة الامير حسين والاعتذار له . فتم ذلك كما اراد ^(٤) . وابرق

(١) حول برقية الامير حسين للصدر الاعظم ، انظر الملك عبدالله بن الحسين الآثار ، ص ٨٧ عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٢ .

(٢) حول برقية الصدر الاعظم للامير حسين ، الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ٨٨ ، الملك عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٣ .

(٣) حول برقية الامير حسين للصدر الاعظم ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ٨٨ عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٢ ، وقد صدرت الاوامر للوالى ان يصلح الشريف وان يتم الصلح في احتفال عام وان يقبل الوالى رداء الحسين للليل على خصوصه لقدسه مذهبة النظر انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٤) Daw, Op cit., PP. 12-13

الأمير حسين الى الصدر الاعظم سعيد باشا الذي حل محل الصدر الاعظم ابراهيم حقي بضرورة متابعة الحادثة من خلال البرقيات المتبادلة ، بقوله " ارجو ان تلاحظوا البرقيات المتبادلة بين الصدر والامارة ، من تاريخ كذا ، الى تاريخ كذا ، وبها تفاصيل الحادث "(١).

وعلى الرغم من ذلك ، فان الحكومة العثمانية اخذت تخطط لازالة امير مكة المكرمة الشريف حسين على اعتبار ان الاخير كان يخطط للثورة ، وقد خلق الاجتماع الذي انعقد بين الامير عبدالله واللورد كتشنر المقيم البريطاني في القاهرة عام ١٩١٣ تأكيداً لتخمينات الصحافة العثمانية ، اذ أصبح واضحاً بان المسؤولين الاتراك الكبار متأكدين بان الشريف حسين قد بدأ التقارب للبريطانيين من أجل المساعدة ، ولا شك ان هذه التقارير تبدو انها قائمة على الشائعات والشكوك (٢) ولكن في حقيقتها لا تخلوا من حقيقة ان الشريف حسين كان يعد العدة في الخفاء في الانفصال عن الاتراك وما تكليفه لابنه عبدالله بالاتصال باللورد كتشنر الا لهذا الغرض.

(١) حول برقيه الامير حسين للصدر الاعظم سعيد باشا ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ص ٨٨ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٣ .

(٢) حول لقاء كتشنر - عبدالله ، انظر موسى ، الحركة ، ص ص ٦٦-٧٤ .

٤ - تدهور العلاقات بين الاتحاديين والشريف حسين :

عندما شعر الاتحاديون بازدياد نفوذ الشريف حسين ، وعلو مكانته ، وقوه شخصيته ، وصعوبة انتقاده وعدم تردده في مناقشة الحكومة والسلطان ، والتعبير عن ارائه في القضايا التي تهم الدولة العثمانية عامة والجهاز خاصة ، وبذلك ما كشفت عنه مرسالاته العديدة أيام تلك الفترة ، توجسوا منه الخفة وقرروا التخلص منه والقضاء على استقلال الجهاز التوعي ، واصروا على تطبيق قانون الولايات الجديد لعام ١٩١٣^(١) ، من أجل تعميم سياسة تنريك العرب^(٢).

والواقع ان هذا الاتجاه الجديد قد وضح بعد انتهاء الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣^(٣) إذ اتجهت نية انور باشا^(٤) وزير البحرية ، وجمال باشا^(٥) وهو من اقطاب

(١) هدفت الحكومة العثمانية من وراء هذا القانون تأكيد سلطاتها المركزية في ولايات الدولة العثمانية ، مما أثار لها المشاكل في هذه الولايات ، حول تفاصيل القانون انظر برو ، المصدر السابق ، ص ص ٤٧١-٤٨٠ .

(٢) ابریحات ، الثورة ، ص ٦٥ ، سليمان موسى ، الثورة العربية الكبرى ، وثائق ، اسناد (دائرة القنال والقطون ، عمان ، ١٩٦٦) ، ص ٢٠٥ .

(٣) محمد نجيب ورجب حراز ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠٨ .

(٤) ولد انور باشا في استانبول عام ١٨٨٢ ، من اب موظف في سلك الحديد ، وهو خريج الكلية العسكرية في استانبول ، انضم لحركة تركيا الفتاة ، وهو من شهر الضباط الاتحاديين ، الذين رفعهم الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ ، خدم كمحلق عسكري في برلين ثم ضابط ميدان . عاد إلى استانبول ليقود الحملة ضد حكومة الباب العالي ، تقلد عام ١٩١٤ منصب وزارة الحربية ووكالة قيادة الجيش قبل ان يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره ، للتفاصيل انظر

Bernard Lewis , The Emergence Of Modern Turkey , Royal Institute International Affairs , U.S.A , 1968 , P. 217 .

وابراهيم صالح شكر ، قلم وزير ، تاريخ ما اهلته التاريخ من حوادث ، المسألة العربية في الجهاز وسوريا والعراق ، عرض خالد محسن اسماعيل (مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٠) ص ٩٣ .

(٥) ولد جمال باشا في استانبول عام ١٨٧٢ من عائلة عسكرية ، وهو خريج الكلية العربية واحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي ، تولى بعد انقلاب عام ١٩١٣ منصب الحكم العسكري -

الاتحاديين ، الى الغاء نظام الشرافة بهدف التخلص من قوة عربية لها نفوذ ديني وادبي كبير في جميع ارجاء العالم الاسلامي^(١).

وفي نهاية عام ١٩١٣ وقع اختيار الاتحاديين على ضابط البانى من منتسبيهم جمعيتهم ليكون والياً على الحجاز ، وقاداً عاماً للقوات المرابطة في هذه الولاية^(٢) الا وهو وهيب باشا المعروف بصرامته وتحمسه لمباديء جمعية الاتحاد والترقي وجمعوا بيده السلطتين التنفيذية والادارية^(٣) ، بعد ان زوده بقوة عسكرية تتألف من سبع كتائب^(٤) مشاة ، وكتيبة واحدة من المدفعية^(٥) ، مع تعليمات باضعاف ما للشريف حسين من نفوذ ومقاومة ، والتقبض عليه اذا استوجب الامر ، والغاء امتيازات الحجاز المحلية التي يتمتع بها منذ السابق بسبب وضعه الاقتصادي والجغرافي والديني وجعله ولاية عانية ، وذلك عن طريق تطبيق قانون الولايات الجديد ، الذي ينص على ان يدفع اهالي الحجاز الضرائب كغيرهم من سكان الولايات الاخرى ، بعد ان

- لاستانبول ، ثم أصبح وزيراً للعربية وقاداً عسكرياً في سوريا ابان الحرب العالمية الاولى وهناك نكل بأحرار العرب واعدم عدد كبير منهم ، ولذا لقب بالسفاح ، لتفاصيل النظر شكر المصدر السابق ، ص ٧٦ ، جعفر العسكري ، مذكرات جعفر العسكري ، تحقيق وتقديم نجدة فتحي صحفة ، (دار السلام ، للدن ، ١٩٨٨) ، ص ٥٤ ، هامش ٢.

(١) الصواف المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، حسن صبرى الخولي ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ، (دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٢) ج ١، ص ١٢٧ .

(٢) في كانون الثاني ١٩١٤ وصل وهيب باشا الى الحجاز ، انظر على فواد كيف غزونا مصر ترجمة نجيب الارمنازي (دار الكتاب الجديد ، القاهرة ١٩٦٢) ص ٧٨ .

(٣) احمد قدرى مذكراتى عن الثورة العربية الكبرى (مطبع ابن زيدون) ، دمشق ، ١٩٥٦ ص ٣٥ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٤) مفرداتها كتبية ، وهي الفرقة العسكرية المولفة من ١٠٠٠ رجل .

(٥) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٨ ، موسى ، الثورة ، ص ٢٤

كانوا معفين منها ملأ طوبل وتنفيذ التجنيد الإجباري على إبناء الحجاز ، فضلاً على المباشرة في مد خط سكة الحديد من المدينة إلى مكة^(١).

ويورد الفريق غالب باشا نص التعليمات التي أعطيت لوهيب باشا في مذكراته : " إننا نعلم أن الشريف حسين عمل بكل قواه في سبيل استقلال العرب وسلخ هذه البلاد عن السلطة العثمانية ، وللهذا اعتزمنا عزله وتولية الشريف على حيدر (من آل زيد) بدلاً عنه . فعليك حين وصولك إلى مكة أن توجد خلافاً بين مقامي الولاية والأماراة لتمكن من تحقيق هذا الهدف "^(٢).

يتبيّن مما تقدّم بأن الاتحاديين قرروا انتهاج سياسة جديدة في الحجاز ، وهي مظهر لسياسة الحكم المركزية التي قرروا تطبيقها في إرجاء ولايات الدولة كافة وهذا ما كشفته التعلمات التي زود بها وهيب باشا ، القاضية باشرافه على شؤون ولاية الحجاز الإدارية والعسكرية والمالية كافة ، وإن يترك للشريف حسين السلطة الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولا شك أن هذه التعليمات التي يحملها وهيب باشا والسياسة المركزية التي حرص الاتحاديون على ادخالها في الحجاز تهدف القضاء على كل ما للشريف حسين من نفوذ وامتيازات .

ومن الطبيعي أن يفسر تعين الوالي الجديد تغيراً في السياسة العثمانية خصوصاً وأن الشريف حسين كان يحتفظ بعلاقاته الودية ببعض الولايات السابقات فتحتم النزاع مع الوالي الذي لم يمض على مقدمه عدة أيام . وبعد أن تيقن حسين من

(١) سعيد ، الثورة ، ص ص ٥٢-٥٥ ، تحسين العسكري ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية (مطبعة العهد ، بغداد ، ١٩٣٦) ، ص ١٠٧ ، موسى ، الحركة ، ص ص ٧٤-٧٦ ، انطونيوس المصدر السابق ص ٣٠٣ ، محمود زايد ، أحداث الثورة العربية الكبرى من أعلاها إلى دخول فيصل دمشق ، دراسات في الثورة العربية الكبرى (مشورات الشرك الأردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧) ، ص ٦٨ .

(٢) موسى ، الحسين ، ص ٥٢ .

نوايا الدولة خاصة وانه كان يطلع على المراسلات المتبادلة بين الوالي والاستانه احياناً^(١).

رفض الشريف حسين هذا الوضع الجديد الذي اراده الاتحاديون لولاية الحجاز ، وعارض في فرض التجنيد الاجباري في ریوع الحجاز وقال ، ان مثل هذا النظام غير عملي ولا يمكن تطبيقه على القبائل الحجازية^(٢).

والواقع ان الرفض لم يقتصر على الشريف حسين واتياعه فحسب ، بل عم اكثراً سكان المدن الرئيسه وولد جوا من الفوضى ، حيث انقطعت المواصلات بين الساحل والداخل وبين مكة والمدينة . وهاجمت القبائل البدوية القوات التركية ، كما حاصرت النقاط العسكرية بين جدة والمدينة ، وامتنع سكان الاوئية المحاطة بمكة من جلب الخضار والفاواكه والسمون والاغذام اليها . وتجمهر أهل مكة حول دار الحكومة ينددون بعدم تغيير امتيازات الحجاز وعدم تمديد خط سكة الحديد ، واثراء ذلك جاء الشريف حسين الى الوالي فهتفت الجماهير تأييده له^(٣) . ودخل الشريف على الوالي وقال له : " ها انت ترى رغبة الشعب الحجازي في التمسك بحقوقه القديمة وبالشروط التي بويع بها السلطان سليم الاول بالخلافة . فان احببت عدم اعتبار هذا وكانت في

(١) وهي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ ، كان للشريف بعض الرقباء والجواسيس الذين كانوا يوالونه باخبار وهب وصور برقياته الرمزية واجوبتها من الحكومة ، انظر حمزة ، المصدر السابق ص ٣٢٩ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٢ ، الزاوي ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ويبدو ان خيرية قاسمية قد حملت الامر اكثراً مما يتحمل يقولها ان الشريف حسين اصطدم مع الوالي العثماني حينما عزم الاخير على تطبيق نظام الولايات الجديد في الحجاز " واصبح معروفاً ان للشريف مطامع تفوق شرائطه وامتيازاتها وكان ذلك بمثابة انذار له بالعزل من منصبه " ، في حين ان الحقيقة تشير العكس تماماً ، للتفاصيل انظر خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠ (دار المعارف ، القاهرة ١٩١٧) ، ص ١٥ .

(٣) موسى ، الحسين ، ص ص ٤٧-٤٨ ، موسى ، الحركة ، ص من ٧٦-٧٨ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٤ ، حكمت عبدالكيم فريحات ، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠ ، (دار المراقي الجامعية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧) ، ص ٧٦ .

يذكر اوامر من الدولة بتطبيق قانون الولايات على هذه البلاد وسلخ امتيازاتها ، فأننا هذه الاوامر التي لم تأتى منها من الباب العالى أي اشارة . واذا كان المقصود اجراء تبديل في الامارة ، فهذا لنا سابقى هنا الى حين تأتي الباحثة التي سأسافر بها الى جهة ثلاثة يقع ما تستند تبعاته الى .^(١)

وهذا نلاحظ بان الشريف حسين قد قدم نصيحة للوالى بالكاف عما جاء من اجله ، وضرورة احتفاظ الحجاز بحقوقه القديمة ، وفي الوقت نفسه ابرق الشريف حسين الى الاستاذ موكدا طلبه هذا ، وشكراه للارواضاع الفلقه السائدة في الحجاز^(٢) . ولكن الوضع استمر على حاله ، وانتشرت الفوضى بتزايد عمليات السطو والنهب التي شرعت قبائل البدو بعماراتها في العرق المؤدية الى المدن ، واضحت هذه الحوادث تتكرر يوما فآخر . وادرك الوالى خطورة الوضع ، فقدم اعتذاره للشريف حسين آملا في تسوية الامر ولو وقتيا ، الا ان الامير تجاهل ذلك رغم توجيهه نجله فيصل لتأديب البدو الذين كانوا سببا للاضطرابات في جهات جهة^(٣) ، وابلغ الشريف الحكومة في اسطنبول انه لا يتحمل مسؤولية ما يحدث في الحجاز^(٤) . ادرك وهب باشا عجزه عن فتح الطرق القائمة بين المدن الرئيسية وتأمينها من القبائل البدوية ، الامر الذي وجد نفسه مضطرا للعمل في ازاحة الشريف حسين عن منصبه ، وقد فلتتح حكومته لاسعافه بقوات اضافية لتنفيذ المهمة ، واستجابت الحكومة للتقرير الوالى ، وشرع طلعت باشا لتنفيذها لولا تدخل الصدر الاعظم سعيد حليم^(٥) في الامر ، وتحذيره من مغبة هذه الخطوة ، واقتراح ارسال جماعة من ذويه لتحذير الشريف من جهة وتتويره بنظرية الحكومة بشأن السياسة التي تتبعها في الحجاز من جهة ثانية ، الا ان فعل هذه الاساليب الاخيرة دفع بائور باشا هذه المرة للتذمیر في

(١) حول نص برقية الشريف حسين ، لنظر موريس ، المصدر السابق ، من ص ٢٥-٢٦ .

(٢) وهب ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ، موسى ، الحركة ، ص ٧٧ .

(٣) موسى ، الحركة ، ص ٧٦ .

(٤) سعيد حليم هو خالد محمد علي باشا ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٨ .

خلع الشريف حسين ، وذلك بارسال فرقة عسكرية من ازمير تتولى هذه المهمة^(١) . ولكن تدخل الصدر الاعظم مرة ثانية على اساس ان هذا العمل سوف يكون له اثر عكسي في الحصول على القرض المطلوب من فرنسا^(٢) ، لكن الازمة هدأت اثر وصول برقيه من الصدر الاعظم سعيد حليم للشريف حسين ، يؤكد فيها عدم الاخلاص بحقوق الامارة وامتيازات الحجاج ، وان الحكومة لا تلح في الوقت الحاضر على مد الخط الحديدي ، ولم تثبت الاحوال ان هدأت بعد ان تلبت البرقية في المسجد واحبط الناس علما بمضمونها^(٣) .

وهكذا رأى الاتحاديون ان من حسن السياسة مهادنة الشريف حسين بنفس الوقت حتى تحيى لهم الفرصة لعزله من الشرافة وتوليه الشريف علي حيدر من آل زيد بدله^(٤) ، رغم ادراكمهم بان الشريف حسين عمل على توطيد نفوذه بين قبائل الحجاز حتى طوعها لنفسه كقوة سياسية في شبه الجزيرة العربية^(٥) ، ويبدو ان التزاع

(١) وهيم ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، فواد ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٢) تعهد فرنسا بالاراضن الحكومية العثمانية مبلغ (٣٥٠٠،٠٠٠) ليرة ، انظر وهيم ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، ويتحدث الشريف علي حيدر في مذكراته ، عن خلاف ثنا بين الصدر الاعظم سعيد حليم من جهة ، وبين ملعت وائزور من جهة اخرى ، حول السياسة التي يجب ان تنتهجا للدولة حال تصرفات الشريف حسين ، ويذكر ان ملعت وائزور اتفقا على ارسال حملة عسكرية الى حجاز لفككاه بالشريف حسين ، ولكن سعيد حليم حال دون ذلك متحجا بان عملا كهذا سيثير مشاكل داخلية وخارجية هم في غنى عنها . هذا بالإضافة الى معارضة كثيرين من الوزراء في اية خطوة تتخذ ضد الشريف حسين ، انظر موسى ، الحسين ، ص ٥٣ .

(٣) حول برقيه الصدر الاعظم للشريف حسين ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٥ ابراهيم الشريفي ، الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها (الدراسات الدولية ، مؤسسة العرب ، لندن ، ط ١ ، ١٩٨٤) ، ص ١٧ .

(٤) الخولي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٥) عطية ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

بين الشريف حسين والاتحاديين حتى هذه اللحظة ، كان نزاعاً داخلياً ينحصر في دائرة العلاقات بالدولة العثمانية ووضع ولاية الحجاز فقط^(١).

وإبان أزمة عام ١٩١٤ حول تطبيق قانون الولايات في الحجاز ومد السكك الحديدية من المدينة إلى مكة ، فقد سافر الأمير عبدالله إلى استنبول للاشتراك في جلسات مجلس المبعوثان الجديد في دورته الأولى التي ستفتح في ١٤ أيار ١٩١٤ وهناك تباحث مباشرة نيابة عن أبيه حول الخلاف القائم بينهما حول تمديد سكك الحديد ، إذ أجرى مباحثات مع الصدر الأعظم ووزيري الداخلية والحربيه^(٢).

ساد لقاوه مع الصدر الأعظم سعيد حليم الود المتباول ، وعلى ما يبدو ، ان الصدر الأعظم كان من المتعاطفين مع الشريف حسين (آل عون) لقاء ما قدموا من الخدمات أثناء تقدم محمد علي لفتح الجزيرة والتضياء على الوهابيين^(٣). وهذا ما يتضح من اللقاء الذي جاء فيه : "وان ابى يقرئك السلام ، ويقول انه لا ينتظر ان يدافع عن حقوق الشرافة وعن مقام آبائه واجداده في عهد صداره سعيد حليم باشا حفيد محمد علي باشا الكبير ، صديق البيت . قال : ولم ؟ ان كل الامور سويت وقد رضى الامير عما عرضناه عليه ، وانا ارجو ان تراني غدا في الباب العالى وفي الساعة الرابعة بعد الظهر ، بعد ان تقابل وزير الداخلية طلعت باشا^(٤) ووزير العربية انور باشا قبل الظهر" ، ولكن الامير رد السلطان رداً عبر فيه عن احترامهم وتقديرهم الذين ورثوه والذي لا يمكن ان يهتز وهذا ما يتضح من قوله "انا اذهب اليهما ، وانا مبعوث مكة ، ولا علة لي بهما ، لانني لست بالموظف ، وان كانت هنالك اي رشبة سامية منكم ، فأنا انتظر الدعوة منها بعد تعين الوقت ، وقد

(١) زايد ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٢) موسى ، الحركة ، ص من ٧٨-٧٩ .

(٣) للتفاصيل راجع الفصل الأول .

(٤) ولد طلعت باشا في اذنه في عام ١٨٧٤ من عائلة فقيرة ، وقد تعلم الفرنسية في مدرسة الاتحاد اليهودية ، واصبح رئيساً لكتاب في ولاية سلافيك . وملمّوراً للبريد وعضووا في الخزانة العامة . ووزيراً للداخلية / للتفاصيل ، النظر ، التعليم ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

عرفنها في انهم لا يقابلان من يزورهما بداع من نفسه . فقال : تأثرك الدعوة .
فخرجت ^(١) .

وأمام ذلك لم يكن امام الوزيرين بد الا توجيه دعوة للامير عبدالله بال مقابلة ^(٢) .
وقد اوضح الامير عبدالله خلال اجتماعه مع طلعت باشا خلاف والده مع
الحكومة العثمانية ورده الى الادارة السلطانية الرامية الى اضعاف مركز والده من
خلال اضعاف مكانة الحجاز واخضاعه للاجراءات المتبعة في الولايات الأخرى
خلافا لما يراه والده من الحفاظ على القديم ، مؤكدا (عبدالله) هدف والده في خدمة
الدولة ، وضرورة اسناها له . ويصف الامير عبدالله مقابلته مع طلعت باشا بقوله :
” قال لي : انحلت الازمة بالحجاز ، فاعلمني ماذا جرى ؟ قلت : لا علم لي بما
جرى ، لأنني كنت بمصر ، والتفاصيل هي عندكم ؟ ولكن الذي اعلمته اجمالا هو
ان ما حدث ليس الا نتيجة طبيعية لسياستكم ، انتم الاتحاد والترقي ، وسياسة
الشريف . قال : كيف ؟ قلت : انتم تريدون اخراج الحجاز من صبغته الخامسة
الى ولاية عثمانية ، يجري فيها ما يجري في سواها ، وسياسة الشريف سياسة
محافظة تريدين ابقاء كل شئ على ما كان عليه . وظن هو ان خالية ما ترجوه الدولة
هو استباب الامن وسلامة المواصلات وامن الحجاج . وانتم مع ارادتكم لهذه
الأشياء تريدون كما قلت أنها جعل الحجاز خاضعا لقانون الولايات ، ولو جعلتم
الشرفية تخدم الدولة في الحجاز ، وعلى تأسيس روابط الاخوة الاسلامية الحقيقة بين
العالم الاسلامي وبين دولة الخلافة ، لعلتم ان مكة هي القلب النابض لهذه السياسة

^(١) حول نص مباحثه الامير عبدالله المصدر الاعظم سعيد باشا ، انظر ، عبدالله بن الحسين
منكرياتي ، ص من ٨٧-٨٨ .

^(٢) للاطلاع على ابلاغ طلعت باشا والور باشا للامير عبدالله بال مقابلة انظر ، المصدر نفسه .
ص ٨٨ .

وان الشريف هو المنظم لهذا القلب وشرايينه ، وان فائدة الدولة من مظاهره الحجاز لها أكثر بكثير مما ترجونه من تطبيق قانون الولايات عليه ^(١) .

وهكذا كان الشريف حسين يعلم من أجل المحافظة على مكانة الحجاز ، فضلا عن انه يطمح في استعادة الخلافة من الاتراك ، ومما كان يقوى هذا الاعتقاد عند الاتراك معارضته الشريف حسين مد خط سكة الحديد بين المدينة ومكة ، لئلا يزيد من سيطرة الاتراك على الحجاز ^(٢) .

ولا شك ان هذا الامر لم يغب عن بال طلعت باشا ، اذ أكد عليها في مباحثاته مع الامير عبدالله بقوله : "لم يمانع والدك في بناء الخط العديدي" ، فرده الامير عبدالله ان معارضته الشريف تعود الى الاضرار التي سيلحقها المشروع بالقبائل التي ترقق على مزاولة مهنة النقل في هذه الطرق بواسطة الجمال ، وعملهم ايضا كأدلة وملوفين اثناء موسم الحج . اذ نص قول الامير عبدالله على ما يأتي : "لم يمانع والدي في ذلك . ولكن نسيتم ان الاسباب الموجبة التي دعت السلطان عبدالحميد الى بناء هذا الخط ، كانت ترمي الى غير ما تبون انتم عليه سياستكم . هو كان يظن ان في تجربة بهذه دعالية عظيمة لشخصه ، وكان يود كما تعلمون ان يومي ايماء خفينة الى روسيا بان الخطوط الحديدية العسكرية هي الاشارة الى نواحي الخطير العدائى وان في بناء هذا الخط الى الجنوب مع خط بغداد - الذي اعطى امتيازه الى الالمان - الاشارة الى ان الخط متوجه على الدولة العثمانية من الناحية الانكليزية لامن ناحية روسيا ، وان اغفال مد السكك الحديدية الى شرقى الاناضول هو الاستخدا للروس وعدم الرغبة في تهبيج عرواطه . والذي يهم الشريف اليوم يجب ان يهمكم انتم ايضا الا وهو بناء سياسة اسلامية مركزها الحجاز والامين عليها الشريف . واتمام هذا الخط يعني ايجاد اشغال تدعى اليها الذين يحيون اليوم بممارسة صناعة النقل على الجمل في الحجاز وتعليم الحجاج الطواف وكيفية زيارة المصطفى (من)

(١) للتفاصيل حول نص مباحثة الامير عبدالله مع طلعت باشا الخاص بسياسة الاتراكين تجاه والده الشريف حسين ، النظر ، المصدر نفسه ، ص ص ٨٨-٨٩ .

(٢) الرواى ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

وليس هذه الوسائل معدومة هناك . هذا ما عجز الشريف عن تهبيكم اياه وعجزتم عن فهمه ^(١) .

وعلى الرغم من صحة تبرير الشريف حسين واهميته ، فان موقفه انما جاء لكون المشروع نذير شؤم يهدى بزوال شرافقه ، اذ ان ايصال خط سكة الحديد سيسهل بالتأكيد أي جهد تركي لاخضاعه ، ولا يعذر تبريره لموقفه اكثر من كونه محاولة لعرقلة الجهود الرامية لتنفيذ المشروع وابعاد الحجاز عن أي سيطرة مباشرة ^(٢) .
ومن جهة أخرى ، اجرى الامير عبدالله في الوقت المحدد مقابلة مع انور باشا ، الذي بدأ الكلام مهددا :

" ما هذا ؟ نحن نريد لو استطعنا ان نخلق من الشجر رجالا ، لنضيفهم على اعدادنا ، والحجاز يقتل فيه رجال الامن ، كما وقع على مدير الجندرمة والدفتردار ولكن الحمد لله كما علمت قد انتهت الازمة . فنرجو منك السعي لدفع كل اثر سيء في قلب والدك ، من نحو الاعتماد عليه من الدولة ، فإنه في منتهى درجات الاعتماد والحرمة ." فأجابه الامير محملا مسؤولية ما جرى في الحجاز بقوله : " وأما ما وقع في الحجاز ، فما الذي تظنه ان يقع من رجل كوهيب بك ، يرسل الى بلاد مقدسة لها قديمهها وحقها ، فيزيد الاعتداء على ذلك القديم وذلك الحق ؟ لقد ارسلتم هذا الرجل ليقع ما حديث " ^(٣) .

والواقع ان حكومة الاتحاديين كانت مصممة على مد سكة الحديد الى مكة ، اذ قابل في اليوم التالي الامير عبدالله وزير الداخلية طلعت باشا ، فقابلها طلعت باشا بالقول :

^(١) للتفاصيل حول نص مباحثات الامير عبدالله مع طلعت باشا ، بشأن موقف الحسين من مد سكة حديد الحجاز الى مكة ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، من ص ٨٩-٩٠ .

^(٢) Dawn , Op. cit., P. 21

^(٣) للتفاصيل حول محادثة الامير عبدالله مع انور باشا ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي من ص ٩٢-٩٣ .

"اسمع ، انه لا يهمنا تغيير الولاية في كل شهر ، ولكن الذي يهمنا هو انشاء الخط الحديدي من المدينة الى مكة ، ومن ينبع الى المدينة ، فان قام والدك بمسؤولياته في هذا الباب ، عملنا له كل ما يريد . وان رفض فلا وداد ولا بقاء ، واليك شروط للشريف : ثلث دخل الخط يصرفه كما يشاء ، وله الامارة مدى الحياة ومن بعده لا ولاده . وستوضع تحت امره القوة الكافية لتأمين التنفيذ ، وستصنفي الدولة الى مشاريعه في هذا الباب ، وستوضع تحت يده ربع مليون من الجنierات ينفقها على العربسان . سافر في أول باخرة بهذه الاقتراحات ، ونحن ننتظر الجواب ، فأن رضي وبلغنا الرضا ، فسافر انت الى المدينة المنورة لتجد هناك شيخ الاسلام خيري افندى ينتظرك لتبashرا وضع اساس الخط ، وان رفض فلا عتب"^(١) .

وهكذا نلاحظ بان كلا من انور وطلعت باشا ، ورغم الوعود التوفيقية الصادر عن الصدر الاعظم بتأجيل المشروع ، امسيا اكثر اصرارا على تنفيذ المشروع . وقد ابدى طلعت للأمير عبدالله ، وبحضور الصدر الاعظم ، اسيتاءه من اوضاع العجاز ، واصراره على مد الخط الحديدي الى مكه والى العجاز كافة ، منذرا بالعواقب المترتبة على مخالفة الاوامر . كما كشفت لنا هذه المحادثة بان طلعت باشا وزير الداخلية قد الشروط الاربعة الاتنة الذكر مقابل موافقة الشريف على تمديد الخط وتعاونه مع الحكومة في تسهيل المصاعب المتوقع قيامها نتيجة لذلك ، وطلب وزير الداخلية من الامير ان يعود الى العجاز ويعرض هذه الشروط على والده ، فان قبل كان به "وان رفض فلا عتب" ، ولا شك ان في هذا القول تهديدا واضحا من الحكومة العثمانية ، اذ انها في حالة رفض الشريف ستتخذ الاجراءات التي تراها مناسبة . اما بشأن الشكوى التي رفعها الامير عبدالله ضد تصرفات الوالي واعتدائه

^(١) للتفاصيل حول محادثة الامير عبدالله مع طلعت باشا ، انظر المصدر نفسه ، ص من ٩٣-٩٤.

على صلاحيات الشريف ، فقد قال وزير الداخلية ان الحكومة لا تبالي بان تغير الولادة
شهرًا بعد شهر ، وان ما يهمها هو تنفيذ السياسة التي تضعها^(١).

وفي اليوم التالي للمحادثة التي جرت بحضور الصدر الاعظم ، غادر الامير
عبدالله استانبول حاملا الشروط لعرضها على والده في الحجاز^(٢).

ولم يوافق الشريف حسين امير مكة المكرمة على شروط الاتحاديين واعتبرها
”رشوة“^(٣) ، فابرق الى الصدر الاعظم يقول فيها انه لا مطامع شخصية له ولكنه
يود ان يبعث بابنه عبد الله مرة اخرى حاملا معه اقتراحات يعتقد ان تمديد خط
السكك بموجبها يمكن ان يتم بدون ان يلحق الضرر بموارد العشائر وسكان البلاد
المقدسة الاسلامية ، اذ نصت برقيته على ما يأتي : ”وصل ابني عبد الله ونقل الى
التنسيقات والمقررات العلية من الصدر الاعظم بخصوص تمديد الخط الحديدي
الحجازي الى مكة المكرمة . ليس هنالك ما يستحق التفكير في ما يخصني ، وانا
مترעם بنعم الخلافة . وانني سأبعث بابني الموما اليه وهو حامل ما يلوح لي عن امكان
اتمام هذا الغرض السامي ، بدون ان يمس مدار معيشة العشائر وسكان البلاد المقدسة
الاسلامية ، باول فرصة“^(٤) .

وفي ٢٧ حزيران ١٩١٤^(٥) وصل الامير عبد الله الى استانبول حاملا معه
برقية والده الشريف حسين الجاويية المتضمنة مقتراحاته لعرضها على الصدر
الاعظم ، التي قال فيها :

(١) انظر موسى ، الحركة ، ص ٧٩ ، موسى ، الحسين ، ص ص ٤٨-٤٩.

(٢) عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٩٤.

(٣) Dawn , Op . cit , P 21.

(٤) حول برقية الامير حسين الى الصدر الاعظم ، انظر المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

(٥) توصلنا الى هذا التاريخ اعتمادا على قول الامير عبدالله في مذكراته ”وكان قبل وصولي
بيوم ، قتل ولی عهد النمسا وزوجته بسراجيفو، الذين قتلوا في ٢٨ حزيران ١٩١٤، انظر
عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٩٨، موسى ، الحركة ، ص ٨٦.

"انا خادم الخليفة ولست بمعارض فيما يبدي جلالته عمله واني مستعد للتنفيذ حالا . ولكن اذا كان اتمام بناء الخط وتأمين ولاء العشار ومعاشهم هو ما يريد جلالته وتريده الحكومة ، فلذاك وسائل لا تتناسب ربع المصرف الذي بينه لي عبد الله ، وهي - اي الوسائل - الالزمة لاجداد المشاريع التي تأتي بعد التفكير مع لجنة اترأسها انا - اي الشريف نفسه - ومن المناسب ان يكون فيها صاحب الدولة والسمامة شيخ الاسلام او اي وزير من الوزراء . وان كانت الرغبة منصرفة الى اقامة الانشاء تحت اي شرط يكون فينبغي توظيف فرقه عسكرية بكمالها على طريق السكة واشغال المياه والقرى بين المدينتين . ثم بعد ذلك تكون البداية في العمل "(١) .

فأجابه الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ردا على برقيه الشريف حسين بقوله "ليس بعد هذا ما يقال ، وساستدعوك لنجتماع مع طلعت باشا"(٢) ، ولكن الاخير ابلغ الصدر الاعظم ، نتيجة لتصاعد الازمة التي نشأت بسبب مقتل ولی عهد النمسا ، الى ضرورة تأجيل مشروع تدديد خط السكة الى مكه(٣) .

وخلصة القول ان امير مكة المكرمة الشريف اتبع خلال الفترة ١٩٠٨ - ١٩١٤ سياسة ثقافية سلطات امارته مكة وتعظيم مقاطعاتها ، ودعا لهذه السياسة فان الشريف حسين ، على ما يبدو ، التجأ لاستخدام الاسلام كابدولوجية سياسية ، وكان ينوي التعاون مع الحكومة العثمانية من اجل تنفيذ برنامج رابطة (جامعة) اسلامية فعاله . وعلى الرغم من ذلك فان سياسة الاتحاديين المركزية كانت تعمل بشكل معاكس لطموحات امير مكة المكرمة الشريف حسين ، وبذل كان الصراع بين الامير والاتحاديين نتيجة حتمية . اتضحت فيها فشل الاتحاديين في اضعاف نفوذ الشريف

(١) حول نص برقيه الشريف حسين الى الصدر الاعظم ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ص ٩٧-٩٨ .

(٢) حول جواب الصدر الاعظم ، النظر المصدر السابق نفسه ، ص ٩٨ .

(٣) موسى ، الحركة ، ص ٨١ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ص ٩٨-١٠٢ .

حسين او ازاحته . ولعل ذلك يرجع بالدرجة الرئيسة الى مشاكل الدولة الخارجية (نجد ، اليمن ، البلقان) التي اضطررتها الى التساهل مع الشؤون الداخلية ، فضلا عن المقاومة التي كان يديها سكان الحجاز ، وبالذات القبائل ، لسياسة الاتحاديين الجديدة ، ثم مكانة الشريف حسين لدى بعض الشخصيات التركية القديمة (المحافظة) وتعاطفها معه^(١) ، في وقت كان فيه الاتحاديون عاجزين في الاستغاء عن هذه الجماعات كلها ، وهذا ما كان يدركه الشريف حسين جيدا . وما سكوت الدولة عنه ، احياناً لاسكتوا مؤقتاً وامهال منها لا اعمال ، اذ دفعهم عجزهم الى تبني سياسة المواجهة الوقتية مع الشريف حسين لحين ان تتحين الفرصة لعزله عن الشرافة .

فضلا عن ذلك فقد كثفت المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والاتحاديين رغبة الاتحاديين في فرض السلطة المركزية على ولاية الحجاز ، بشموله بقانون نظام الولايات ، الا ان الشريف حسين لم يرحب بذلك واعلن معارضته ، وبالذات فيما يتعلق بإنشاء السكك الحديد بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، اذ اكد في مراسلاته الهدف الحقيقي للاتحاديين من اصرارهم على تنفيذ مذكورة السكك الى مكة المكرمة ، اذ يتمثل باحكام سيطرتهم على مقر حكمه ومعلم ثفوذه ، الذي اهاظهم منعه وقوته وهذا ما اكدوه في مراسلتهم ، التي اكدت صراحة الى ضرورة عزل الشريف من منصبه ، ولكنه كان امنع من ان يخاطروا بعزله عزلاً سريعاً ، كما فعلوا سابقيه ، الامر الذي دفعهم الى مضائقته والحد من تصرفاته وحركاته بل ووضعه كما نلمس من المراسلات ، هو ولو لاده تحت المراقبة الدقيقة ، وهذا الدور اوكلوه الى

^(١) ويذهب الى هذه الحقيقة سليمان موسى باستفرايه عن موقف الشريف حسين من الدولة و موقفها منه ، وتسائله لماذا لم تعزله من منصبه ، اذ قال الواقع ان المنظرين كانوا روطلعت وجمال كانوا يرغبون في عزله مهما كانت النتائج ، ولكنهم لم يتمكنا من اقناع الصدر الاعظم سعد طهيم باشا باتخاذ هذه الخطوة ، ولما كان يتمتع به من ثفوذه عند المعتمديين من الترك وعند اطبيبة العرب . وقد شنت عليه (الصدر الاعظم) صحف الاتحاديين جملة اتهمته فيها بحب الاستبداد وعدم رحابة مصالح الدولة ولكنه لم يأبه لقولهم ، النظر ، موسى ، للحسين ، ص ٤٩ .

احد منتسبيهم من الاتحاديين هو الضابط وهب باشا الذي يتولى ولاية الحجاز وقاد جيشها الاعلى .

وكان من الطبيعي ان تترك هذه السياسة بصماتها على تدهور العلاقات وتطورها من سوء الى اسوأ نتيجة تدهور الامور ، وهذا ما ظهر جليا في اسلوب ولهجة المراسلات ، وهكذا تلبدت اجواء العلاقات بين الشريف حسين والاتحاديين بالغيموم ، واستمر الموقف على هذا النحو لان غيموم الحرب العالمية الاولى كانت تجتمع سريعا في السياسة الدولية واصبحت العرب وشيكة الواقع ، وهذا ما تلمسه في آخر مراسلة بين الاتحاديين والشريف والصادرة من ابرز اقطابها طلعت باشا تؤكد على ضرورة مجامدة الشريف حسين وعدم اثارته والتزول بعنه في قضية السكة ، ولا شك ان الاتحاديين ارادوا الاستفادة من الشريف كورقة رابحة تسندهم في دخولهم الحرب ، وذلك باعلانه الجهاد لتعينه الشعور الاسلامي بجانبها (الدولة العثمانية) ، نظرا لما للشريف من مكانة مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين ولكنهم في الوقت نفسه انتظروا على مضمض حتى تحين لهم الفرصة المناسبة لعزله عن الشرافة وتوليه غيره ولكن شيخا مثل الشريف حسين لم تغب عنه اسرار سياسية المهدانه الوقتية التي التجأ اليها الاتحاديون ، بل بات أشد حذرا واكثر يقظة في ترقب ومتابعة أية محاولة يقوم بها الاتحاديون ، الذين وصفهم في بعض المراسلات بأنهم ألد أعداء العرب ، منذ أن رأى بعينه جرائمهم ضد ابناء شعبنا في عسير .

وهكذا تعد التطورات التي حصلت بين العثمانيين (زمن الاتحاديين) والشريف حسين على درجة كبيرة من الاهمية ، لا لكون العلاقات بين الطرفين قد سامت بعد مجيء الاتحاديين عام ١٩٠٩ ، ولكن لأن كثيرا من التطورات قد حدثت خلال هذه الفترة ، حتى انعكست آثارها على طبيعة العلاقة بين الطرفين حتى عام ١٩١٤ .

الفصل الثالث

الراسلات الشرقيّة - المشكّية

حُسْنَ إعلان الثورة العربيّة الكُبُرِي عام ١٩١٦

الفصل الثالث

**المراسلات الشريفية - العثمانية حتى اعلن الثورة العربية الكبرى
عام ١٩١٦**

- ١ - الحسين ودخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى.
- ٢ - الحسين بين اعلان الجهاد وحملة القناة الأولى.
- ٣ - المراسلات بعد فشل حملة القناة الأولى.
- ٤ - الحسين بين الضغوط العثمانية والمطالب الوطنية

١- الحسين ودخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى :

في بداية آب ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى^(١) ، والتي تبدأ بسمارك^(٢) بها قبل ثلاثة عاماً ، بأن نشوبها أمر لا مفر منه^(٣).

وليس من شأننا الخوض في الاسباب والاحاديث التي قادت الى اندلاع الحرب العالمية الأولى ، فمن المتفق عليه ان السبب المباشر لاندلاعها كان ثانياً ، فاغتيالولي عهد النمسا وال مجر وزوجته في صربيا لم يكن سوى محرك لمطامع الدول الاوروبية لتوسيع رقعة ممتلكاتها الاستعمارية إلا أن ما يهمنا في هذا الصدد موقف الدولة العثمانية من الحرب .

(١) من الصعب وضع تاريخ دقيق لبداية الحرب العالمية الأولى ، ففي ٢٨ حزيران ١٩١٤ اختيرولي عهد النمسا والمجر ، وفي ٢٥ تموز ١٩١٤ هدت حكومة النمسا والمجر سحق مملكة صربيا ، وفي ٣٠ تموز اعلنت روسيا للنفير العام ، وفي اليوم التالي وجهت المانيا آذاراً الى روسيا ، وفي الاول من آب اعلنت المانيا النفير العام وفعلت فرنسا مثلها . وفي مساء اليوم نفسه اعلنت المانيا الحرب على روسيا ثم على فرنسا في ٣ آب ، وفي اليوم التالي قررت بريطانيا دخول الحرب الى جانب فرنسا وروسيا ، وهكذا خلال الاسبوع الاول من شهر آب عام ١٩١٤ دخلت اغلب دول اوروبا في الحرب . للتفاصيل انظر خليل علي مراد وأخرون دراسات في التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر ، الموصل ، ١٩٨٨ ، ص ٢٣٤-٢٣٥ . أ.ج.ب تايلر ، الصراع على السيادة في اوروبا ١٨٤٨-١٩١٨ ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ويزئيل يوسف عزيز ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ص ٥٨٣-٥٩٥ .

(٢) ولد بسمارك في لیسان ١٨١٥ وفي بلدة شونهاوشن بالإقليم براندنبورك ، نواة مملكة بروسيا الحديثة وهو ينتمي إلى أسرة نبيلة وكان والده ضابطاً في الجيش البروسي ، درس في جامعة كوتتنك وتخرج فيها محامياً في سنة ١٨٣٦ ، ثم أصبح عضواً في البرلمان (الدایت) سنة ١٨٤٧ ، ثم عمل في السلك الدبلوماسي ، حيث عمل سفير لبلاده في فرنسا وروسيا وفرنسا وكسب من مناصبه هذه خبرة سياسية فائقة في توليه منصب المستشارية في بروسيا ، انظر مراد ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٣) احمد نجيب واحمد قاسم ، للتاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٠ .

أبلغ الشريف حسين بوساطة ولديه عبدالله وفيصل^(١) ، ان الاتحاديين يعتزمون دخول الحرب الى جانب المانيا ، فبعث الحسين الى السلطان محمد رشاد بررقية في آب ١٩١٤ ، محذراً فيها من مغبة الدخول في الحرب ضد دول الحلفاء القوية والتي تحيط بأراضي الدولة العثمانية مشيراً الى ضعف الدولة بعد الحرب البلقانية ومستعرضاً فيها حالة اوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها ، اذ قال في برقيته :

" تعلمون جلالتكم أن الحرب البلقانية قد انتهت على ما انتهت عليه ، وأن الدولة الآن في حاجة إلى تجهيزات واستكمالات حربية لم تتم إلى الآن وأن في الدخول إلى جانب المانيا الخطير العظيم ، حيث أسلحة الدولة كلها من المانيا وكذلك عتاد هذه الأسلحة ، وأن العامل بالطريقانه العثمانية لا تكفي إمداد الجيوش بالعتاد اللازم ، ولا تستطيع إمداد الجيوش بما يمكن أن تخسره من مدفع وانواع الأسلحة الأخرى . عدا هذا فالاقطار المتراجمة إلى الجنوب من جسم الدولة ، كالبصرة واليمن والحجاز ، هذه البلاد المحاطة من كل ناحية بقوات مستعدة من الدول المعادية البحرية ستتصبح في احراج الموقف ، وربما اتكلت الدولة في الدفاع عن حمية اهلها وهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقابلة جيوش اوروبا المنظمة . وانني استحلف جلالتكم بالله ان لا تدخلوا الحرب وان تعلموا بأنني اعتقاد في كل من يرى الحرب إلى جانب الالمان عدم التمييز أو الخيانة الكبرى "^(٢) .

^(١) في شهر آب ١٩١٤ عاد عبدالله وفيصل من الاستاذة الى الحجاز ، انظر موسى ، الحركة ص ٩٥ ، وذلك لأنهما انتخباً ومنذ عام ١٩١٢ مندوبين عن مكة وجدة ، انظر Baker, Op.Cit., P.41.

^(٢) حول رسالة الشريف حسين التحذيرية للسلطان محمد رشاد ، انظر عبدالله بن الحسين منكرياتي ، ص ص ١٠٣-١٠٤ .

وكرر الشريف الحسين التحذير نفسه إلى والي الحجاز وهيب باشا ، عند زيارته للشريف بالطائف^(١) ، لغرض إبلاغه بأن وزيري الداخلية والحربيه يرغبان في استطلاع رأي الشريف في اعلن الحرب ضد روسيا وبريطانيا ، فقال الشريف أنه لا يرى الاجابة شفاماً على سؤال شفوي بل يود أن يوجه إليه السؤال كتابياً حتى يعطي عليه جواباً مكتوباً . كما قال " ولكنني أقول لك كجندي شريف أني لست بالخائن حتى أشير على الدولة بأن تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولنhen محاطون هنا بالدول العظمى البحرية ، والتي ستستغلنكم جيوش روسيا وجيوش الانكليز بمصر مع انكم غير متصلين بحليفتكم المانيا من البر ، وصربيا معادية ورومانيا معادية " . فأجابه الوالي بالقول : هي ورقة زرقاء نريد أن نفذ بها على ميز المسير (أي مائدة القمار) ، الامر الذي أثار غضب الشريف الذي هتف بعبارة ذات معنى كبير اذ قال : " عجيب أبا الامة ثقامرون "^(٢) .

وهكذا أبدى الشريف حسين رأيه بصراحة تامة للقائد وهيب باشا ، بأن الدولة العثمانية لا تستطيع المحافظة على بلاد العرب ما دامت البحرية الانكليزية قوية وفي حالة عداء مع الدولة العثمانية ، وأكد له وجهة نظره بأن هذه الحرب هي حرب المائة لهم الالمان وحدهم دون العثمانيين .

وبعد أربعة وعشرين ساعة تلقى الشريف حسين برقية من الصدر الأعظم وبرقية من وزير الحرب يسألاته عن رأيه في دخول الحرب إلى جانب المانيا وعما إذا كان بإمكانه تأمين الهدوء في عسير واليمن إذا دخلت الدولة الحرب ، فأحالهما

^(١) يبدو ان فريحت قد تورم عندما قال بأن الشريف حسين قام بزيارة الوالي العثماني وهيب باشا لنظر فريحة ، الثورة ، ص ٨٨ . لأن اجماع المصادر تشير الى العكس من ذلك تماماً ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكرة ، ص ١٠٤ ، موسى ، الحركة ، ص ٩٥ ، زين ، اسباب من ٥٧ ، موسى ، الحسين ، ص ٤١ .

^(٢) حول نص اجابة الشريف حسين حول سؤال وزير الجاخنية والحربيه ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكرة ، ص ١٠٤ ، قد روى القلعي ، جيل الفداء : قصة الثورة العربية الكبرى ونهضة العرب ، (دار الكتاب العربي ، عمان ،الأردن ، ١٩١٧) ص ١٣٩ .

الشريف على رسالته السابقة ثم نصحهما بعدم دخول الحرب ضد روسيا وفرنسا وبريطانيا لأن عملاً كهذا " خرق عظيم وخيانة للامانة ، وان البلاد باجمعها لا ترضى عن حرب ضد هذه الدول ، وانهم وان كانوا عزموا على هذا ، فقبل نشوب الحرب يجب عليهم ان يزودوا الجيش الخامس في اليمن بما يكفيه لثلاث سنوات وباحتياطي لما يطلب من مجاهدين ، وكذلك العمل لفرقعة العسكرية بعسير وكذلك بالحجاز ، وانه يجب الاسراع في هذه المدة بخزن المؤن في الولايات لمدة لا تقل عن خمس سنوات ، وان لم تفعلوا هذا فهم سيضعون هذه البلاد في اخرج مركز قد يفضي بهم الى ما لا تحمد عقباه "(١) ولم تتضمن اجابة الدولة عنه ، اكثر من شكرها لنصائحه وبيانها قد فكرت بكل شيء "(٢) .

ويبدو ان الشريف حسين قد التجأ الى استخدام الاساليب المزدوجة في تحديد موقفه النهائي من فكرة دخول الدولة الحرب ، فهو يجمع ، كما يتضح ، بين رفضه لدخول الدولة الحرب ، وبين الدعوة لاتخاذ الترتيبات والاحتياطات العسكرية والاقتصادية لتقليل خطورة الحرب في الجزيرة العربية ، والتي عبر عنها احد الباحثين بالقول بأن " هذه الاراء من السداد والحكمة بحيث ترينا مقدرة هذا الشريف من ادراك وفهم التيارات السياسية وقتئذ "(٣) .

(١) حول نص الرسالة الجوابية التي بعثها الشريف حسين الى الصدر الاعظم وزعيم الحزبية في آب ١٩١٤ ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ١٠٥-١٠٤ ، وهناك من يشير بأن رسالة الحسين كانت سرية ، المصدر السابق ، ص ١٨ . ويبدو على حد علمنا بأنه لم يشر الى سرية الرسالة الا الشريقي فقط . وهذا ما يؤكد قولنا بأنها لم تكن سرية والذي يدعم قولنا اكثر قول الشريف في رسالته الجوابية الاخيرة للصدر الاعظم وزعيم الحزبية والتي جاء فيها " بأنه قد قدم رأيه ونصيحته الى جلالة السلطان بعرضة خاصة مفصلة " .

(٢) حول نص جواب الباب العالي للشريف حسين ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ص ١٠٥ .

(٣) طه شريف ، الاحداث العربية في تاريخها للحديث ، سلسلة لفترنا لك (٥١) ، القاهرة ، د.ت

وهكذا نلاحظ بأن أمير مكة الشريف حسين لم يجد فكرة احتمال دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب المائنيا ، ويبعدو أن ذلك يعود لجملة عوامل : منها أن موقف الشريف هذا يدل على خوفه على الدولة العثمانية لشعوره أن مصيره ومصير أغلب بلاد العرب مرتبط بمصير الدولة . وقد برأ الحسين عن خوفه مما يصيب الكيان الإسلامي من هذه الحرب فيما لو اقدمت الدولة العثمانية على الاسهام فيها ، إذ " سيكون الضرر منصباً على الديار الحجازية ... وستتصبب ويلات الحرب على سواحل البلاد المقدسة بما تلقىه البوارج الحربية من القabil والآلات المدمرة فتخرب البلد وتنهك العباد " ^(١) ، ومنها عدم ثقته بالاتحاديين فضلاً عن عدم اطمئنانه لقيادتهم تجاهه سواء راحت الدولة العثمانية الحرب أم خسرتها ^(٢) كما أن لمحاوراته التي كان يجريها نجله عبدالله نيابة عنه مع السلطات الانجليزية في هذه الفترة ، تشير إلى أن نيته متوجهة إلى الثورة على العثمانيين ، وتطبعه متوجهها المساعدات التي يقدمها لـ الانكلترا ^(٣) .

ويبدو أن موقف الشريف حسين الرافض لفكرة ترجيح دخول الدولة العثمانية الحرب بجانب الانكليز قد أزعجه اتحاديون ، وذلك يتضح من قوله ، " بأن الشريف لا يعبر فيما قاله عن الرأي العام في البلاد " ، وعندهم التجأوا إلى مجلسي المبعوثان والتواب ، الذي يضم اكثريه مؤيداً للاتحاديين وصلت بفعل الضغط والتزوير ، الذين أعلنا موافقهم على الحرب وأعربوا عن ثقفهم بالحكومة ، ومن هؤلاء اعتبر الاتحاديون أن الأمة بأسرها تؤيد الحكومة في سياستها الخارجية ^(٤) .

^(١) فائز الغصين ، مذكراتي عن الثورة العربية ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص ٢٩٣ .

^(٢) سليمان موسى ، لورنس والعرب ن وجهة نظر عربية (عمان ١٩٦٢) ، ص ٣٠ .

^(٣) سليمان موسى ، المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٧ ، المجلد الأول عمان ،الأردن ١٩٧٣ ، ص ١٧٣ .

^(٤) للتفصيل ، انظر جمال باشا السفاح ، مذكرات جمال باشا السفاح ، ترجمة على احمد شكري (دار البصرى ، بغداد ، ١٩٦٣) ص ٢٣٢ .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ اشتركت الدولة العثمانية في الحرب ، الامر الذي اثار الانجليز ودفعهم الى ضرورة فتح باب المفاوضات مع الشريف حسين واستغلال التوتر القائم بينه وبين الدولة العثمانية ، فقد اصدر كتشنر في تشرين الاول ١٩١٤ الذي عين وزيرًا للحربية عند اندلاع الحرب ، اوامره في الاستنسار عن موقف الشريف حسين اثر دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا^(١) ، فأبدى الشريف على لسان نجله عبدالله ، رغبته في التعاون مع بريطانيا شريطة حمايتها مصالح العائلة مع تعهد خطى بذلك^(٢) ، فلم تمانع بريطانيا ، وبلغت القاهرة في ٣١ تشرين الاول موافقتها على هذا التعهد ودعمها للعرب ضد أي اعتداء خارجي ، وعدم التدخل في شؤون الحجاز الداخلية ، واستعدادها للوقوف الى جانب الحسين عند مبادئه بالخلافة^(٣) .

ولا شك أن هذه المراسلات بقيت سرية على الجانب العثماني حتى أعلان الثورة عام ١٩١٦ ، على الرغم من مراقبتهم ، على ما يبدو ، لمقابلات عبدالله - كتشنر في القاهرة ، الذين ابدوا شكوكهم واعلنوا عدم ارتياحهم منها ، بل وابلاغهم ذلك للأمير عبدالله ، وذلك ما نستنتجه من قوله " غير أن استبول أوعزتلينا أن

^(١) برقية من اللورد كتشنر الى ممثل بريطانيا في القاهرة ، لندن ، ١٩١٤/٩/٢٤ ، الوثيقة (١٣) انظر موسى ، المراسلات ، ص ص ٢٣-٢٥ .

^(٢) برقية من عبدالله الى ستورس ، مكة المكرمة ، ١٩١٤/١٠/٢٠ ، الوثيقة (١٥) ، للمصدر نفسه ، ص ص ٢٥-٢٦ .

^(٣) راجع نص البرقية في ، زين نور الدين زين ، الصراع الدولي على الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان (دار النهار ، بيروت ، ١٩٧١) ، ص ٣٢٧ ، موسى ، الثورة ، وثائق اسانييد ، ص ص ١٥-١٦ .

ولا شك ان هذه الاتصالات قد توجت بالمراسلات التي دارت بين الشريف حسين وهاري مكماهون التي ابتدأت في ١٤ تموز ١٩١٥ حتى ١٠ آذار ١٩١٦ ، وقد كتب الكثير عنها ومنها ، موسى ، المراسلات وثيقة (٢٠) وما بعدها ، وزين ، الصراع ، ص ٢٨١ وما بعدها موسى ، الحسين ، ص ص ٧١-١٠٤ .

مثل هذه المقابلات غير مرغوب فيها لأن الباب العالى غير راضٍ عنها ، ولا سيما وأنه ينظر لزرة ريبة وحذر إلى المؤامرات العربية في الحجاز وسوريا «^(۱) .

(۱) زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية (دار النهار للنشر ، بيروت ، ۱۹۱۸) ، ص ۱۸۷ .

٢- الحسين بين اعلان الجهاد وحملة الفتنة الاولى :

اعلنت الحكومة العثمانية ، وقبل أن ينضي الشهر الاول على دخولها الحرب الدعوة الى الجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها . اذ اصدر شيخ الاسلام ، وهو صاحب ارفع مصب ديني في الدولة الفتوى بذلك . وجاء في هذه الفتوى أن الجهاد هو فرض على جميع المسلمين في العالم ، ومن بينهم مسلمي بريطانيا وفرنسا وروسيا وطالبت الفتوى المسلمين بالاتحاد لمحاربة هذه الدول الثلاث لأنها عدوة الاسلام واكدت الفتوى ايضاً على المسلمين محاربة صبغ الدول التي قد تتحالف بعد ذلك مع هذه الدول الثلاث . ومضت الفتوى تقول أن على المسلمين أن يتمتعوا عن تقديم أية مساعدة لبريطانيا وحليفاتها في عملياتها الحربية الهجومية ، سواء على الدولة العثمانية أو على الدول الصديقة لها وهيmania والنمسا وال مجر . أما النقطة الاخيرة في الفتوى التي اصدرها شيخ الاسلام فقد اكدت على أن الامتناع يجب أن يكون تماماً في جميع الاحوال والظروف حتى ولو كانت عقوبته (الامتناع) الاعدام^(١) .

وكان من الطبيعي ، والدولة التي تبذل هذا النشاط الاعلامي والدعائي المكثف والواسع في ارجاء العالم الاسلامي من الهند شرقاً الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً ، ان تطلب من أمير مكة المكرمة الشريف حسين أن يدللي بدلوه في هذا المجال ، فيصدر اعلاناً بالجهاد الديني والسياسي في ارجاء العالم الاسلامي ، نظراً لما للشريف من مكانة دينية فريدة مستمدۃ من نسبة ومنصبه معاً ، فهو من حفدة

(١) للتفاصيل عن فتوی شیخ الاسلام ، انظر الصواف ، المصدر السابق ص ١٨١ ، محمد كامل الدسوقي ، السياسة الدولية وفلسطين (دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٧٩ ، مکی ، شبیکة ، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١) ، ص ٢٢٤ ، حامد مصطفی ، الجهاد في الاسلام ، ماضيه وحاضره ، (مكتبة المثلث ، بغداد ، ١٩٤٨) ، ص من ٦١-٦٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن قيمة منصبه على المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة . وبذا فان سلطة الشريف لا تقتصر بحدود الحجاز فحسب ، بل تأثيراتها تتدو في ارجاء العالم الاسلامي ، ولا شك بأن هذا المقدار من التبرير يسلط الضوء على أهمية اصدار اعلاناً بالجهاد الديني من الشريف ، كما يعطينا القول بأن تدیرات العثمانيين كانت دقيقة وصادقة في اصرارها للحصول على ذلك .

وفي ضوء ذلك ، اخذت حکومة الاستانة تمطر الحسين بسیل من البرقيات والرسائل حملت توافیع کبار شخصیاتها ، من الصدر الاعظم وانور باشار وطلعت باشا ، يطلبون منه ، وبالاحاج أن يصدر اعلاناً بالجهاد الديني ، والاسهام فعلياً في الحرب^(۱) . كما ارسل احمد جمال باشا ، الذي عین قائد للجیش التركي الرابع في بلاد الشام عند اندلاع الحرب ، رسالة يستحثه فيها ان يصدر اعلاناً صريحاً بالدعوة الى الجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها على غرار ما سبق أن صدر عن السلطان العثماني وعن شیخ الاسلام وكبار العلماء ، ويطلب فيها ارسال رایة النبي محمد صلی الله عليه وسلم الى دمشق لیأخذها الجیش الرابع من قبیل التبرک في زحفه المرتقب على مصر عبر شبه جزيرة سیناء وقناة السویس . كما تضمنت رسالة جمال مطلبأً ثالثاً من الشريف ، تتضمن تحشیده (الحسین) جيشاً من القبائل الحجازية وضممه الى الجیش الرابع المرابط في سوريا والموكلة اليه مهمة الهجوم على قناة السویس^(۲) .

^(۱) حول برقیات الصدر الاعظم وانور وطلعت باشا ، انظر ، جلال يحيی ، الثورة العربية القاهرة ، ۱۹۵۹ ، من ص ۱۳۶-۱۳۵ ، الطوپیوس ، المصدر السابق ، ص ۲۲۴ ، صلاة الدين المختار ، تاریخ المملكة العربية السعودية في ماضیها وحاضرها (منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت) ، من ۱۶۱ .

^(۲) حول نص رسالة جمال باشا للشريف حسين ، انظر محمود صالح منسي ، حركة الیقظة العربية في الشرق الآسیوي ط ۲ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ۱۹۷۵ ، الصواف ، المصدر السابق من ص ۱۸۰-۱۸۴ .

وأمام هذا الموقف الحرج سلك الشريف حسين مع الاتراك سلوكاً يدل على المهارة الفائقة التي تمثلت في ردوده على مطالبهم لاياد بتأييد الدعوة الى الجهاد فحمد الى تعليف ردوده بالحماس الدينى والاطناب والغموض فى العبارات ، بهدف التهرب من اصدار الاعلان ، وحاول بدهائه ان يسوق للدولة اذاراً تبدو في ظاهرها قوية ولكنها كانت في حقيقة أمرها تبريرات تخفي وراءها سراً نفيناً هو الا يندفع في تحديد موقف مؤيد للاتحاديين من جهة ، ولا يسمح لهم باستدراجه الى تحقيق هدفهم المنشود في اصدار الجهاد الدينى من جهة أخرى . اذ ورد في رسائله الجوابية " أنه يؤيد من اعمق قلبه الدعوة الى الجهاد ويضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يكلل بالنجاح جهاد المسلمين في الدفاع عن دينهم ، ولكنه يرى أن اقدامه على اصدار بيان علني يدعو فيه المسلمين الى الجهاد أمر ينطوي على مخاطر" ، ومضى الشريف يقول ، بأنني اذا اعلنت بصرامة تأييدي للجهاد ، فإن الخليفة يدرك أن الاسطول البريطاني سيملأ سواحل الحجاز ويحاصرها وقد يقصفها بمدفعيته ، فيدفع أهل البلاد عن طريق الخوف والجماعة الى الثورة ، وذكر الشريف بأنه سيعمل حتماً على تجنيد الرجال للدفاع عن قضية الدولة العثمانية وأنه يت Helm الى الله ان يبارك قادة الجهاد وأن يحقق النصر لقضية يتطلع اليها جميع المسلمين بقلوبهم^(١) .

وتظاهر الشريف حسين للاتحاديين بالموافقة على طلباتهم ، اذ اخذ يقترح من حين لآخر تعديلات لهذه الطلبات " لم تخطر لهم على بال ". فأمر بأن تستخرج راية رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي قطعة القماش التي عرفت بهذا الاسم - من مقرها في المدينة في موكب رائع ، وان ترسل في احتفال مهيب الى دمشق ليتبرك بها الجيش الذي كان يوشك ان يصل مصر . وكان الشريف يهدف من اتخاذ هذه

^(١) حول نص رسالة الشريف حسين ، انظر موريس ، المصدر السابق ، ص ٣٨ ، انطونيوس المصدر السابق ، ص/ص ٢٢٤-٢٢٥ ، يحيى ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

الخطوات ما يكفل حشد جيش من المجاهدين من أهل الحجاز ، وارسل ابناءه ليشرفوا على هذا التجنيد ليكون وجودهم دليلاً على اهتمام والدهم (الشريف حسين) بالأمر^(١).
 وإذا كان شريف مكة أميرها الحسين بن علي قد لجأ إلى سياسة التغريب بالاتراك ، فان الاخرين بدورهم لجأوا إلى خداع الجماهير ، إذ حاولوا الانتحاديون ان يغطوا امتناع الشريف عن اعلن الجهاد بحملات اعلامية عريضة ونشيطة مضللة فصدر عن حكومة الاستانة أن الشريف الحسين قد بارك الدعوة الى الجهاد التي اصدرها جلاله السلطان الخليفة . كما طلبت حكومة الاستانة من خطباء المساجد والوعاظ ان يعلنوا هذا النبأ بدون تحفظ في خطبة الجمعة في جميع مساجد الشام والعراق . وقد تكرر اعلن هذا النبأ في ثابيا خطب الجمعة اسبوعاً بعد اسبوع وشهرأ بعد شهر . لا سيما وان الجماهير ، على ما يبدو ، اثر مشاهدتها نقل الرأية قد نقر في اذهانها بأن شريف مكة المكرمة وأميرها الحسين بن علي مويداً للدولة العثمانية كلباً و قالباً في استفار المسلمين للجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها دفاعاً عن الاسلام والاماكن المقدسة . والانكى من ذلك ان الصحف العثمانية قامت بدور مؤثر في هذه الحملة الاعلامية المضللة ، ففي بيروت صدرت صحيفة "الاتحاد العثماني" والتي جاء فيها : "لقد نشرنا احسن نقاً عن مصادر رسمية أن الامير عبدالله ابن شريف مكة قد تطوع للعمل في سبيل الجهاد ، ومعه فرقه كبيرة من رجال القبائل الحجازية ، وبوسعنا الان أن نؤكد أن شريف مكة قد أعلن الجهاد في جميع أنحاء الحجاز مليباً في ذلك رغبة الخليفة . وأن القبائل يستجيبون من كل ناحية"

(١) الطوليوس ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، وجيه كوثاني ، الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠ (معهد الالماء العربي ، بيروت ، ط ١ ١٩٧٦ ص ٢٥٩) .

لهذه الدعاية بأسلحتهم الكاملة " . كما نشرت في بغداد صحيفة موالية للاتحاديين تسمى " صدر الاسلام " مثل هذه البيانات الاعلامية المضللة^(١) .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن موقف الشريف حسين قد اثار غضب واستياء الاتحاديين ، فشرعوا يسعون لعزله وليخلفه أميراً آخر لمكة يكون موالياً لهم . وصدرت الاوامر الى وهيب باشا والي الحجاز سراً لاعتقاله بحيث لا يتغير اعتقاله ثائرة القبائل^(٢) ، وعلى ما يبدو ، اذ تعذر ذلك فسيتم عزله عن طريق استدعائه الى سوريا وبالفعل وجهوا اليه دعوة رقيقة لزيارة دمشق بحجة اجراء مباحثات مع جمال باشا . كما صدرت الاوامر الى الصحافة بأن تنشر أن الشريف وافق على تلبية دعوة جمال باشا وأنه يزمع السفر الى دمشق تعبيراً عن ولاته واخلاصه للدولة . ولكن الشريف حسين الذي عاش في الاستانة اكثر من خمس عشرة سنة كان يعرف تماماً معنى هذه الدعوة ، وما يمكن أن تسفر عنه من نتائج قد تؤدي بحياته او على أحسن الفروض تنتهي باعتقاله عدة سنين^(٣) .

ومن جهة أخرى ، فإن الشريف حسين قد اعلن موافقته على الاشتراك في الحملة العثمانية على قناعة السويس . ويدرك جمال باشا بأنه طلب من الشريف حسين أن يعزز فرقة الحجاز بقوة مساعدة بقيادة احد ابنائه او أن يتولى هو قيادة الحملة

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، وقد اشارت بعض المصادر الى ما جاء في صحيفة " الاتحاد العثماني " لكنها اضافت الى ما جاء فيها عبارة " وقد فهمنا الان أن شريف مكة قد اعلن بتاريخ ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ الدعوة الى الجهاد في جميع انحاء الحجاز تلبية لرغبة الخليفة " .

الظر شرف ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص من ٢٢٦-٢٢٧ .

(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، يحيى ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

القادمة من الحجاز ، من نظاميين ومتطوعين ، فأجاب الشريف أنه سيرسل نجله الأكبر (الأمير) علي على رأس المتطوعين ليرافق وهيب والقوات التغلامية^(١).

وعلى ما يبدو ان الشريف حسين اراد ان يغض النظر عن المواقف الباردة التي كانت بينه وبين الاتحاديين عموماً ، ورأى الاتحاديون من جانبهم أن يتذمروا الشكوك التي كانت تساورهم في درجة اخلاص الشريف . وعندما أبلغ "انهم يتشرفون بتقديم قيادة التجريدة اليه ، اجاب أن الافضل عنده ان لا يبرح مكانه ليدافع عن الخطبة الحجازية اذا اعتدى عليها الخصوم "^(٢).

ولا شك ان رد الشريف حسين الودي قد احدث ارتياحاً كبيراً لدى السلطات العثمانية ، فاصدرت اوامرها في الحال بارسال كميات كبيرة من الاسلحة الى الحجاز ، كما ارسل السلطان مبلغاً من المال الى الشريف حسين لاتفاقه على هذا الجيش ، وعندئذ بادر الحسين الى تجنيد المتطوعين^(٣).

وقد تم الاتفاق على ان يتولى (الأمير) علي ابن الشريف حسين قيادة هؤلاء المتطوعين ، ويقود وهيب باشا الجنود العثمانيين المرابطين في الحجاز ، وينضم هؤلاء واولئك الى الحملة التي قررت الدولة العثمانية تنفيذها بقيادة جمال باشا الى

(١) العميد الركن شكري محمود نديم ، حرب فلسطين ، شركة النبراس للنشر والتوزيع ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٥٤ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٩-١٦٧ ، موسى الحركة ، ص ١٠٤ ، الغصين ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، فؤاد ، المصدر السابق ، ص ٧٨.

(٢) موسى ، الحركة ، ص ١٠٥ ، نديم ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٣) حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .

مصر للهجوم على قنطرة السويس^(١) ، وغادرت هذه القوات الحجاز في كانون الثاني ١٩١٥^(٢) .

وقد وقع في ذلك الوقت حادث أدى إلى تدهور العلاقات بين أمير مكة المكرمة وشقيقها الحسين بن علي ، وبين الدولة العثمانية ، إذ سقطت اثناء الطريق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة محفظة الأوراق السرية الخاصة بالوالى العثمانى وهيب باشا ، الذي انتمنها عند السيد محمد نائب الحرم ، لقتله به^(٣) .

وأنقسم الباحثون في مسألة تفسير فقد الحقيقة إلى قسمين : فهناك من يرى بأنها سقطت قضاء وقدراً ولم يتبه مؤمنها لسقوطها^(٤) . في حين يرى البعض الآخر بأن الحادث كان نتيجة تدبير مسبق ، مبررين ذلك إلى أن الشريف حسين قد لاحظ تغييراً ملماساً في موقف وهيب باشا منه (أي الشريف حسين) ، واعتقد الأخير بأن هذا التغيير جاء نتيجة تعليمات سرية أرسلتها حكومة الاستانة إلى وهيب باشا ، فعندئذ بعث الشريف حسين العيون لرصد تحركات الوالى العثماني ، وبينما كان هذا الأخير في طريقه إلى المدينة المنورة " فقد احدى الحقائب من بين امتعته "^(٥) . والتي ، على

(١) الصواب ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٢) عبد المنعم مصطفى ، لورنس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ١١٨ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٢ ، بينما يشير سليمان موسى في كتابه الحركة العربية ، ص ١٠٥ إلى أن القوات غادرت في ١٥ كانون الأول ١٩١٤ .

(٣) مصطفى ، لورنس ، ص ١١٨ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٢ .

(٤) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٥) الطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، بينما تذكر جريدة الاستقلال البغدادية بأن " يصل كان يعلم أن وهيب باشا يخفي في حقيبته تقارير بتضليله واعماله والده لدى السلطة العثمانية التي كانت بيد الاتحاديين فيبعث بأحد اتباعه للحاق بوهيب باشا لالتزام منه الوثائق " وفعلاً تمكّن من ذلك . للتفاصيل انظر جريدة الاستقلال البغدادي ، العدد ١٩٦٧ ، ١٢ ليلول ١٩٣٣ .

ما يبيهو ، بان العيون الذين كلفهم الشريف بالامر قد تيقنوا من أهمية ما تحويه هذه
الحقيقة قبل أخذها.

واطلع (الامير) على على ما فيها من مراسلات سرية كانت تدور بين حكومة
الاستانة وبين والي الحجاز وهيب باشا . وكانت هذه المراسلات تحتوي على تعليمات
تستهدف الفتنه بالشريف وانجاله والقضاء على ما كان يتمتع به اقليم الحجاز من
استقلال ذاتي ، كما اطلع على وثائق تتضمن الخطط والتدابير لتنفيذ هذه المؤامرة
ولكن الذي حال دون تفزيذه ان شوب الحرب العالمية الاولى وانهaka الدوله العثمانيه
فيها^(١).

وقد انفردت جريدة الاستقلال البغدادية بنشر هذه الوثائق ، التي تعد ذات قيمة
كبيرة جداً لأنها لم تستخدم في جميع المصادر المتوفرة تحت ليدينا ، وهي تسلط
الضوء على ارتکاز الاتحاديين على الوالي وهيب باشا لتنفيذ سياستهم ضد الشريف
حسين ، بجانب المراقبة الدقيقة للأخير من قبل الاتحاديين وواليهم وهيب ، فقد كان
وهيب يمطر مسؤولية في الاستانة بالرسائل المتعلقة بتحركات الشريف حسين وما
جاء في رسائله الى طلعت باشا قوله " بسبب زيادة قوة الحكومة فالأمير اليوم في
مركز نقيق ، وقد بدأ يحرض القبائل على سفك الدماء بين مكة وجدة . قبل أن تقع
الحوادث ، ارجو أن تخبروا الصداره العظمى أن فرمان تعين الشريف يفرض عليه
تأمين الطرق والمحافظة عليها "(٢) ، وكان انور باشار يؤكد في رسالته الى وهيب
بضرورة المراقبة الدقيقة في الحجاز ، اذ جاء في احدى رسائله " بخصوص بعض
الاحوال نلتف نظركم الى الدقة وبخاصة بعض الاحوال التي تهم اماره مكة التي

(١) التفاصيل عن مضمون اوراق وهيب باشا السرية ، انظر ، مصطفى ، المصدر السابق
ص ١١٨ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٢ ، قدرى ، المصدر السابق ، ص ٤٥ ، محمد صبيح
بطل لاننساء ، عزيز على المصري وعصره (المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا ،
١٩٧١) ص ٧ .

(٢) جريدة الاستقلال البغدادية ، العدد ١٢٢٥ ، ٦ كانون الثاني ، ١٩٢٧ .

او صيتم بها تلغرافاً شفوياً^(١) . وتكشف المراسلات بين الاتحاديين نجاح وليهم وهيب باشا في مهمته في الحجاز ، ويتبين الامر من رسالة وزير الداخلية ، طلعت باشا الى وهيب والتي ارسلها بالشفرة والتي جاء فيها "تعترف بأن وهيب بك كفاء للادارة وقدر لعمل كل ما فيه سلامه البلد ، اذا احتجتم نقود ، بسبب مشايخ القبائل اخرين"^(٢) . وهذا ما يسلط الضوء على احد دعامتين السياسة الاتحادية في حكم الحجاز والتي تؤكد على ضرورة كسب ولاء المشايخ الحجازية أي عملاً بسياسة ضرب العرب بالعرب .

ولم يلبث (الامير) علي أن أمر رجاله بالتوقف عن السفر ، بعد اطلاعه على تلك الوثائق ، وانتحل الاุดار للبقاء في المدينة المنورة للدفاع عنها ، ولم تحاول القيادة العثمانية ارغامه تجنباً للاحتكاك المباشر ، وسارت القوات العثمانية وحدها إلى معان^(٣) . وعندئذ عاد (الامير) علي إلى مكة فسلم الاوراق إلى والده . وما أن التقى الشريف حسين نظره عليها حتى عرف الحقيقة بكلامها ، فأبرق إلى الصدر الاعظم يقول : " انه عشر بناس يحررون له ضريحاً ، ويسلمه السماح لأحد ابنائه بالسفر إلى الاستانة ليطلعه على المكيدة ". فاجابه الصدر الاعظم إلى ذلك . واختار الشريف حسين نجله فيصل لهذه المهمة " وكان معروفاً بالميل إلى مصادقة الترك والتعاون معهم "^(٤) .

والجدير بالذكر ، أن الحملة العثمانية قد فشلت في مهمتها أمام قوات الحلفاء إذ أن بريطانيا كانت قد استعدت لذلك بحشدتها قوات كبيرة ، نظراً لما لمصر وقناة

^(١) المصدر نفسه ، العدد ١٢٢٤ ، ٥ كانون الثاني ١٩٢٧ .

^(٢) نديم ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ، مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى ، دار طلاس ط٤ ١٩٨٧ ، ص ١١٦ .

^(٣) موسى ، الحسين ، ص ٥٢ ، احمد حسين العلي ، حركة الاستقلال العربي ، دراسات تاريخية في مفهوم الاستقلال في مصر الاحزاب والجمعيات العربية ١٩٠٨-١٩١٩ ، رسالة ماجستير معهد الدراسات القومية الاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٧ .

السويس من أهمية في الاستراتيجية البريطانية^(١) ، وقد برع جمال باشا هزيمته هذه "بخيانة الشريف حسين" ، فكتب في مذكراته "اننا كنا نستولي على مصر غير أن خيانة الشريف حسين منعتنا من ذلك"^(٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل أن الشريف حسين كان جاداً في الأسماء الفعلية في حملة القناة ضد بريطانيا وحليفيها ، في وقت كانت المفتوحات بينهما قد قطعت شوطاً مشجعاً ؟ وهل يمكن الركون إلى حادثة اوراق وهيب باشا العسيرة باعتباره هو السبب المباشر وراء عدم مواصلة الاشراف سيرهم مع القوات العثمانية اتجاه مصر ؟

لا شك أنها السياسة التوفيقية التي كشفت مهارة الشريف الفائقة التي أخذ ينسقها بما يتضاعر وتلك السياسة التي بدأ بنسج خيوطها من أجل اعلان ثورته بوجه الدولة العثمانية فالتطورات السابقة والمنطق يؤكدان بأن الشريف حسين لم يكن جاداً في الأسماء الفعلية في الحملة ، وأنه كان على دراية تامة بتوابع الاتحاديين اتجاهه ، وفي ضوء ذلك يمكننا القول بأن حادثة الوراق السرية كانت ورقة رابحة بيد الشريف لمواصلة سياسته التوفيقية ، رغم دورها في إعادة تدهور العلاقات بين أمير مكة المكرمة وشريفيها الحسين بن علي والاتحاديين . وإن اكتشافها في هذا الوقت قدم على ما اعتقاد خدمة كبيرة للحسين في مواصلة سياسته ضد الاتحاديين ، وذلك لأنهم في هذا الوقت كانوا يودون البقاء على الشريف حسين لعظيم الفوائد التي اعتقادوا انهم

(١) وهناك من يعزّز سبب الفشل إلى لستعجل جمال باشا في هجومه الذي كان يأمل منه نيل شرف دخول مصر ، فباشر بالزحف نحو القناة قبل الوقت المحدد ، إذ لم يكن جعفر العسكري ، الذي أوكلت إليه مهمة متابعة القوات البريطانية من الغرب ، قد استكمل استعداداته هناك ، وكانت النتيجة الفشل ، انظر علاء جاسم محمد ، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق ١٩٢٠-١٩٣٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث ، كلية الآداب جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٧ ، موسى ، وثائق ص ٢١٦ .

(٢) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص ١٨٤-١٨٥ .

يجنونها من وراء ارتباطهم به ، اذ لو افترضنا ان كشفها كان قبل الحرب لكان موقف الاتحاديين منه بالتأكيد يختلف عن موقفهم الآن لأنهم قبل الحرب وكما كشفت الاحداث وافصحت عنها المراسلات يودون التخلص منه بكل طريقة .

٣ - المراسلات بعد فشل حملة القناة الأولى :

غادر فيصل دمشق في أواخر آذار ١٩١٥ إلى الاستانة التي قصدها في الثالث والعشرين من شهر نيسان من العام نفسه ، واقام فيها ما يقرب من شهر ، أجرى خلاله اتصالات سياسية واسعة مع كبار رجال الدولة العثمانية . فقد تقابل فيصل مرتين مع السلطان محمد رشاد ، وتعددت مقابلاته مع الصدر الاعظم سعيد حليم ، وشكا لهما سياسة وهيب باشا العدائية تجاه والده ، ورغبتهم في الانتقاص من نفوذه بين عشيرته في الحجاز ، وكان فيصل حريصاً على اثارة موضوع الاوراق التي وجدت في حقيبة وهيب باشا السرية ، إذ اطلعهما على محتواها^(١) وكانت الاوراق التي عرضها فيصل محجاً دامغاً تبعث على الحرج الشديد للاتحاديين ، ويبدو أن وهيب باشا شرح فيها ما وصفه جمال فيما بعد بأنه " من اللازم ارسال فرقتين على الأقل إلى مكة لخلع الشريف وتوليه خلف له "^(٢) ، كما شكا في هذه المقابلات من تصرف

(١) كانت مهمة فيصل ذات شقين : شق علىه وهو عرض شكوى أبيه في استانبول وسرى وهو الاطلاع في دمشق على قوة الحركة العربية ، بعد أن ارسلت جمعية (العربية للقناة) أحد اعضائها (فوزي البكري) إلى الحجاز وحملته رسالة خاصة للشريف ضمنتها استعداد العرب في سوريا والعراق القيام بوجه الاتحاديين والحصول على الاستقلال ، والاستفسار عن استعداده لقيادة الثورة ، ورغبتهم في اجراء اتصالات بهذا الشأن . لتفاصيل لنظر ، محمود صالح منسي ، موقف أهل الشام من التبعية للحجاز أيام الحرب العالمية الأولى ، مجلة الشرق الأوسط (جامعة عين شمس ، العدد الثاني ١٩٧٥ ، من ص ٧٢-٧٣) ، محمود صالح منسي ، حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٧٥ ، ص ٢٦٩) لسعد داغر ، ثورة العرب (مطبعة معظم ، مصر ١٩١٦) ، ص ١٨٧-١٨٩ ، وذكر (فرنو) بأن السلطات العثمانية التي ترافق عونها اليقظة سوريا ، لم تستطع بأية حال أن تعرف ما يحاكي بين الوطنين وبين الأمير فيصل ، انظر ف.و. فرنو ، يقظة العالم الإسلامي ، ترجمة صبيح شعبان (دار الحكمة ، بيروت ، ١٩٥٦) ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) موسى ، الحركة ، ص ١٢٩-١٢٠ ، جمال باشا ، المصدر السابق ص ٤٠٢ .

الاتحاديين وقال : " انهم يعلمون للتكليل بنا ونس الدسائس ضدنا ، مما افقدنا الثقة بهم "(١) .

وسلم الى سعيد باشا الصدر الاعظم باعتباره صديق لهم ، مذكرة بسط فيها مطالب العرب في الحرية والاستقلال ، وقال " بانهم على اتم استعداد لتأييد الدولة اذا اعترفت باستقلال الحجاز على اساس الامريكية وبالشريف حسين اميرًا على مكة على أن تكون ارثاً بين اولاده من بعده "(٢) .

وقابل (الامير) فيصل بعد ذلك كلاً من انور باشا وزير الحريمة وطلعت باشا وزير الداخلية ، وتحدى اليهما عن تصرفات وهيب باشا ، كما تحدث اليهما عن تصرفات جمال باشا السفاح (٣) ، وما يقوم به من اعمال ارهامية ضد الاحرار العرب ، وطلب فيصل ايضاً ضرورة الافراج عن المعتقلين الذين زجهم جمال باشا في السجون . وكانت المحادثات ودية بين فيصل واقطاب الاتحاديين ، لأنهم كانوا بحاجة ماسة اليه في ظروف الحرب العالمية الاولى ، وبهذا الصدد يقول علي فواد باشا رئيس اركان حرب الجيش الرابع في مذكراته : " أن الامير فيصل ابلغ اقطاب الحكومة الاتحادية ، أنه على استعداد لأن يذهب على رأس قوة حجازية للاشتراك في

(١) شرف ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، واعلن الامير فيصل بأن والده لم تكن لديه لية سياسة الفصالية عن الدولة العثمانية ، انظر دي جرالدي غوري ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (دار المثلث للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٣) ، ص ٤٨ .

(٣) ارتأت حكومة الاتحاديين ان تكون قيادة الجيش الرابع ، الذي اعدته لدخول مصر في شباط ١٩١٥ من قبل رجل قوي يعرف كيف يصرف الامور وان يكون اداة تنفيذ لارادتهم وبالقضاء على الحركة العربية ، وكان قائد الجيش آنذاك زكي باشا الحربي فعزله الاتحاديون ولصبووا مكانه جمال باشا ، الذي اقسم يمين الولاء لهم لتنفيذ كل ما يطلبونه منه . ولما تولى السفاح قيادة الجيش الرابع في سوريا منحه الاتحاديون مصالحات مدنية وعسكرية واسعة ، نفذ خلالها العديد من احكام الاعدامات والسجون ونفي العوائل ، للتفاهميل انظر شكب ارسلان سير ذاتية (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ١٣٤-١٣٦ .

حملة القناة الثانية ، وأنه حادث انور باشا بشأن رجال العرب المتعلقين في عالية طالباً اطلاق سراحهم والغفو عنهم فوعده خيراً كما حمل على سياسة جمال باشا الشديدة ووصفها بأنها السياسة المعادية للعرب ، وأنه ليس في امكان العرب السكوت عنها ”^(١).

وأخيراً استقر رأي الحكومة في الاستانة على تسوية الازمة الناشئة بين الحجاز والدولة بنقل الوالي وهيب باشا من الحجاز (عين قائداً للجيش الثاني في استنبول) ^(٢) ، وتعيين اللواء غالب باشا مكانه ، وزوجه بتعليمات تقضي بأن يحرص على انشاء علاقات طيبة مع الشريف حسين واجله وان يوجد جواً من الثقة والتباهم والود ^(٣).

وفي الوقت نفسه كان رجال الحكم في الاستانة حريصين على افهام (الامير) فيصل بأن مفتاح الموقف إنما يكمن في يد والده ، فإذا أقدم الشريف حسين على اعلن الجهاد الديني ضد الحلفاء فإن مركزه سيزداد رسوحاً في الحجاز ، وستتجدد مطالبة استجابة في اقليم الحجاز ويكون الحكم وراثياً في اصلاح الشريف حسين ^(٤) ويستطيع حينئذ أن يطمئن إلى أنه سينال كل ما يرضيه ^(٥) .

وكتب الصدر الاعظم ووزيري الحرية والداخلية رسائل إلى الحسين يلحوذ عليه في اعلن الجهاد وبعد انه خيراً بأجلية مطالبه . وكانت رسالة انور باشا وزير

^(١) قدرى ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

^(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

^(٣) ومن الجدير بالذكر ان نهاية هذا القائد كانت أن أحيل الى المحاكم المختصة مصدر بحقه القرار الآتى " صدرت ارادة بمحاكمة وهيب باشا الارناؤوط ، قائد جيش الشرق في محكمة عرفية مولفة من رؤساء الضباط بتهمة استعمال الوسائل القتالية المخصصة بالجيش لتفويت خصوصية وتطليمه بسبب ذلك اعذله الجيش ، انظر جريدة القبلة ، العدد ٣٠٠ ، الاثنين ١٣ شوال ١٣٣٧ .

^(٤) الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٦-٢٠٧ .

^(٥) الطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

الجريدة المؤرخة في اليوم الثامن من شهر أيار سنة ١٩١٥ ، اكثراً الرسائل وبالغة وأشدّها تفاؤلاً . فقد تكلم باسهاب عن معركة الدردنيل ، وغالباً في أهمية الانتصارات العسكرية التي احرزتها القوات الألمانية في الجبهة الفرنسية ، وأكّد على قيمة المظهر الديني لهذه الحرب ، وأهاب بالحسين أن يوازز هذا المظهر بأعلانه الجهاد الديني ضد الحلفاء^(١).

وخلال هذه القوال أن (الامير) فيصل قد نجح في مهمته إلى حد بعيد إذ اقنع الاتحاديون بضرورة التعاون مع الشريف حسين ، وقدموه لفيصل هدايا ثمينة وخمسة آلاف جنيه ذهب لينفق منها على المتقطعين العجازيين الذين سيشتغلون في الحملة الثانية على قناة السويس^(٢).

وفي أواخر أيار عام ١٩١٥ عاد (الامير) فيصل إلى دمشق فاستقبله جمال باشا واحتفل به بناءً على تعليمات حكومته ، ثم مضى معه إلى القدس للضيافة ، وقد أعلن (الامير) فيصل لجمال باشا ولاءه وولاء عائلته للدولة العثمانية ووعده بالعوده إلى دمشق على رأس (١٥٠٠) متضوع^(٣) . ويبدو أن هذا العدد جاء أثر طلب جمال باشا من الشريف حسين وبعد طول المخابرة ، معه طلبت إليه أرسال زهاء ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ متضوع بقيادة أحد أئنته للمذاكرة معه لاجل الهجوم على القناة " ، ويشير جمال بأن الأمير فيصل وصل إلى مقر القيادة فتذكرة معه في هذه الشروقون ، وبعد مفاوضات طويلة " أقسم بروح جده الأكبر ويتراوّب ضم جسد الشريف أنه على أثر

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، لطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، طлас المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٢) تبرع الأمير فيصل عند عودته إلى دمشق بألف ليرة منها لصندوق العربية الفتاة ، وظن الاتحاديون أثباتاً لازمة أن الأمير عبدالله هو الذي يحرض أيام ضدتهم ، فعرضوا عليه وزارة الأوقاف ثم ولادة اليمن ولكنه رفض العرضين . للتفاصيل انظر موسى ، الحركة ، ص ١٣٠ .

(٣) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

وصوله إلى والده في مكة المكرمة يجمع الجيوش ويأتي به وتنى أن يموت شهيداً عند القتال وقت الهجوم^(١).

وفي ٢٠ حزيران ١٩١٥ ، وصل (الامير) فيصل إلى مكة المكرمة ويوصوله قدم لوالده تقريراً عن رحلته بما في ذلك قناعته التي تبرر القيام بالحركة^(٢) ، وفي الوقت نفسه كشف جمال باشا مفاوضاته مع الشريف حسين بالتلغراف ليبين له ضرورة القيام فيما وعد به نجله (الامير فيصل) حتى يظهر للجميع أن الحجازيين مشتركون في هذه الحركة^(٣) . وقد تدارس الحسين مع أبنائه جوانب الموضوع في اجتماع عقده بالطائف للتعرف على آرائهم ، بدا فيه فيصل رغم قناعته بالحركة ، أكثر تأنياً من أخيه عبدالله ، إذ رأى عدم الاقدام على الحركة ما لم يتم المفاوضات مع بريطانيا ، أو عند تعرض الدولة العثمانية لانتكasa قوية أو لحين إزالت قوات من الحلفاء في الإسكندرية^(٤) . بينما أكد (الامير) عبدالله ضرورة الامراع في تنفيذ المشروع واتهم فيصل بالتكلوء ونتيجة الحرب لديه واحدة وسيقوز

(١) مدير شعبة فيلق قوات المرتبة الأولى في الحجاز ، الثورة العربية على الدولة العثمانية ، تعرية محي الدين ميداني ، بيروت ، ١٩٣٥ ، ص ٥ ، وسفره له ميداني من الأán فصادقاً . ويقول جمال باشا في كتابه الذي نشره بعد الحرب والذي اسماه " مذكرات سياسي تركي " بأنه لو كان يعرف ما كان يخشاه العرب من الانقضاض على العثمانيين في ذلك الحين لكان قبض على فيصا في دمشق ، وارسل لفرقة للقبض على والده في مكة ولكن قضى على الثورة في مهدها ، انتصار سكين ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٢) الطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، جمال ، المصدر السابق ، من ٢٣٤ .

(٣) ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٤) وكان مشروع الإزال في الإسكندرية يرجع في أساسه إلى اللورد كتشنر الذي كان يرجح فتح جبهة ثانية في الشرق ضد الالمان ، وحددها في الإسكندرية لفصل الاناضول عن بلا العرب ، لكن فرنسا عارضت المشروع لافتقارها إلى القوات الكافية للمشاركة فيه ، وخشيته على مصالحها في سوريا اذا ما قامت بذلك القوات البريطانية ، انظر موسى ، الحرك

ص ٢٨٧ .

تحت حكم المنتصر ، ورغم هذا الخلاف فقد اتخاذ والدهم الشريف حسين ، ومع اقراره الثورة ضمنياً ، موقفاً وسطاً فارتاً ارسال نجله فيصل الى سوريا ابعاداً للشك خصوصاً وأن الاخير قد وعد جمال بالعودة على رأس المتطوعين كما تقدم^(١) .

وابرق الشريف حسين برقية الى جمال باشا ضمنها ذلك ، وأشار "كيف استطع توزيع الخمسة آلاف ليرة بالعملة الورق التي نزلت قيمتها الآن الى ربع القيمة الرسمية ، على ١٥٠٠ مجاهد؟ فكم سيتقى واحدهم معه من المبلغ الذي سيستممه وكم يترك لعائلته" ، وكان جمال قد أنبأ الشريف في برقيته أنه سيتولى قيادة الجيش الرابع في ظل علم الخلافة المقدس للهجوم مرة ثانية على الانجليز في مصر ، وأن قوات المانيا والنمسا سوف تشتراك في الجهاد ، فرد عليه الشريف بعبارة ذات مغزى قائلاً "أن وصول القوات النمساوية والالمانية سيفتح فصلاً جديداً في تاريخ الاسلام ذلك أن الشريف لم يستطع أن يفهم كيف يمكن تسمية اشتراك الجنود المسيحيين في الحرب جهاداً"^(٢).

ارسل الشريف حسين نجله فيصل على رأس جماعة من اشراف الحجاز بلغت خمسين رجلاً بصفتهم طلائع لحملة المتطوعة الحجازية ، وفور وصولهم دمشق استقبلوا استقبلاً باهراً ، واتخذ فيصل دار جمال باشا للعمل على تجهيز القوات المتطوعة التي يفترض مشاركتها في حملة القناة الثانية^(٣).

(١) كما عمد الشريف حسين الى فتح المفاوضات مع بريطانيا لضمان خطواته القادمة مع تنفيذ المشروع ، ومن هنا جاءت رسالته الاولى الى السير مكماهون في تموز ١٩١٥ . فكانت تلك فاتحة المراسلات المعروفة بمراسلات حسين - مكماهون ، انظر موسى ، المراسلات ، وثيقة رقم ٢٠ وما بعدها ، انطونيوس ، المصدر السابق ، الملحق ص ٥٧١ .

(٢) حول برقية الشريف حسين الى جمال باشا ، انظر احمد عزت الاعظمي ، القضية العربية اسبابها مقدماتها تطوراتها ونتائجها (مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٣٤ ، ج ٦ ، ص ٨٣ ، موسى ، الحركة ، ص ٢٦٦ ، القبلة ، العدد ١٨٨ بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩١٧ .

(٣) جمال ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، الغصين ، المصدر السابق ، ص من ٦-٥ ، الاعظمي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٨٣ .

لا شك أن الشريف حسين كان صائباً في استجابته لدعوة جمال باشا ولم يكن ذلك ثانية لتأكيدات الأخير فحسب ، وإنما قصد منها ، على ما يبدو ، التمويه على الاتحاديين ليثبت لهم حرصه على تنفيذ أهداف الدولة العثمانية وليردد من شكوكهم نحوه ، ربما ينتهي من المفاوضات بينه وبين الانجليز ، وربما تكون استجابته للحيلولة دون تعرض الحركة العربية إلى الخطر ، بينما يواصل هو استعداداته بحرية أكبر . إذ نلاحظ بأنه بعث بنجله (الامير) على إلى المدينة لحشد القبائل والتشاور معهم بأمر الثورة ، فضلاً عن مراقبته لتحركات الوالي العثماني ، بينما لازم عبدالله والده طيلة السنة الأشهر التي استغرقتها المراسلات مع مكماهون اذ كان يعمل لتنظيم قبائل الطائف ومكة لاستخدامها عند الضرورة ، لكن تطور الأحداث في سوريا جاء مخيماً لآمال الشريف حسين بسبب السياسة القمعية التي اتبعها حمال باشا ضد العاملين في القضية العربية ، واعدامه العديد منهم^(١) ، فضلاً عن تشتيته للقطعات العسكرية العربية المرابطة في سوريا ، التي كانت محط الاعتماد لتنفيذ الحركة لما كانت تضمه من أعضاء جمعية العهد ، وأحللة القوات العثمانية بدلها بالإضافة إلى ترحيله العديد

^(١) في ٢١ آب ١٩١٥ ، أقدم جمال باشا على اعدام الوجبة الأولى من القوميين العرب ، اثناء وجود فيصل في مكة المكرمة بعدعودته من الاستالة ، اذ لم يدر جمال كيف يبرر خذلانه في مهاجمة قلعة السويس وأخذ يبحث عن وسيلة يغطي بها فعله ، فلم يوجد خيراً من الصاق التهم باحرار العرب واتهامهم بالتعاون مع "الاعداء" ، فيصيب حصنورين بحجر واحد ، ولذا فقد اُقتل في أولئك شهر حزيران سنة ١٩١٥ نخبة من رجال سوريا العاملين في حقل الاصلاح والساسين في سبيل النهضة وليقافهم امام المجلس العسكري (ديوان الحرب العربي) الذي تشكل في (عليه) بجبل لبنان ، حيث دار التحقيق السوري معهم حول اعمالهم التي قيل انها تسعب خطراً على الامن العام . واصابت الدهشة الناس عندما اعلن أن هؤلاء المعتقلين قد علقوا على المشانق في بيروت صباح ٢١ آب ١٩١٥ وهم : عبدالكريم الخليل ، صالح حيدر ، مسلم عابدين ، نايف تللو ، محمد المحمصاني ، محمود المحمصاني ، عبد القادر الغرسا ، محمود العجم ، سليم عبدالهادي ، نور الدين القاضي ، علي الارمنازي ، التفاصيل الظرف موسى الحسين ، ص ٦ ، الطونيروس ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٩٢

من وجوه ورجالات الشام الى الخارج ، ومن هنا اصبح الحجاز مكاناً لاعلان الثورة بدلاً من سوريا التي لم يبق فيها سوى بعض القادة الثانويين ، ولعل هذا ما يتضح من خلال التقارير التي كان يبعثها فيصل لوالده عن اضطراب الامن في سوريا^(١) .

^(١) موسى ، الحركة ، ص من ١٩٢-١٩٣ ، ارسكين ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

٤- الحسين بين الضقوط العثمانية والمطالب الوطنية :

أُغتيل جمال باشا في عام ١٩١٦ وجية جديدة من الاحرار العرب في عاليه
وهم : شفيق المؤيد والامير عمر الجزائري ورفيق رزاق سلوم وعمر حمد
وعبد الغني العريسي وعارف الشهابي وتوفيق البساط وسيف الدين الخطيب والشيخ
احمد طبارة وسلمي الجزائري وجلال البخاري وشكري العسلي وعبدالوهاب الانجليزي
وسعيد عقل وباترو باولي وجرجي الخدا وأمين لطفي ومحمد الشنطي وعبدالحميد
الزهاروي وعلى عمر النشاشيبي ورشدي الشمعة^(١) ، وحاول الامير فيصل الذي كان
يومذاك في سوريا ، ما استطاع مع جمال باشا ولكنه لم يجد منه قبولاً ، فاضطر الى
أن يبلغ والده بالأمر^(٢) . وكان انور باشا قد ارسل في أول آذار ١٩١٦ برقية الى
الشريف حسين يكرر فيها الطلب باعلان الجهاد المقدس في بلاد الاسلام من مكة
باسم الخليفة السلطان محمد رشاد الخامس على روسيا وبريطانيا وفرنسا^(٣) .

ولكن الشريف حسين لم ير بدأ من استغلال دعوة انور باشا له باعلان الجهاد وذلك بطرحه مطالبه شرطاً أساسياً مقابل تأييده لهذه الدعوة ، وذلك بارساله برقيبة جوابيه معنونة الى الصدر الاعظم والى وكيل القائد العام انور باشا في ١٦ آذار ١٩١٦ ، قال فيها ان انتصار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى التي تخوضها يتوقف على الشراك جميع العناصر العثمانية ولا سيما العرب في هذه الحرب ، واسهامهم فيها قلباً وقالباً الى جانب الدولة ، كما اشار في ذات البرقية الى

^(١) موسى ، الحسين ، ص ٢٠-٩٦ ، قدرى ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

^(١) مصطفى ، لورنس ، ص ١١٩ ، زين ، اسباب ، ص ٦٢ ، علاء جاسم محمد ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا وللعراق ١٨٨٣-١٩٣٣ ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ط ١، ١٩٩٠ ، ص ٢٤.

(٤) حول برقية الور باشا للشريف حسين ، النظر ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦
الاعظمي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ، موسى ، الحسين ، ص ٦٥ ، موسى ، الحركة
ص ١٩٢ ، موسى ، الحرب ، ص ٣٢٨ .

الموقع العسكري الهام للبلاد العربية . ومضى الشريف يقول " ولوح لي أن ارضاً الشعب العربي ، يتوقف على مداواة قلبه الذي جرّهاته اتهام عدد كبير من ابنائه ، بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم امام المحاكم العسكرية ، بالدواء الذي :-

١- اعلن العفو العام عن المتهمين السياسيين .

٢- اذلة سوريا ما تطلب من نظام لا مركزي ، وكذلك العراق^(١) .

٣- جعل امارة مكة وراثية في أسرة الحسين ، واعتبار الشرافة معترف لها بحق الموروث والمتلق عليه من عهد السلطان سليم الاول .

واختتم الشريف حسين برقيته بهذه العبارة : " فاذا قبلت هذه المطالب فاتبعهد بحشد القبائل العربية للجهاد ، بقيادة ابنائي في ميداني العراق وفلسطين . كما انه على الدولة التأثير على أبن الرشيد لينضم الى الجهاد . واذا لم تقبل هذه المطلب . فأرجوكم أن لا تنتظروا مني الاشتراك في حرب كنت نصحت بأن لا تثار ولا تشق . وسأكتفي بالدعاء للدولة بالنصر والظفر^(٢) ، ويقول انه بسبب السياسة التي اتبعتها

(١) لم ترد كلمة العراق في سعيد ، الثورة ، ج ١ ، من ١١١ ، سعيد ، ثورات ، ص ٤٣ ، سعيد اسرار ، ص من ٥٢-٥١ ، فريفات ، الثورة ، ص ٩٤ ، سهيلة الريماوي ، جمعية العربية الفتاة السورية ، دراسة وثائقية ١٩١٨-١٩٠٩ ، (دار مجذلاوي للنشر والاعلان ، عمان ، الاردن ١٩٨٨) ، ص ٢٧٧ . ويبعد أن سهيلة قد اعتمدت على سعيد ، اسرار ، ص من ٥١-٥٢ ، في عدم اشارتها الى كلمة العراق ، وأن اشارتها بأن الشريف قد أرسل البرقية الى انور باشا ولم تذكر الصدر الاعظم ، ولكن لم نعرف من أين جاءت بتاريخ البرقية وهو (٣٠ آذار عام ١٩١٦) في حين أن التاريخ هو ١٦ آذار عام ١٩١٦ ، كما اشار اليه موسى ، الحركة ، من ١٩٤ ، موسى ، الحسين ، ص ٦٥ ، موسى ، الحرب ، ص ٣٠٩ . الذي اشار في كتابه الى كلمة العراق أيضاً والتي وردت في عبدالله بن الحسين ، مذكراً من ١١١ .

(٢) حول نص برقيه الشريف حسين الى الصدر الاعظم وانور باشا ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراً من ١١١ ، مؤلفات أمين سعيد ، الثورة ج ١ ، ص من ١١٠-١١١ ، ثورات من ٢٣ ، اسرار ، ص ٥٢-٥١ ، موسى ، الحركة ، ص من ١٩٤-١٩٥ ، محمد صبيح -

معه الحكومة ، يجد نفسه مضطراً إلى قطع العلاقات حتى تجاب المطالب التي طلبها قبل شهرين^(١).

لا شك أن برقية الشريف الأخيرة تتطرق على عدة أمور جديرة بالاهتمام ، فقد تمثلت فيها شجاعته واحلاصه في مصارحة قاتل الدولة العثمانية علينا بما يدور في نفوس العرب من آلام وأمال ، وجرأته إذ أنه لم يأبه بالخطر على حياته وحياة أسرته. إذ كان من المحتمل أن يعمد الاتحاديون إلى اعتقال نجله علي في المدينة ، ونجله فيصل في دمشق وإن يصدروا الامر لقوتهم العسكرية في مكة بالقاء القبض عليه وعلى نجليه الآخرين عبدالله وزيد . لقد ارسل الشريف برقية باسم العرب وطلب مطاليب تتعلق بالعرب في سوريا الطبيعية والعراق ، ولم يكن مستبعداً أن يتخذ الاتحاديون من تلك البرقية دليلاً على نزعته الثورية فيعتقلوه ويعزلوه ويغتلوه ابناءه وينكلوا بهم . أما شهامة الشريف وكيرياؤه فتتمثل في أنه لم يرحب أن يلغا إلى الثورة دون أن يستنفذ جميع الوسائل والاساليب لمصارحة الاتحاديين بحقيقة مطامح العرب ومشاعرهم القومية^(٢).

والحقيقة لا بد أن تؤكد بأن الشريف حسين ، ومع أنه كان يهدف إلى تحقيق مطالبه بالدرجة الأساس ، فإن وطنيته حمت عليه طلب العفو عن المتهمين السياسيين من الزعماء العرب ، ومن ثم نظام لا مركزي في سوريا والعراق ، يضعه في مقدمة مطالبه ، وبعدها عرج إلى هدفه الشخصي في جعل امارة مكة وراثية في عائلته متمتعة بالحقوق والامتيازات القديمة كافة .

لا شك أن برقية الشريف تركت بصمات مؤلمة في نفس انور باشا وحتى في نفس الصدر الاعظم ، لكنهما ، على ما يبدو لا يبغيان الصدام مع الشريف في هذا

- فيصل الاول (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت) ، ص ٣٨ ، مصطفى ، لورنس ص ١٢٠ ، ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(١) موسى ، الحركة ، ص ٢٨٠ ، منسي ، حركة ، ص ٢٩٩ .

(٢) موسى ، الحرب ، ص ٣٦ .

الظرف ، لأن أمامهم مهمة كبيرة هي اعلان الجهاد المقدس الذي يفتى به أمير مكة المكرمة الشريف حسين^(١) ، وكان من الطبيعي أن يكون رد المصدر الاعظم وانور باشا في برقيتهم الى الشريف رداً ينطوي على التهديد اذا رفضوا في برقيتهم رفضاً باتاً مطالب الشريف الثلاثة ، وقالوا انها خارجة عن اختصاص الشريف ، وأن الاصرار على المطالبة أمر ليس من مصلحة الشريف ، وكان مما جاء في البرقية الجوابية ما يأتي : " ولما كان طلب اعلان العفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام الامركزية في سوريا واستبقاء امارة مكة المكرمة في شخصكم السامي وفي اولادكم ، خارجاً عن اختصاص سيادتكم ، فالاستمرار في طلبكم ليس من مصلحتكم في شيء . واننا نبلغكم ، انه لا بد أن ينال الموقوفون^(٢) عقابهم . كما أن حقوق سيادة ملجاً الخلافة ستبقى في الحجاز على ما كانت عليه قبلاً ، وكما هي في جميع المالك الشاهانية ، ونلح عليكم بأن تستدعوا ولدكم علي الموجود في المدينة الى مكة فوراً وترسلوا المجاهدين الذين وعدتم بارسالهم الى دمشق ، ليكونوا بقيادة ولدكم فيصل بك . وبديهي أنه سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب . وأن لم تتفدوا هذه فالنتيجة بحكم لا تكون مسرة "^(٣).

والدراسة التحليلية لهذه البرقية توضح لنا عدة مسائل : فقد اتهج انور باشا اسلوبياً تميز بالوضوح والحرزم الذي يصل الى حد العنف ، واصدر نصائح وتعليمات للشريف في صورة اوامر واجبة التنفيذ . كما تدل البرقية على أن حكومة الاستانة قد وقفت على نشاط (الامير) علي بن الشريف حسين في المدينة المنورة ضد

^(١) لعمجي ، المصدر السابق ، ص من ١٧٨-١٨٠ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٣٧٧
موسى ، وثائق ، ص ٥٢ .

^(٢) أي المعتقلون .

^(٣) عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ١١٢ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١١ ، صبيح ، المصدر السابق ، ص ٣٩ ، الامير مصطفى الشهابي ، محاضرات في الاستعمار ، (معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٧) ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، صبيح ، فيصل الاول ، ص ٧٥ .

العثمانيين ، ومن ثم طلب انور باشا ابعاده من المدينة المنورة الى مكة المكرمة كما طلبت ارسال المجاهدين الذين وعد فيصل وأبيه ارسالهم الى دمشق للاشتراك في حملة القناة الثانية وعدهم ١٥٠ مجاهد ، ويتبين لهم احتجزوا فيصل في دمشق كما جاء في مذكرات أخيه عبدالله قوله " عليه فسوف لا ترون نجلكم فيصل بك مرة أخرى قبل أن تبتعثوا بالمجاهدين الى الجبهة كما وعدتم وإن لم تتفذروا هذا فكما قلنا فالنتيجة بحقكم لا تكون خيرية "(١).

و عند وصول هذه البرقية الى الحسين واطلاعه عليها . قال أبا هدى ؟ ثم أبرق على الفور برقية الى الصدر الاعظم وأنور باشا بما يلي : " ليس لي ما أقول سوى النصيحة الاخيرة في برقيتي وبها ضمان انحياز العرب الى صنوفكم بتلويهم . أما ابني فيصل فلم أبعثه اليكم وانا اعتذر اني اراه مرة أخرى ، فاقطعوا ما شئتم "(٢) .
وبعد يومين وردت برقية من الصدر الاعظم نصها : " بعد التأمل رأينا شكر سعادتكم على اجرionكم . فإذا بعثتم بالمجاهدين الى الشام فقد اشعرنا جمال باشا ليذاكر نجلكم الشريف فيصل بك فيما يتعلق بال مجرمين السياسيين "(٣) .
وكان جواب الشريف حسين : " انتي مerten على تلطفكم بالجواب . أما المجاهدون فقد اصرروا على عدم السفر إلا اذا حضر فيصل ليأخذهم ، فأن كانت الرغبة حقيقة فابعثوا به ليستصحبهم "(٤) .

وجاء رد الصدر الاعظم على الفور بما يلي : " سيتوجه الشريف فيصل بك الى المدينة ليستصحب المجاهدين ويعود بهم الى الشام . وانا لمن رجو أن تسترجعوا

(١) حول نص برقية أنور باشا للشريف حسين ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراته ، ص ١١٢ .

(٢) حول نص برقية الشريف للصدر الاعظم والور باشا . انظر المصدر نفسه ، ص ١١٢ ، سعيد الثورة ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٣) حول نص برقية الصدر الاعظم الى الشريف حسين ، انظر المصدر نفسه ، ص ١١٢ ، موسى الحركة ، ص ١٩٥ .

(٤) حول نص برقية الشريف حسين للصدر الاعظم ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراته ص ١١٢ .

نجلكم الشريف على بك من المدينة المنورة الى مكة المكرمة لعدم امتلاجه مع
المحافظ «^(١)».

فأجابه الشريف على الفور بأنه : " عند وصول الشريف فيصل بك سيترك
الشريف على بك المدينة المنورة " «^(٢)».

وهكذا نلحظ أن الشريف حسين قد أخلف في برقائه ذكر المطالب الثلاث
وجعلها مقصورة على ثلاثة مسائل ، الاولى : حول ابنه فيصل الذي ادرك بأنه
محتجز في دمشق فقال أنه أرسله الى دمشق اعتماداً على شرف الدولة ، وتظاهر بأنه
لا يرجو عودته اليه في مكة في ذلك الوقت ، أما المسألة الثانية : فكانت خاصة
بإرسال قوات عسكرية من الحجاز الى دمشق لتتصنم الى الجيش الرابع في دمشق في
زحفه المرتقب على قناعة السويس ، وقد ربط الشريف حسين في دماء بالغ بين ابنه
فيصل وبين هذه المسألة ، فقال في برقيته أن ارسال المتطوعين الى دمشق يتوقف
على وصول فيصل الى المدينة المنورة ورؤية الافراد المتطوعين لفيصل ، أما
المسألة الثالثة والأخيرة : فكانت خاصة بابنه علي فقال انه سيدعوه الى الحضور
إلى مكة المكرمة قريباً ، وهذا هو النص الحرفي لبرقية الشريف حسين التي أملّى
الامير عبدالله نصوصها على أمين سعيد باللغة التركية وترجمتها الأخير الى العربية
والتي جاء فيها " لقد ارسلت نجلي فيصلاً الى دمشق اعتماداً على شرف الدولة
ولست ارجو أن يعود الى الآن ، على أن سوق المتطوعة الى دمشق يتوقف على
وصوله الى المدينة المنورة ورؤية هؤلاء له . وسيدعني نجلي على الى مكة
قريباً " «^(٣)».

«^(١)» حول نص برقية الصدر الاعظم للشريف حسين ، انظر المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

«^(٢)» حول نص برقية الشريف حسين للصدر الاعظم ، انظر المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

«^(٣)» حول نص برقية الشريف حسين الى الصدر الاعظم ، النظر سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١١
الموافق ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

ولم يكن جمال باشا الحاكم بأمره في سوريا بعيداً عن مجرى الأحداث إذ أرسل أنور باشا نص برقية الشريف حسين إلى جمال باشا نفهم منها هذا الجانب التهديدي ونخصها بما يلي : " اذا كنت حقاً ترغب في التزامي جانب الهدوء والسكينة فينبغي الاعتراف باستقلالي في سائر الحجاز من تبوك إلى مكة ، وجعلني أميراً ورائياً فيه . كما ينبغي أيضاً العدول عن محكمة العرب المتهمين ، وأعلن العفو العام في سوريا والعراق "(١) .

ولا شك أن هذه البرقية الواردة في مذكرات جمال باشا ، على ما نعتقد ، على خالية كبيرة من الخطورة ، ومن المؤسف له حقاً أننا لاحظنا أن معظم من كتب عن حياة الشريف حسين قد اشار إلى هذه البرقية ، وكأنها برقية صادرة من الشريف حسين إلى أنور باشا ، مع اشارتهم إلى البرقية ذاتها والتي وردت في مذكرات الأمير عبد الله (٢) ، إذ أنها تختلف عنها تماماً فأن البرقية الواردة في مذكرات جمال باشا لم يرد فيها ذكر لمطلب الحسين الثاني وهو : " انانة سورية ما تطلبه من نظام لا

(١) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، من ص ١١١-١١٢ ، موسى ، الحركة ، من ص ١٩٧-١٩٤ ، سعيد الصواف ، المصدر السابق ، ص من ٢٤٥-٢٤٨ ، تصيف ، ج ١ ، ص من ٤٠-٤١ ، سعيد ثورات ، ص من ٤٣-٤٤ ، موسى ، الحسين ، ص من ٦٥-٦٧ ، الريحاوي ، المصدر السابق ، ص من ٢٧ ، الاعظمي ، القضية ، ج ٦ ، ص ٨٨ ، محمد ، الملك فيصل الأول ، ص ٢٥ فريحات ، المصدر السابق ، ص ٩٤ ، سعيد ، اسرار ، ص ٥٢ ، الشهابي ، القضية من ١١٥ ، العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، والانكى من ذلك أن هؤلاء الباحثين يشرون إلى نص حديث جمال مع فيصل الذي يشير بأن جمال باشا قد اطلع فيصل على هذه البرقية لمعرفة رأيه وذلك ما يشير إليها جمال باشا في مذكراته بقوله " ثم اطلعته على برقية والده إلى أنور باشا ، فاضطررت واظهر تلمسه وأسفه ، وقال (أن فيصل) أن ما وقع ليس سوى سوء تفاهم فوالدي لا يقصد شيئاً ضاراً ، ولست تجهل أنه لا يجيد اللغة التركية ، ويلوح لي أن هذه البرقية ترجمها مترجم عاجز عن فهم النص العربي فعرفها " . انظر جمال المصدر السابق ، ص ١١٢ ، والتي سترد في الصلحية اللاحقة .

مرکزی ، وكذلك العراق " ، بل انها توضح مطالبة الحسين او لا يجعل حكم الحجاز وراثيا في اسرته ومن ثم اعلن ان هذه البرقية ابعد الى الحقيقة من البرقية التي وردت في مذكرات الامير عبدالله ، لانها جسدت الخبث الاتحادي المتمثل بالدور باشا وجمال باشا ، الذين لا نستبعد ، بل نؤكد ، تلاعبيهما في نص البرقية ، ليصيروا جانبا من اخلاق امير مكة المكرمة وشريفيها الحسين بن علي ، باعطائهما الصداره للطلب الشخصي العائلي على المطلبيين الآخرين .

ويذكر جمال باشا في مذكراته ، انه استدعى الامير فيصل ، وكان مقينا في دمشق مقر قيادة الجيش الرابع ، وتمت المقابلة بينهما ، وحضرها علي فزاد بك رئيس اركان الجيش الرابع ليكون شاهدا على الحديث ، وقال لفيصل :

" لما سمعت حين رجوعي من المدينة بان اخاك عليا يتدخل في شؤون الحكومة ويدعى لنفسه حقوقا ليست له أبلفت المحافظ ان يطلب اليه الكف عن هذه الاعمال لاعتقادي انه لم يقدم عليها الا لحداثة سنه وقلة تجاربه . وابلغت والدك ان يكتف ، وقلت لك في محادثتنا انتي ابدل ما في وسعي للمحافظة على منصب والدك ، وقد ابلغته ذلك شخصيا كما اخبرك ، فكتب الي معرجا عن عظيم شكره وامتنانه ، ولا اظنك تجهل ان لا يترك خصوما لا يستهان بهم من ابناء عمومته في الاستانه ، وهم يعلمون لأيغار صدر الحكومة عليه ، فخير لكم وابقى الالقاء عن الاتيان باي عمل يكون حجة لخصومكم ثم اطلعته على برقية والدة الى التور باشا ، فاضطررت واظهر تالمه وأسفه وقال ان ما وقع ليس سوى سوء تناهم فوالدي لا يقصد شيئا ضارا ، ويسلوحي ان هذه البرقية ترجمها مترجم عاجز عن فهم النص العربي فحرفها ، ثم وعد ان يكتب الى ابيه في الحال يسأله العدول عن مطالبة ^(١) .

^(١) للتفاصيل النظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٦-٢٣٧ ، فيمضي ، المصدر السابق . ٢٣١

بعد هذه المحادثة ارسل جمال باشا برقيه مطولة الى الشريف حسين جا

فيها :

"لقد نمى إلى خبر برقتيكم إلى أنور باشا فأنتم تطلبون أن تكون الإمارة وراثية في أسرتكم ، وأن يمنع الشخص عديدون العفو الشاهاني بعد أن قامت البراهين على خيالاتهم للوطن والامة ، وليس بالمستطاع اجابة الطلب الثاني للا يؤدي ذلك إلى ضرر شديد ، في مسألة لها ارتباط وثيق بالمصلحة العامة . كما أن الحكومة التي تعفو عن الخونة ، جديرة بأن يتمها الجمهور بالضعف . بل قد يغري ذلك العفو كثيراً من الناس بالخيانة وطعن الدولة والملة طعنة نجلاء . لو عرفت محتويات الوثائق التي ظهرت في المحكمة لرأيت أي حد من الخيانة وصلوا إليه " .

أما فيما يختص بمسألة جعل الإمارة وراثية في أسرتك . فإنه يخيل لي . واظنك تسأحيوني في هذا الرأي - أن الفرصة ليست مناسبة للمطالبة بذلك الطلب وأحسبكم توافقون بأن الاعراب عن مثل هذه الرغبات ونحن في ابان الحرب - حيث تتعرض كل القوى الإنسانية العقلية والبدنية لأشد العناء والتعب من شخص يتبو مركز الشرافة ، وفي أهم بقعة من بقاع الدولة العثمانية - هي أكثر تعرضاً للخطر من سواها - لا بد أن يكون له أسوأ الآثار في نفوس الجمهور . والذي اعتقد أنه م كان ينبغي لكم أن تطلبوا مثل هذا الطلب حتى لو كان لكم الحق في طلبـه . لأن جهـوا الـامة بـأسرـها يـنـبغـي أـنـ تـحـشـدـ الـيـوـمـ ، لـغـرضـ وـاحـدـ ، لـثـانـيـ لـهـ ، وـهـوـ اـحـراـزـ النـصـرـ النـهـائـيـ " . كما جاء في البرقية أيضاً "أرى من الواجب ، أن الفت نظرـك إلى الـوجهـةـ التـالـيـةـ منـ وـجـهـاتـ النـظـرـ ذاتـهاـ لـلـمـسـأـلـةـ . وـهـيـ آنـهـ لـوـ فـرـضـنـاـ جـدـلـاـزـ الـدـوـلـةـ لـبـتـ طـلـبـكـ ، لمـجـرـدـ الرـغـبـةـ فيـ الـحـصـولـ عـلـىـ مـصـادـقـتـكـ فيـ هـذـهـ الـأـوـقـاتـ الـعـصـيـةـ الـتـيـ نـقـطـعـهـاـ ، فـمـاـ يـمـنـعـهـاـ مـنـ أـنـ تـعـامـلـ بـالـشـدـةـ وـالـقـسـوةـ فـيـمـاـ لـوـ التـصـرـتـ فـيـ الـحـرـبـ ؟ـ وـعـلـىـ كـلـ الـوـجـوهـ فـيـجـبـ أـنـ تـعـلـمـ أـنـ الرـجـالـ الـذـيـ اـسـمـواـ الـحـكـومـ الـحـاضـرـ ، وـالـذـيـ تـجـرـأـواـ عـلـىـ الـقـيـامـ فـيـ وـجـهـ السـلـطـانـ عـبـدـالـحـمـيدـ الـذـيـ اـمـضـكـ اـسـتـبـادـهـ ، لـنـ يـصـفـحـوـ عـمـنـ يـتـجـرـأـ عـلـىـ شـلـ اـيـدـيـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـحـرـبـ الـتـيـ نـخـلوـهـ .

لمصلحة العالم الإسلامي . وهم في ذات الوقت لا يتأخرون في استعمال جزيل الانعام ، وعظيم المكافأة ، من جلالة الخليفة ، لكل من عمل ابتغاء مرضاعة الله ولتحقيق خياتنا المقدسة «^(١)».

ويستطرد جمال باشا في مذكراته عن الاحرار العرب ، محاولاً المصاق التهم الشديدة بهم ، فيقول ” وفيما كنا نتبادل تلك الرسائل (مع الحسين) كانت المحكمة العسكرية في عاليه اصدرت حكمها (بالاعدام على الرعيل الثاني من احرار العرب). فجاءت فيصل اشد جهاد للحصول على العفو عن (المحكوم عليهم) ، وكان يزورني كل يوم ويحول مجرى الكلام الى قضية العفو وسمعت أنه كان يعنف أعيان دمشق الذين يذهبون لزيارته لعدم سعيهم لأنقاذ مواطنיהם . ودعى في ذات يوم للغداء معه في الكابون «^(٢)» ، وكان ذلك في اوائل شهر ابريل (نيسان) ذار الحديث حول موضوع العفو أيضاً فسألته هل عرفت تفاصيل ما فعله هؤلاء ؟ فقال كلا . فقلت لو عرفت التفاصيل لأسفت أشد الاسف على توسيطك للحصول على عفو لهم «^(٣)» .

وجاء رد الشريف حسين بعد أيام من البرقية التي ارسلها جمال باشا اليه ، ولم يخف الشريف ما كان لبرقية جمال باشا من أثر سبيء في نفسه ، وكرر فيها طلبه اصدار العفو العام عن المعتقلين العرب ، ويرر صدوره لمصلحة الحكومة ، كما شكا

(١) للمزيد من التفاصيل حول برقية جمال باشا للشريف حسين ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٧-٢٣٨ ، موسى ، الحسين ، ص من ٦٧-٦٩ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ من ص ١١٢-١١٣ ، صبيح ، المصدر السابق ، ص ٧٥ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ص ص ٤١-٤٢ .

(٢) القابون قصر آل البكري وقد دمره الفاطميون أثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ بالديناميت ، انظر سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٣) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

الشريف في برقته من حاكم المدينة بصرى باشا قائلاً : " أنه يأتى أن تسلب منه بلا مبرر حقوق منحه لها الخليفة العثماني " ^(١) .

استدعاى جمال فوصلأ مرة أخرى واطلעה على رد ابيه وانذره بحدة أنه اذا لم يكف عن تدخله فلا بد من استعمال القوة ضده . ثم قال : أنت لا تستطيع ادرارك التصد من تلك اللهجة التي استعملها ابوك في الايام الاخيرة ولا المسك الذي سلكه اخوك في المدينة ^(٢) . لقد كانت علاقاتنا معك ودية هنا ، فبماذا يمكننا أن نفسر مسلك أخيك ؟ ففي الوقت الذي يجري فيه تجهيز ١٥٠٠ متطوع لحملة القناة والحكومة باذلة جهدها في امدادهم بالمال والرجال ولكن من جهة أخرى قد بدأت نزعات الانفصال من ناحية أبيك كل هذا في حين أن أخاك علي بك ينهج منهجاً يتفق ودعاوي أبيك . فإذا أردتم أن تظلوا أصدقائنا فعليكم مراعاة قوانين الصداقة أما اذا كنتم ذوي خلابات أخرى ، فالاولى أن تلتجأوا إلى السلاح وتجنحوا إلى ثورتكم في الحال وبذلك تنتهي تلك المهزلة ويصبح كل منا عدواً للآخر ظاهر العداوة . وإذا كنتم لا تضمرون الشر فاكتب لأخيك على ليحضر إلى دمشق في الحال ولعطف في المستقبل عن الاعتداء على سلطات المحافظ بصرى باشا ^(٣) .

وحاول جمال باشا أن يبرر لهجته الحاسمة هذه بقوله : " لقد كان خطاب الشريف حسين الأخير إليّ ينطوي بأنه اذا كان يتلمس ذريعة ما للقيام بالثورة وهذا هو

(١) حول برقية الشريف حسين إلى جمال باشا ، لنظر موسى ، الحركة ، ص ١٩٨ ، موسى الحسين ، ص ٦٩ .

(٢) كان الامير علي يجمع المتطوعين في الحجاز بحجج أنه سقودها مع أخيه ف يصل لمساعدة الجيش العثماني في حلة قناة السويس ، لكنه في الواقع كان يقودهم للثورة على الاتراك ورسائله مع والده تؤكد ذلك ، للتفاصيل ، لنظر تحسين العسكري ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٣) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، قدرى ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

الذى حدا بي أن استعمل فى خطابي للشريف فوصل تلك اللهجة الصريحة
الخامسة^(١).

ولا شك أن جمال باشا كان يبغى من استدام الامير على إلى دمشق حتى يقرنه
إلى أخيه الامير فيصل ، فيظلان رهينة لديه يمنعان أيهما من الاتيان باي حركة ضد
الدولة العثمانية ، وكانت تلك الغاية من استدام الامير فيصل من قبل^(٢).

ويقول جمال باشا أن فيصلاً تأثر لهذه اللهجة الخامسة وعلا وجهه الاصفرار
وأجابه بمسايله : " عفواً يا صاحب السعادة ! كيف يخطر لك أن تعزو اليها امثال
هذه التهم ؟ وكيف يمكن أن تكون خونه ونحن من الرعايا المخلصين للخليفة ؟ كن
موقناً بأنني سأ Rossi الخلاف القائم بين أخي والمحافظ بصرى باشا ، وسألته
بالحضور ...^(٣).

في مارس ١٩١٦ أرسل الامير فيصل برقية إلى أخيه الامير على يطلب فيها
حضوره على رأس القوة التي جندتها في المدينة للاشتراك مع الجيش العثماني في
حملة القناة الثانية ، اذ كان الامير على وقتذاك يجند المتطوعين متظاهراً بأنه يعدهم
للحرب في صد دولته ، فما ان استلم الامير على برقية أخيه تظاهر بالامتناع
وعلى الفور أرسل برقية إلى أخيه الامير فيصل في دمشق يطلب فيها عودته إلى
المدينة ليسير على رأسهم إلى حيث تردد الدولة العثمانية ... وكان لهذه البرقية رنة

(١) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٣) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، اخذ الامير على يتصرف في المدينة تصرفات
ازعجت محافظتها بصرى باشا ، اذ ان الامير اخذ يفصل في قضايا الاهلين ويكثر الاتصالات
بالقبائل مما اعتبره المحافظ تدخلاً في شؤون خارجة عن اختصاصه واختلف الامير
والمحافظ ، فكتب يشكو الامير إلى جمال باشا وابرق الاخير إلى الشريف حسين يطلب منه ان
يسدعى ابنه ، هرث الشريف قائلاً ، انه سوف يستدعي على ، ولكن المجاهدين يصررون على
نفيصل إلى المدينة كي يتولى قيادتهم " . النظر موسى ، الحركة ، ص ٢٦٧ .

فرح لدى جمال باشا ، الذي وافق على ذهاب الامير فيصل الى المدينة لاستقبال المتطوعين^(١).

ويصف جمال باشا ذلك بقوله : " جاتني الشريف فيصل وأخبرني أن أخاه قد تلقى الاوامر من أبيه بالانضمام الى جيش سيناء وأنه هو (فيصل) نفسه يرحب - بعد استئذاني - في الذهاب الى المدينة ليجيء بأخيه الى القدس ، وأكد لي أن ذهابه سيؤثر في نفوس المجاهدين تأثيراً حسناً ولما كنت قد تعودت الخديعة من الشريف حسين وأولاده أثرت أن أكون أنا الغالب ففكرت قليلاً ثم قلت : حسناً جداً لقد صرحت لك . فأعاد إلى المتطوعين في المدينة واستقبلهم بأسمى ثم انتهى بهم هنا . وسامر مصلحة السكك الحديد بنقل الجنود وارسل معك ببعض العلماء في دمشق ليكونوا في ركابك وبذلك تستطيع أن تولف وفداً خاصاً لاستقبال المجاهدين "^(٢).

وقد تالف هذا الوفد من الامير فيصل رئيساً ومن كاظم بك مفتش المنزل ووآصف بك المستشار العدل للجيش الرابع ونسيب بك البكري والشيخ عبدالقادر الخطيب وقصدوا المدينة المنورة بالسكك الحديد في منتصف شهر مارس (أي بعد تنفيذ حكم الاعدام في الراعيل الثاني بنحو عشرة أيام) ، وفيصل يكاد يطير فرحاً وسروراً لأنه أفلت من الحجز ونجى من قبضة الاتراك ، وقد استقبل استقبلاً باهرأ حين وصوله المدينة المنورة ، حيث انضم الى أخيه واقام معه في منزله^(٣).

ويبدو أن جمال باشا كان قلقاً جداً ، اذا لم يرتح له بال من سفر فيصل الى المدينة ، اذا يقول : " بعد أن خادرنا الشريف فيصل بصحبة رجال معينة رأيت من باب الاحتياط أن ارسل فخري باشا الى المدينة ... واخبرته بأنني متوقع أن يثور

(١) حول البرقيتين المتبدلتين بين الاخرين فيصل وعلي ، انظر محمد جميل بيهم ، سوريا ولبنان ١٩١٨-١٩٢٢ (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨) ، ص ٣٣ .

(٢) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) سعيد ، الثورة ن ج ١ ، ص ١١٥ .

الشريف حسين قريباً^(١) ، ثم طلبت اليه ان يذهب الى المدينة بحجة زيارة الروضة الشريفة وان يرتب مع بصرى باشا وسائل الدفاع الازمة اذا احتاج الى ذلك ... واعطيت كلاً من بصرى باشا وفخري باشا التعليمات السرية نفسها وهي تقتضي بأن يتسلم فخري باشا عند أول انذار بقيام الثورة قيادة اولاد الشريف ، وأن يقوم بصرى باشا بأعباء الادارة الملكية ... واحتياطاً للطوارئ أمرت أن تبقى كتيبتان أو ثلاث وبطاريتان جيليتان في دمشق على استعداد تام للزحف في الحال على المدينة . ولم تعلم تلك الجنود شيئاً عن الجهة التي ترسل اليها . ولكنها كانت دائماً متأهبة بحيث يمكن ارسالها بعد نصف ساعة من وصول اول اشارة^(٢).

لاشك أن هذا يدعونا الى القول ، بأن جمال باشا لم يكن جاهلاً كما يبدو بالتحركات المرورية التي كان يديرها الامير حسين واولاده ، وقد عبر جمال عن رغبته من عالم الفرح التي بدلت على وجه فيصل عند سماحة له بالسفر ، هذا فضلاً عن التقارير التي كان يتسللها من بصرى باشا عن تحركات الشريف وضرورة القبض على نجله علي وفيصل ، بل أن بصرى باشا كان مصمماً القبض على فيصل يوم وصوله من دمشق ، لكن القيادة ظلت مصرة على أمرها الى بصرى باشا بأن يحتفل بالامير فيصل ، وذلك لعدم اعتقادها بخطوة بصرى باشا في مثل هذه الظروف^(٣) . اذ أن جمال باشا ، رغم قدرته على احباط مساعي الشريف حسين

^(١) يبدو أن جمال باشا قد ادرك ذلك عند سماحة للأمير فيصل بالذهاب الى المدينة المنور اذ يقول في مذكراته " وما كدت افرغ من هذه الكلمات حتى ابرقت أسارير وجهه (أي فيصل) وكاد فواده يطير فرحاً فتجلت لي الحقيقة وتكشفت . حتى لقد ثقت الى علي فواد بك رئيس اركان حربى قائلاً : أنتي موقن بأن الثورة ستشتب ضرامها في الحجاز في القريب العاجل . فلأني ند رأيت الشريف فيصل قد فرح اشد الفرح لخدعوني انه لم يستطيع اخفاء شعوره " . انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

^(٢) للتفاصيل انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

^(٣) كان بصرى باشا على علم بنية الشريف حسين على الانتقام وأنباء القيادة العامة بالامر واقتراح القاء القبض على الامير فيصل واخوه ، ولكن القيادة ظلت مصرة على أمرها بأن -

حينها ، كان يرى ضرورة اتباع خطة معينة للتقرير الخطوات اللاحقة ، خصوصاً وأنه ما زال يفتقر إلى الوثائق التي تدينه^(١) ، إذ أنها نلاحظ أنه بعث بأحسن قادته فخري باشا^(٢) برفة تعزيزات عسكرية ليتولى مع بصرى باشا مهمة الدفاع عن المدينة ، في الوقت الذي وضع فيه الكتابب والبطاريات الأخرى على اتجاه التوجه إلى المدينة . كما أصدر أوامره إلى القوات العثمانية المولفة من ثلاثة آلاف جندي ، بعد أن عزّزها بندجات أخرى ، والتي كانت متوجهة نحو اليمن ، بالتوقف في المدينة المنورة ، واعطى الأوامر الفورية لها بال مباشرة في تدريب قوات المدينة وتسلیحهم بالأسلحة التي يفترض تسليحها للمتطوعين ، كما أمر بمراقبة كلّ من الاميرين فيصل وعلى عقب الاخبار التي نقلها بصرى باشا عن الكمان التي نصبّتها العشائر الموالية للشريف حسين في طريق القوات المتوجهة إلى اليمن^(٣) وعلى الرغم من ذلك ، فإن جمال باشا لا يزال يأمل استدراج الشريف حسين ولو وقتياً ولم يتمتع من مسايرته وأمر حاكم المدينة بتسليميه المبالغ التي طلبها لسد نفقات المتطوعين^(٤) ، وبذا وكان

- يحتل بالامير بينما كان بصرى يائلا مصمماً القبض عليه ، انظر ميدانى ، المصدر السابق . ص ١٠ .

^(١) النظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٤٤-٢٤٥ .

^(١) يصفه جمال بلشا ، بأنه مشهور بوصيته وثباته ، وكان حب الوطن فيه يغلب على كل عاطفة أخرى في نفسه ، انظر المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

^(١) للتفاصيل عن اجراءات جمال باشا ، انظر المصدر نفسه ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

^(٤)-المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ ، ويذكر جمال بان الحسين قد تسلم منه مبلغ قدره ١٥٠٠ أو ٦٠ الف جنيه قبل هذا الحين ، انظر المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ ، بينما يذكر أمين سعيد بان جمال سليم الشريف يومئذ ١٨ الف بندقية و ٢٠ الف ليرة عثمانية ذهباً ، انظر سعيد ، الثورة ، ج ١ ص ١١٨ .

ويذكر جمال باشا في مذكرة أنه "بانه كانت تحت تصرف الحسين وقتنما ينبع على خمسين أو ستين ألف جنيه ذهباً لتجهيز فرقة المتطوعين البالغة ١٥٠٠ شخص لحملة القناة ، وان تلك القوة كانت في مكة في شهر نيسان ١٩١٦" ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ن ص ٢٤٤ . ومن الواضح أن ذاكرة جمال باشا لم تسعفه هنا ، اذ من الثابت أن تلك القوة غادرت مكة ، صلت -

الجو هادئاً فتبدلت الزيارات والولائم بين فخري باشا وفيصل وعلی كما يتضح من تقارير فخري باشا الى جمال باشا ، والتي وصفها لنا الاخير بقوله : « بينما أنا في بيروت يوم ٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ ، دعاني فخري باشا من المدينة لمحادثتي في التلفون وقال لي : ما زالت علاقاتي حسنة مع الشريفين على وفيصل ومنذ وصولي الى هنا ، وقد دعواني أول أمس لزيارة مقام سيدنا حمزة (يقع في ضاحية المدينة) حيث معسكر المتطوعة ذهبته وتغديننا معاً ولعب هؤلاء العاب الفروسية وانشدوا الاناشيد الحجازية . ودعني مساء أمس الى منزل الشريف على قضيت وقتاً . واتفقنا على أن تসافر أول كتبة من كتاب المتطوعة في هذين اليومين الى درعا »^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الشريفين على وفيصل قابلوا في ٣ مارس ١٩١٦ فخري باشا ، واطلعوا على مضمون البرقية الاخيرة التي ارسلها انور باشا الى والدهما الشريف حسين ، الذي هدد فيها وتوعده بقوله : " يجب على كل موظف أن يلزم حدود وظيفته فلا يتجاوزها ولا يتدخل في شؤون الدولة وإلا اضطررت لاتخاذ الاجراءات المقتصدية في مثل هذه الاحوال وأنه يجب ارسال المتطوعين بلا تردد واستدعاء على من المدينة " . واعلموا أنهما بعد هذه البرقية لم يعد باستطاعتهما الاستمرار في العمل ، وأن أحدهما ، عليا ، سيرجع الى مكة عملاً باشارة والده الشريف حسين . وحاول فخري باشا أن يعتذر عما ورد في البرقية ، ويعززه الى

- المدينة كما اشرنا في كانون الاول سنة ١٩١٤ ، وهناك تالفن آخر يتعلق بالمبلغ الذي لرسد جمال باشا اذا اشار الشريف حسين في برقية الى جمال باشا بأنه قد تلقى مبلغ ٥ آلاف ليرة بالعملة الورقية وهبطت قيمتها الى الربع ... ولا شك أن الاستاذ أمين سعيد هو الآخر قد تورم في قيمة المبلغ وأشارته الى السلاح .

(١) انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، الرواية ، المصدر السابق ، ص ٦٨ ، الاعظمي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص من ٨٦-٨٧ ، العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

التسرع ، ثم اشار أنه لا بد من تسوية الامور في المستقبل ، ثم تقرر أن يبقى فيصل في المدينة ليقود المجاهدين بدلاً من أخيه ويقودهم للاشتراك في حملة القناة الثانية^(١). وفي الاول من حزيران عام ١٩١٦ ترك الامير على المدينة وتوجه الى (سيدنا حمزه) حيث معسكر المتطوعين ، بعد ما ودع فخري باشا وبصري باشا ، على أن يقضى فيه ليلة ويسافر في الصباح ، فرافقه أخوه الامير فيصل لوداعه على أن يعود بعد سفره الى مقره في المدينة ، وقضى الاخوان ليتلهمها تلك في ذلك المعسكر ، وفي صباح اليوم التالي (٢ حزيران) ركبوا على الفور مع حاشيتهما و ٢٠٠ هجان الى مكة فسلكا الطريق الشرقي حتى وصلا الخانق (احدى المراحل على طريق المدينة - مكة)^(٣) ، حيث شرعا بحركتهما وأخذوا يحشدان القوات والمعدات وانضم اليهما (١٥٠٠) مقاتل واعلنا في ٥ حزيران ١٩١٦ باسم والدهما الثورة على الدولة العثمانية^(٤) ، بينما راح الامير عبدالله يتولى مهامه في الطائف وأخذ يستكمل استعداداته لمام انظار الوالي غالب باشا الذي لم يدر بخلده ، رغم ارتيابه بالامير أن تأخذ الاحداث مجرها الذي صارت عليه^(٥).

ويعطينا جمال باشا وصفاً مهماً لما جرى في المدينة في الاسبوع الاخير من اعلن الثورة ، ففي ٢ حزيران ١٩١٦ اتصل فخري باشا هاتفياً بجمال باشا الذي كان يومئذ في بيروت وابلغه أن احد رجال الشريف على قد سلمه صباح هذا اليوم ثلاثة خطابات : " الاولى لي^(٦) والثانية من الشريف حسين لك^(٧) ، والثالث منه ايضاً للصدر الاعظم " ، فيما أن الخطابين الاخرين مكتوبين بالشيفرة فقد عجلت بارسالهما

^(١) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص من ١١٦-١١٧ .

^(٢) مصطفى ، لورنس ، ص ١٢٣ ، الشريفي ن المصدر السابق ، ص ٢١ .

^(٣) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، موسى ، لورنس ، ص ٣٢ .

^(٤) سعيد ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، موسى ، الحسين ، ص ١٢ .

^(٥) أي فخري باشا .

^(٦) أي جمال باشا .

البك ، أما الخطاب المرسل الى فقد كتب الشريف على فيه ما نصه : " بناء على الاوامر الصادرة من والدي سيف نقل المتطوعين الى فلسطين ، ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين الى مكة ، بدلاً من ضياع الوقت هنا . وأنى آسف لاضطراري الى الرحيل دون أن اودعك فارجو قبول عذرني "(١).

ويشير الاستاذ أمين سعيد بأن الاخرين علي وفيصل قد كتبوا كتاباً مشتركاً الى فخري باشا وبصري باشا حمله مرافق فيصل وهو ضابط تركي قالا فيه : " حيث أن رجال الحكومة اساعوا فيها الفتن ، ولما كان ذلك يحول بيننا وبين الاستمرار في التعاون مع الحكومة فقد عدنا الى مكة بناء على البرقية التي تلقيناها من والدنا لعدم لستطاعتنا البقاء "(٢) .

وعلى أية حال فان فخري باشا أخبر جمال باشا بأنه ارسل في الحال كتيبة الى المكان الذي اقام فيه المجاهدون بالامس (يقصد بالقرب من سيدنا حمزه) فوجده خالياً من المجاهدين ، وكان الشريف على قد أخبره بأنه ذاهب الى مكة لكن المعلومات التي استقاها من شيوخ العرب الموالين ، دلت على أن الشريف قسم قواته الى ثلاثة كتائب ، وأنه ارسلها الى جهات مختلفة . الامر الذي دفعه الى الظن بأن هذه القوات ستهاجم السلك الحديد هذه الليلة او في صباح الغد على أكثر تقدير . وأنهم سيعطّلون المواصلات بين المدينة وسورية ، ويقومون بهجمة فجائحة على المدينة . ولذلك " وبناء على تعليماتك " ، تسلمت على الفور قيادة الجنود المرابطة في المدينة ، واعدت جميع معدات الدفاع استعداداً للطوارئ ، واخيراً ختم فخري اتصاله بالقول

(١) حول نص خطاب الشريف على الى فخري باشا ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ العري ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، الاعظمي ، القضية ، ج ٦ ، ص ٨٦ ، ناصيف المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١٨ . والملفت للنظر أن موسى الحسين ، ص ١١٩ ، يضيف كلمة " والسلام " عند اشارته الى خطاب الشريف على أي يختتم خطابه بقوله " فارجو قبول عذرني والسلام " ، ولا نعلم من أين استقى موسى موسى مصدره ، علماً بأن المصادر السابقة لم تشر الى هذه الكلمة .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١٨ .

"فالمل إلا تركنا بلا امدادات". فأجابه جمال باشا سأمر حالاً بأن تذهب إلى المدينة الجنود التي كانت مخصصة لها^(١).

وأمر جمال باشا بذلك رموز الخطابين المرسلين من الشريف حسين له وللصدر الأعظم ، فإذا هو يعتذر في أولهما عن عدم استطاعته الاشتراك في الحملة على القناة ، إلى أن تجاب الطلبات التي طلبها في برقيته المرسلة إلى أنور باشا ، وإلى أن يكف جمال باشا عن اتباع خطة الابهام والغموض حيال الشريف حسين وأولاده^(٢).

أما خطابه إلى الصدر الأعظم ، فقد قال فيه أنه لا يعرف أي الرجالين يصدق : أهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما اظهر له المجاملة والود ، أم ذلك الذي استعمل معه الفاظ جارحة مهينة . فهو يرى نفسه مضطراً إلى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من أنور باشا منذ شهرين^(٣).

ويوضح جمال باشا ما جاء في خطاب الشريف حسين إلى الصدر الأعظم بقوله "كنت أنا المقصود السياسي الذي أعمله بالمجاملة ، وأما الآخر الذي يقول أنه عامله بغلظة فيريد به أنور باشا لأنه كان أرسل قبل ذلك بثلاثة أسابيع برقية إلى الشريف حسين لفت نظره فيها إلى وجوب تغيير ابنه علي سلوكه حيال حاكم المدينة"^(٤).

ويقول جمال باشا بأنه سلم الأمير فيصل مفتاحاً للشفرة لاستعماله إذا جد أمر غير عادي يريد أخباري به ، فوردت إلى جمال رسالة بالارقام من الأمير فيصل قبيل سفره إلى المدينة قال فيها : "لقد صدر إلى الامر بوقف نقل المتطوعين إلى سوريا لاسباب أومن أن أبعطها لك شخصياً متى تشرف بلقائك . وقد ساعتني كثيراً الحالة

(١) الأعظمي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٨٨ ، العمري ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٢) الأعظمي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٨٨ .

(٣) انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٤) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ، منسي ، حرفة ، ص من ٢٩٨-٢٩٩ .

الجديدة التي نشأت ، ولما كان من بواعث الالم أن لا تقع عيني عليك ثانية قبل تسوية الامور تسوية مرضية فأنشرف بأخبارك أنتي ذاهب الى مكة لقضاء بعض الوقت^(١) . وبعد أن وصل الاخوان على ويصل عند بنر الماشي ، وهي على طريق مكة ، وجه الامير على انذارا خطياً الى جمال باشا الحاكم العام المطلق الصلاحيه في سوريا وفلسطين بتاريخ ٨ شعبان ١٣٣٤ هـ / ٩ حزيران ١٩١٦ خلاصته : " أن المطالب العربية المعتعلة قد رفضت من جانب الدولة العثمانية ، وبما أن الجندي الذي تهيأ للجهاد سوف لا يرى عليه أن يضحي لغير مسألة العرب والاسلام ، فإذا لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالاً فلا لزوم لبيان قطع أي علاقة بين الامة العربية والامة التركية ، وأنه بعد وصول هذا الكتاب بأربع وعشرين ساعة ستكون حالة العرب قائمة بين الامتين "^(٢) . ويعلق الاستاذ عبدالعزيز الدوري على انذار الامير على الى جمال باشا بقوله أن الامير على قد أكد " على المطالب العربية وربط الجهاد بقضية العرب وبالاسلام "^(٣) . ويمكن أن نعتبر أن هذا هو الانذار رقم واحد الذي وجهه الاشراف الى جمال باشا .

^(١) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١١٩ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

^(٢) حول نص انذار الشريف علي الى جمال باشا ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، من ص ١١٣ - طлас ، المصدر السابق ، ص ١٩١ ، العنك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، من ص ١١٥ - ١١٦ ، الشريقي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ . وهناك رواية تتول بأن غالب باشا القائد التركى تلقى بررقية من جمال باشا يأمره فيها باقامة وليمة للشريف حسين يتبعها خلالها عليه بالله ويسوقه محظوظاً الى دمشق . ولكن الشريف ادرك المؤامرة فغادر مكة ، ولما علم بأن الجندي تعرضوا لقصره ، اعد لهم ما استطاع من قوة ، ودخل مكة فاتحاً ، وأسر القائد العثماني للتفاصيل ، انظر بيهم ، سوريا ، ص ٣٥ .

^(٣) عبدالعزيز الدوري التكوين التاريخي للامة العربية : دراسة في الهوية والوعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦٦ .

وفي اليوم التالي ٩ شعبان ١٣٣٤هـ / ١٠ حزيران ١٩١٦ ، ختم الشريف حسين كل احتمالات التفاهم مع الاتحاديين ، بينما اطلق الرماسة الاولى للثورة العربية الكبرى من شرفة داره ايداناً باعلانه التاريخ الرسمي لها ، لتبدأ من مكة وتستمر طوال عامين اكتسحت فيها القوات العربية ، تدعمها مساعدات الحلفاء ، معظم موقع الجيش العثماني في الحجاز ، واسهمت بشكل مباشر وفعال الى جانب قوات الحلفاء في دخول دمشق عام ١٩١٨م .

الفصل الرابع

الراسلات المحفوظة العثمانية أيام الثورة العربية

١٩١٨ - ١٩١٦

الفصل الرابع

المراسلات الحجازية - العثمانية إبان الثورة العربية

١٩١٨ - ١٩١٦

- ١ - أسباب الثورة وأهدافها من خلال المراسلات بين الجانبين.
- ٢ - الاتحاديون والثورة العربية .
- ٣ - مراسلات الصلح العثماني - الحجازي واتهاء عمليات الثورة العربية

١ - اساليب الثورة واهدافها من خلال المراسلات بين الجانبين :

قبل ان يمضي بنا الحديث عن الثورة العربية التي اندلعت إبان الحرب العالمية الأولى ، ينبغي ان نوضح ان هذا الفصل لن يسلط الضوء على مجريات الثورة من نواحيها المختلفة لكثرة ما كتب عنها^(١) ، بل التوقف عند الآثار التي تركتها المراسلات الحجازية - العثمانية على طبيعة الثورة.

وباديء ذي بدء ، لا بد من بيان الاسباب التي دعت الشريف حسين على انتهاج الاسلوب الثوري كوسيلة للتخلص البلاد العربية من الحكم العثماني ، اذ بسط الشريف بسطا وافيا هذه الاسباب في بيان او منشور الثورة الاول الذي اصدره في ٢٥ شعبان ١٣٣٤ هـ الموافق ٢٦ حزيران ١٩١٦م ، حيث دعا فيه المسلمين الى الثورة على الدولة العثمانية والذي بدأ به قوله " هذا منشورنا العام السى اخواتنا المسلمين : ربنا افتح بيتنا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين "^(٢) . ولأهمية هذا المنصور آثرنا اغلب نصوصه في هذه الدراسة اذ نشير هنا الى الاسباب الرئيسية للثورة التي تخمنها المنصور . والذي اعتبره سليمان موسى " اول وثيقة تصدر عن الملك حسين لتعطى اسباب الثورة العربية "^(٣).

لقد يستهل الشريف حسين المنصور بقوله ان اشراف مكة المكرمة كانوا اول الحكام المسلمين الذين اعترفوا بالدولة العثمانية ، وهو يشير الى البعثة التي اوفدها

(١) كتب الكثير عن الثورة العربية والشمعت بحثا وتطيلا ، الاتنا لم نقف على دراسة واحدة تتناول الثورة من خلال المراسلات الحجازية - العثمانية ، للتفاصيل عن تلك الدراسات ، انظر ما كتبه سليمان موسى في مؤلفاته عن الثورة العربية ، وما كتبه أمين سعيد في مؤلفاته ايضا الطونيوس فضلا عن المصادر الاساسية التي كتبها الملك عبدالله عن الثورة ، وكذلك :

Bermond (ed) Le Hedjaz dans La Guerre mondiale Payot, Paris, 1931.

(٢) ناصر الدين الأسد ، الثورة العربية الكبرى والادب في : دراسات في الثورة العربية الكبرى (الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧) ، ص ٨٢ .

(٣) موسى ، الحسين ، ص ١٤٢ .

شريف مكة الى السلطان سليم الاول في اثناء اقامته في مصر بعد فتحها سنة ١٥١٧م يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على إقليم الحجاز ، وقال ان رائد اشراف مكة من هذا الاعتراف "المبكر كان رغبتهم في جمع كلمة المسلمين واحكام عرى الوشيعة الدينية لأن العلاطين الاوائل من الدولة العثمانية كانوا يتزمون بكتاب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام^(١) . وانتقل الشريف حسين في منشوره الى ذكر الخدمات العسكرية التي اسداها للدولة في شبه الجزيرة العربية^(٢) ، ثم هاجم هجوماً عنيفاً للغاية سياسية الاتحاد والترقي في حكم الدولة وكان من بين المأخذ التي سجلها الشريف في منشوره على الاتحاديين :

- اولا - انهم سلباً سلطة السلطان وجعلوه سرايا وسلبوه حقوقه في اختيار المرشحين لشغل المناصب الكبرى في الدولة مثل مناصب الصدر الاعظم ، وشيخ الاسلام وناظر الخاصة^(٣) .
- ثانيا - انهم تلاعبوا بأموال الدولة وانقلوها بالقروض .
- ثالثا - انهم زجوا الدولة في حروب اوروبية عقيمة خرجت منها خاسرة ، واتخذوا من هذه الحروب وسيلة لاستنزاف ثروة الامة كما استنزفوا من قبل ثروة الدولة ، ثم اخذوا من هذه الحروب ذريعة للتتكيل بجميع المخالفين لرأيهم في سياستهم الخرقاء وادارتهم .

^(١) لم تكن ثورة الشريف حسين كرها للعثمانيين ولا لحكمهم العادل ، فهو يشي (الشريف) كما يتضح على الدولة العثمانية وعلى سلاطين آل عثمان ، انظر الاسد ، المصدر السابق ، من ١٨٣ .

^(٢) كما يشير الاسد ، بان ثورة الشريف لم تكن على الخلابة ولا على الخليفة نفسه ، بل انه يقر بسلطنة الخليفة ، ويدافع عنه لأن الاتحاديين جربوه من حقوقه ، انظر المصدر نفسه ، من ١٨٣ .

^(٣) يؤكد الاسد ذلك ، بقوله بأن ثورة الشريف حسين كانت موجهة لى الاتحاديين الذين تسلطا على الدولة وتحكموا في شؤونها وحرمواها عن سبيل الحق والدين ، وملأوا البلاد فساداً ووضلاها ، انظر المصدر نفسه ، من من ١٨٤-١٨٣ .

رابعا - انهم اضعوا على الدولة الكثير من ولاياتها التي كانت خاضعة لها مثل البوسنة والهرسك والبانيا ومقدونيا وطرابلس الغرب وبرقة.

خامسا - انهم اثاروا الاحقاد الجنسية باتهاجهم سياسة تترك شعوب الدولة العثمانية وايجاد هوة سحرية بين العرب والاتراك والأرمن والاتراك. وكان من نتائج اثارة النعرة الجنسية ان الدولة فقدت الشعب اللبناني الباسل الذي كان سباجا امام الشعوب البلقانية ثم الفتن بالارمن رجالا ونساء واطفالا ، وهو امر يتنافي مع قواعد الشريعة الاسلامية الغراء ويتناقض مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من آذى ذميا فأنه خصم ، ومن كنت خصمك خصمك يوم القيمة " .

سادسا - انهم اضطهدوا العرب وحاولوا قتل اللغة العربية في جميع الولايات العربية بالغاء استخدامها في المدارس والدواوين والمحاكم ، ووصف " اضطهاد العرب ومحاولة قتل اللغة العربية بانها اكبر المفاسد التي ارتكبواها في حق الدولة والعرب " ، ولا يخفى علينا بان قتل اللغة العربية يعد قتل للإسلام نفسه فالإسلام في الحقيقة دين عربي ، بمعنى كتاب الله الذي انزل باللغة العربية وجعل متبعها بتلاوته وتديره وفهمه لا بمعنى انه خاص بالعرب فمن المعلوم من الدين بالضرورة انه عام لجميع الامم ، وقد قال الله في سورة الرعد " وكذلك انزلناه حكما عربيا " ^(١) .

سابعا - لم يسلم من شرهم الحرم المكي والحرم المدني في الحجاز فقد عرضوهما للخرف والجوع والخراب .

ثامنا - انهم انحرفو عن الدين واسهب المنشور في شرح مظاهر ابعاد رجال الاتحاد والتزقى عن طريق الدين وتشجيعهم الفتنة التي تهاجم الإسلام ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام .

(١) القرآن الكريم ، سورة الرعد ، الآية رقم (٣٧) .

تاسعا - انهم انتهزوا فرصة اعلن الاحكام العرفية فمضوا يشنقون ويعدمون كبار رجالات العرب في الفكر والعلم والعسكرية . وذكر الشريف في منشوره ان رجال الاتحاد والترقي شنقا في يوم واحد (واحد وعشرين) رجلا في احدى المرات وذكر اسماؤهم . وقال ان الدافع لازهاق هذا العدد الكبير في الانفس هو اشاعة الرهبة في نفوس العرب حتى لا يطالبوا بالمحافظة على اللغة العربية او يطالبوا بحقوق العرب السياسية^(١).

عاشرا - انهم صادروا ممتلكات واموال عدد كبير من العائلات العربية المغضوب على افرادها لاسباب سياسية واخراجهم من ديارهم مع النساء والاطفال الى بلاد الاناضول بلا كافل شرعى ، وعرضوهم الى الهلاك من الجوع والبرد والحر ، وهو امر يتنافي مع قول الله سبحانه وتعالى : ولا تزر وازرة وزر اخرى^(٢) ، وقال الشريف حسين ان الهدف من كل هذا واضطهاد البعض هو " ان من ينجو من الهلاك من هولاء النساء والاطفال يكون كالاماء والعبيد للترك في الاناضول ، ولا بد ان ينسى الاطفال لختيم هناك فيكونوا تركا تمر بهم بلاد الترك ، ولعلهم يريدون ان يأتوا بحلون محل هولاء المنفيين فيسهل جعل البلاد السورية كلها تركية ".

ثم انتقال الشريف حسين الى بيان سبب مهم من اسباب اعلن الثورة ، هو ما يتعلق باقليم الحجاز ، اذ اسهب في شرح ما تعرض له هذا الاقليم وسكان الحرمين من ظلم واضطهاد ، فقال ان الاتحاديين حشدوا قوات كثيفة العدد وهي مستكملة العتاد

(١) اعتبر الكثير من الباحثين سياسة جمال باشا التعسفية السبب الرئيسي التي حررت الشريف حسين على الثورة ، للتفاصيل عن اثر سياسة السفاح في تحفيز القبائل للثورة ، انظر محمد اسعد طلس تاريخ الامة العربية ، عصر الانبعاث ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٣) ، ص ٦٠-٦١ فيضي ، في غمرة النضال ، ص ٢٣١ ، تحسين العسكري ، المصدر السابق .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، آية رقم (١٥) .

والاسلحة دلفوا بها الى الحجاز وهم يعلمون ان الحجاز اقلهم له قداسته وحرمة وانه لا يهاجمه احد من الدول المتحاربة ، وهو وبالتالي لا يحتاج الى قوات تدافع عنه بينما الدوله في اشد الحاجة الى هذه القوات لتحشدها في ميادين القتال . وخلص الشريف الى ان هدف الاتحاديين من حشد هذه القوات في الحجاز هو " انهم يريدون ان يفعلوا في الحجاز ما فعلوه في سوريا والعراق ليتم لهم القضاء على الدولة العربية في عقر دارها وموطن منعتها وعزها وفخارها ... فكان وجود هذه الجنود سبباً لمنع ورود الاقوات على الثغور الحجازية وعليها مدار معيشة البلاد ، وسبباً لمنع ورود الحاج منها ولا كسب لاهلها الا منهم ، فاشتد الضيق حتى اضطر كثير من ابناء الدرجة الثانية من الاهالي الى بيع ابواب بيوتهم وخشب سقفها بعد بيعهم لجميع ما يملكون لاجل الحصول على سد الرمق ، وصار من المحموم على دفع اسباب الهلاك عن قوم جعلني الله راعيا مسؤولا عنهم " .

واردف الشريف حسين في منشوره الى ان ثورته موجهة ضد الاتحاديين الذين آلت اليهم امور الدولة والذين وصفهم بأنهم " زعاف ليس لاكثرهم في الشعب التركي الاسلامي اصل راسخ ، ولا في الاسلام علم صحيح ولا عمل صالح مثل انور باشا وجمال باشا وطلعت بك " .

وأوجز الشريف حسين في منشوره اسباب الثورة عليهم لانهم ، عرضوا استقلال البلاد للزوال ، وبحثوا بالشريعة الاسلامية وانتهوا حرمة الكعبة الشريفة واستهانوا بالسلطان ، وان السكوت على تصرفات هذه الفتنة الباغية ليس في مصلحة الدين ولا الدولة. ثم خلص الشريف من سرد هذه الاسباب الى القول بأنه " لما كان أمر حماية الحجاز من هذا البغي والعدوان واقامة ما فرضه الله فيه من شعائر الاسلام ، ووقاية العرب والبلاد العربية من عاقبة الخطر الذي استهدفت له الدولة العثمانية ، بسوء تصرف هذه الجمعية (جمعية الاتحاد والترقي) الباغية ، وكل ذلك لا يتم تداركه الا بالاستقلال التام وقطع كل صله بهؤلاء المتغلبيين الساقفين للدماء الناهبين للاموال وقد هبت البلاد بتوفيق الله تعالى للنهوض بأمر استقلالها ... جاعلة مبدأها وغايتها نصرة دين الاسلام والسعى لاعلان شأن المسلمين والمساواة الشرعية

في الحقوق بينهم وبين جميع من يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين قائمة نقى كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف ... مع استعدادها لقبول ما ينطبق على أصول الدين ويلائم شعائره من انواع فنون الترقى الحديث واسباب النهضة الصحيحة واختتم الشريف منشوره قائلاً " هذا ما قد قمنا به لاداء الواجب الديني علينا " (١) . وهكذا يظهر جلياً بأن الشريف حسين لم يعلن الثورة باسم القومية وحدها ولكن اعلنها اولاً باسم الاسلام ومن أجله (٢) .

(١) للمزيد من التفاصيل حول نص منشوره الثورة العربية الاول وتحليله ، انظر سعيد ، الثورة ، ج ١ من ص ٢٥٧-٢٦٨ ، جريدة الايام ، الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، (مطبعة الأيام ، دمشق ، د.ت) ، من ص ٣٤-٣٦ ، احد اعضاء الجمعيات العربية السرية ، ثورة العرب ضد الاتراك مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها ، حققه وقدم له الدكتور محمد شبارو (دار مصباح الفكر ، بيروت ١٩٨٧) ، ص من ٢٨٢-٢٨٩ ، موسى ، الحسين ، من ص ١٣٣-١٤٤ ، أما الصواف فيذكر بأنه نشر نص المنصور الاصلي المحفوظ في خزانة تصمي محب الدين الخطيب عن والده محب الدين رئيس تحرير جريدة القبلة الناطقة بلسان حكومة الحجاز انظر الصواف ، المصدر السابق من ص ٣٠٥-٣١٤ ، والواقع أن لشارة الصواف لم تسجل اصبعاً وذلك لأن منشور الشريف الاصلي قد عدل من قبل السلطات البريطانية في مصر ونشروه مشوهاً كما يذهب إلى ذلك الصواف ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ هامش رقم (١) ، وكذلك العمري يقوله " ان السلطات البريطانية اقتربت بتعديل المنصور الاول واختصاره لما حوى من بعض الفقرات " ، العمري المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٦ ، كما يذهب إلى ذلك الرأي صائغ في كتابه الهاشميون والثورة العربية ، من ١٠٥ يقوله " عهد الشريف حسين بمنشوره الى السلطات البريطانية لكي تذيعه وتوزعه على نطاق واسع ، غير أن خبراءها في الشؤون الشرقية لم يرضوا عن البيان فعدوا فيه كثيراً قبل أن ينشروه " . ولقد أجريت دراسات قيمة في دراسة المنصور وتحليله أهمها ، الدورى المصدر السابق ، من ٢٦٥-٢٦٩ مصطفى عبدالقادر النجار ، فكر الثورة العربية لعام ١٩١٦ واستقلال العرب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٨٣ ، السنة الثامنة ، العدد ٨١ تشرين الثاني ١٩٨٥ ، من ص ١٣٩-١٤٧ الاسد ، المصدر السابق ، ص من ١٨٢-١٨٥ وغيرها .

(٢) الاسد ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

وقد اتبع الشريف حسين منشوره الاول بمنشور ثان مورخ في ١١ من ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هـ (آب ١٩١٦م) نعي فيه الدولة دخولها الحرب العالمية الاولى وهي منهمكة عسكرياً واقتصادياً ومالياً . وجعل عنوان المنشور الآية القرآنية الكريمة "أنا نستريح ما كنتم تعملون" وسجل في منشوره هذا ، التصرفات غير الحكيمه التي تتفاوت مع تقاليد الاسلام وتقاليد السلاطين الاولى من آل عثمان والتي قام بها الاتحاديون ثم سرد أسباباً جوهريّة لغضب عقلاه المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك الاسلامية ، منها أن الدولة قريبة عهد بالخروج من الحرب الإيطالية او لا والعرب البلقانية ثانياً ، وقد اصاب جيوشها وخزانتها الضعف والفناء . ثم استطرد الشريف حسين في تنفيذ اساليب الاجحاف في حق المقاتل في صفوف الجيش التركي حيث أنه لا ينتهي من معركة الا ويستدعى لمعركة أخرى ، وفي هذا هلاك لاسرته لأنهم يفقدون رعايته لهم والشهر على مصالحهم . ثم مضى مجرم الثورة في بيان مرامي حلفاء الاتراك من توسيع رقعة بلادهم الضيقه في اراضي الدولة العثمانية الواسعة ، وقال الشريف في ذلك : "وها قد حصل ما كنا نخشأه وانتهت الدولة الى ما تخوفناه واصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في اوروبيا اسوار الاستانبول تقريباً" . ثم قال " ان طلائع الانجليز تسوق الوف الاسرى من ابناء هذه المملكة في بداية العرش بعد أن استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد " . ثم استصرخ الشريف بالرأي العام العالمي في ذلك في أن يعذروه على نهضته التي قام بها وجاءت في وقتها قبل أن تحيط الممالك بالبقية الباقية من هذا الملك وترك للعالم الحكم في ذلك . ثم بين الشريف حسين ان اعداءه (ويقصد انور وجمال وطلعت واتباعهم) وهم رجال الاتحاد والترقي الذين هتكوا ستر العرائض المسلمات ، واستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم ... واختتم منشوره ببيان اغراض الاتحاديين الدينية التي ترمي الى النيل من الشريعة الاسلامية والعادات العربية ، كما استهضف العرب على مقاومة

الاتراك بقوله " ومن كان قد وبه الله تعالى قوة على تغيير هذا المنكر بيده او لسانه او قلبه ظيفعل "(١) .

ثم نشر الشريف منشورا ثالثا(٢) هاجم فيه سياسة الاتحاديين وجعل عنوانه الآية القراءية الكريمة " قل هذا سبلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني " . وقد جاء هذا المنشور خاصا الى ابناء بلاده خاصتهم وعامتهم ، كبارهم وصغارهم حاضرهم وبانيهم بين فيه حفائق الامور التي كانوا فيها والتي صاروا اليها من الدين والقومية ثم حمد الله على انه لم يبق امر هولاء الاتحاديين خاف على احد من تلاميذه بالدين وما اطروا منه وما حرموا . ثم شرح ما قام به لدفع الاذى عن المسلمين وديار المسلمين بعد ان بذل النصح لرجالهم في الاستانة بمكتبات محفوظة لديه صورها ، واستدل على ذلك باحاديث نبوية شريفة منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني (إيما وأن ولی شيئا من امر امتي فلم ينصح لهم كتصحه للنفس كله الله تعالى على وجهه يوم القيمة في النار) ، ثم ساق الشريف ضرورة الاذى والظلم الذي لحق عرب الشام والعراق وأهل المدينة المنورة من الاتحاديين والوحشية الطورانية . ثم استعرض الشريف هذه الامة في بلاده الى العمل على حفظ ما بانيتهم من نعم الله السابقة والاستمرار فيما اخذوا به من اسباب التهوين والتقدم ووصف عصره بأنه زمان جد وعمل . واختتم منشوره بقوله : " وانه لم يبق لاحد

(١) للتفاصيل حول نص المنشور الثاني ، انظر جريدة القبلة العدد ١١ السنة الاولى ٢١ ذي العقدة ١٢٣٤هـ (١٩١٦ اغسطس) ، ص ١١ ، الصواب ، المصدر السابق ، ص من ٢٧٧-٢٧٨ . وقد جاء في جريدة القبلة بان المنشور الهاشمي الثاني قد اتى على بيان تفاصيل الحفائق المتعلقة بالاتحاديين وسبابها بكل اوجهها الادارية والعسكرية والسياسية ، وقد لشار ذلك الى ان المخابرات كانت دائرة بين مكة المكرمة والاستانة لمي هذا الشأن . وان (الشريف حسين) صارحهم بكل النتائج المنتظر حدوثها اذا هم تهوروا (بالمجاز) نحو تلك الهلوسة السعيدة . ولا بد ان نصوص تلك المخابرات محفوظة في الوائل في الاستانة كما هي محفوظة في اللام للديوان الهاشمي العالي انظر جريدة القبلة ، العدد ٣٩ السنة الاولى ، ٣ ربيع الاول ١٢٣٥هـ .

(٢) يلاحظ ان المنشور الثالث لم يورد له تاريخ ، انظر جريدة القبلة السنة الاولى ، العدد ٣١ ، ٤ صفر ١٢٣٤ (١٩١٦ نوفمبر) ص ١ .

عذر في التقصير بشيء من اسباب الارتجاه ... " واستشهد بالأية القرآنية لكريمة " وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنين "(١).

وفي ضوء ما نقدم يمكنا القول بان الشريف حسين قد وضع برنامج الثورة في اول بياناته واهما - ونائذ المسلمين ان يقتفوا اثره ويحدو على مثاله ، وكما يتضح انه استند في منشوراته على دعامتين القومية والدين ، على الرغم من ان الحديث عن الاسلام علب على الاول بعض الشيء ، لأننا ادركنا بان ثورته كانت اسلامية قومية فقد هاجم في بياناته الاعمال المنافية للإسلام التي قام بها الاتحاديون ، وعد امثاله منها ، كما ندد بالطغيان المتعسف التي قامت به عصبة انور وجمال وطلعت وعدها المسئولة المباشرة عن اعمال الارهاب والاعدام في بلاد الشام وعن جرائم اخرى ضد الاسلام والعرب . واعلن صراحة وبوضوح بان ثورته هي واجب ديني وقومي وفرصة منحها الله لبلوغ الاستقلال ، وكان يخت ببياناته بدعة جميع المسلمين في العالم اجمع الى ان يتلقوا حوله نظرا لما له من حق في اعتاقهم لكونه امير مكة المكرمة وشريفها اولا ، واحكامها لرابطة الاسلام ثانيا ، والواقع يحتم علينا القول ان قيمة هذه البيانات لم تكن فيما سرده من مسوغات الثورة ، وإنما كانت قيمتها الحقة في استئثار المسلمين عاملا للثورة على الاتحاديين ، وبذلك حطم فكرة الجهاد الاسلامي التي كانت تستند اليها الدولة العثمانية في حربها ضد الحلفاء .

وقد اعترف جمال باشا بهذه الحقيقة في خطاب القاء بدمشق بعد اشهر من اعلان الثورة ، اثناء مأدبة اقيمت تكريما لرئيس مجلس الشورى العثماني ، وكان نص هذا الخطاب قد نشرته جريدة (الشرق) في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٧ ، يدل على ان جمال باشا كان في فورة باللغة من التبجح والغضب ، وفيه يقول : " من المؤسف ان امراءا دينينا قد عطلوا الجهاد المقدس في صميم الارض الاسلامية المقدسة ، حيث حالف القوى المسيحية التي تسعى الى ابتزاز العالم الاسلامي "(٢).

(١) للمصدر نفسه ، ص ص ٢-١ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٨-٢٧٩ .

(٢) لاطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

وأشار الامير فيصل الى الاسباب التي قادت الى قيام الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ بقوله : "لقد ساد الاتراك ستمائة سنة هدموا خلالها صرح المجد الذي اقامه اجداننا وارادوا ان يطفئوا نار العرب ... نحن العرب نمنا ستمائة سنة ولكننا لم نمت ، ولما اعلن الاتراك التغير العام انوا باعمال تثيراً منها الانسانية ، لا نرى لزوماً لعدها ، وكانت العرب تطالب الاتراك بحقوقها فاختتموا الفرصة التي مكنتهم من الانتقام من العرب . ولقد رأى والدي ان دولة الترك لا تعمل لاجل دين او عمل عام ينفع البلاد وانها اعلنت جهادها مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها مثل العرب" ^(١).

اما عن الشعار الثورة فيذكر الامير فيصل ، بأنه قد اصطلاح مع نسيب بك البكري عند عودة الوفد من المدينة على نص خفي لبرقيتين احداهما ترمز الى اعلان الثورة وضرورة هروب الثوار من دمشق ، والاخري ترمز الى تأجيل ذلك . ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً الى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقيه من الامير هذا نصها :

دمشق - نسيب البركي

"ارسلوا الفرس الشقراء" ^(٢)

وكانت هذه البرقية اشعاراً بيدء الثورة حسب الاتفاق ، ومن حسن الحظ ان جمال باشا لم يكن حينئذ في دمشق بل كان في القدس ، وبذلك تمكّن آل البكري

(١) طلس ، المصدر السابق ، ص ٦٥ : كريم ثابت ، فيصل ١ (المكتبة العصرية ، بغداد ، ١٩٣٣) ص ٨٤-٨٣ .

(٢) انظر موسى ، الحركة ، ص ٢٦٨ ، بينما يذكر حمادة وظبيان في كتابهما ، ص ٧ بيان بهذه اشعار الثورة حسب ما جاء في برقيه الامير فيصل الى نسيب البكري "ارسلوا الفرس الصفراء" والارجع هو ما ذكر سليمان موسى لتوابع المصادر في صحة ذلك ومنها موسى ، الحرب ، ص ٤١ .

ويعضن رجال فيصل من الهروب ، وفي ذلك اليوم اطلق امير مكة العكرمة وشريفها
الحسين بن علي الطلقة الاولى ایذانا بالثورة^(١) .

(١) حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، من من ٢٧-٢٨ ابراهيم سليم النجار ، الملك فيصل
الارول بغداد ، بلا تاريخ من من ٢٨-٢٩.

٤ - الاتحاديون والثورة العربية :

اصيبت الحكومة الاتحادية بالذهول عند ابلاغها نبأ قيام الثورة العربية في الحجاز فمنذ الساعة الاولى لاعلان الثورة باطلاق الشريف رصاصه من شرفة قصره على التكنة العسكرية في مكة المكرمة^(١) ، ادرك درويش بك قائد الجندي التركي في المدينة بحراجة موقف ، وخطورته مع قواته الذين كانوا يقومون بتمريراتهم الرياضية المعتادة بدون سلاح او استعداد ، اذ لم يكن عندهم علم بالحركات الدائرة حولهم . فعند درويش بك الى الحيلة لانقاذهم^(٢) ، فخاطب القائد التركي الشريف حسين بالهاتف سائلا عن السبب الذي ادى الى هذا الهجوم . فاجابه الشريف " ان العرب لا يرضونكم حكاما عليهم بعد ما قتلتموهن واهنتموهم وعاديتموهم ، فأجا به : ما دام الامر كذلك فارسل من قبلك مامورا مدنيا لكي نسلمه السلاح والجنود فلنحن لا نريد ارقة الدماء"^(٣) .

واجاب الشريف حسين الطلب ، وارسل الشريف شرف عبدالمحسن البركاتي لمقابلة درويش بك ، واستلام التكنة ومن فيها . فقال له هذا : " لا بد من دخول الجندي الى التكنة لاتمام عملية التسلم ، ولما كان ذلك غير مستطاع قبل ان يكف الثوار عن اطلاق النار ويرفعوا الحصار ، فارجوك الاليعاز اليهم بالانصراف فتدخل سورية ونجري العملية المطلوبة " ، فانخدع الشريف وامر الثوار بالتفرق ، فدخل الجندي التكنة

^(١) Bermond, Op.cit., P 31 .

^(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

^(٣) موريض ، المصدر السابق ، ص ٤٦ ، موسى ، الحسين ، ص ص ١٢١-١٢٢ ، سعيد ، الثورة ج ١ ، ص ١٤٧ .

فوراً وتقلدوا سلاحهم ، واخذوا أهبيهم للقتال . وحضر أحد الضباط العرب الشريف فنجا بنفسه^(١) .

وكان جمال باشا اشد الاتحاديين حسراً وتلماً لانه ادرك انه كان مخدوعاً وادرك انه لم يحسن التصرف مع الحسين وابنائه الذين افلتوا من يده بعد ما أخذوا المال والسلاح^(٢) . وكاد جمال باشا ان يرسل بذائب دمشق فارس الخوري الى المشaque ، لانه لم يبلغه عبارة عابرة كان سمعها عن استعداد جماعة من الناس للانتقام لشهداء ٦ مارس ١٩١٦ كي يتلاقي "الخطب قبل وقوعه لأن فيصل كان في قبضة يدي يراوغني ويخدعني فكان في امكانى ان اقبض عليه . وكان اخوه علي في متناول يد الحكومة في المدينة . فلو انك اخبرتني كنت حجزتهما رهينة عندي فلا يجرؤ ذلك الشيخ الخرف (كذا) والدهما على اعلان العصيان وولدهما في قبضة يدي "^(٣) .

وكان محافظ المدينة المنورة بصري باشا اول من تنبه الى هذه الحقيقة ، وكان يدعو الى الفتاح بالشريف وابنائه ويشير باتباع سياسة الشدة والحزم في الحجاز فقال كلمته المأثورة "لقد انتصر الذكاء العربي في هذه المعركة على الذكاء التركي وفاز عليه"^(٤) .

وفي ١٥ حزيران ١٩١٦ ، اذيع خبر الدلاع الثورة العربية في الحجاز من قبل الحكومة العثمانية في دمشق^(٥) ، حيث نشرت بлагаً بهذا الشأن نص على ما ياتي :

(١) موسى ، الحسين ، ص ١٢٢ ، نشر الوصف التفصيلي للعمليات الحربية منذ اعلان الطلاق الأولى في جريدة القبلة ، العدد الأول من السنة الأولى ، ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ ١٥ اغسطس ١٩١٦ ص ص ٢-١ .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٣) موسى ، الحركة ، ص ٢٨٠ .

(٤) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ص ١٥٨-١٥٧ .

(٥) حول البلاغ ، النظر ملحق الدراسة ، ملحق رقم (٢) .

" اعتدت بعض العصابات المؤلفة من ذوي الطمع والفساد ، ومن بعض جماعة العريان وقد استهلاوا بالمال على بعض المخافر المجاورة للمدينة المنورة بالسلاح ، وخرموا التلغراف وسكة الحديد ، فسائلت القوى العسكرية الى التكيل بذلك العصابات الواقفة على الطريق ، وتمكنلت من دخول المدينة وشرعت في اصلاح السكة ، كما انشأت دارا للمخابرات اللاسلكية في المدينة تجري المخابرات بواسطتها . وفي الليلة البارحة زحفت قواتنا العسكرية على العصابة المجتمعين والمتخصصين في موقع الحسا (اول مرحلة للحاج السائر من المدينة الى مكة وتبعد عن الاولى ثلاثة ساعات وتسمى بير على ايضا) بجوار المدينة ، واستولت على الواقع التي كان ممتنعا بها العصابة المذكورون وطردتهم منها بعد تبدد شملهم . وقد تبلغنا بررقية من محافظ المدينة تشعر بان اهل المدينة سروا سرورا عظيما بما وقع وهذا نصها : ولقد سر اهل البلدة الطيبة قلبا وقالبا بمحو القبائل الباغية والتکيل بها في المعركة الشديدة التي دارت امس واعادت الراحة الى ربوعها ، كما ان هذه الحادثة قد اثرت تأثيرا عظيما في العريان المجاورة . وننتهي الى الله بتوالي توفيقات دولتكم " ^(١) .

ولاشك ان للثورة العربية ضربة لها تأثيرها الواضح على الاتحاديين ، الذين حاولوا في اول الامر اخفاءها ^(٢) ، والظهور بمظهر عدم الاكتراث والاهتمام والتذكر بأنهم مغلوبون على امرهم في البلاد المقدسة ، بل انهم لا يكادون يسمحون لاحد ما بالغوص في الحديث عن الثورة ^(٣) . ولم تصدر رأية اشارة في الصحف العثمانية الا

^(١) حول نص بلاغ السلطات العثمانية في دمشق عن اندلاع الثورة العربية في الحجاز ، لنظر الصوف ، المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

^(٢) دلجمون ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

^(٣) جريدة القبلة ، العدد ١٢١ ، السنة الثالثية الخميس غرة المحرم ١٣٣٦ هـ .

في ٢٩ حزيران أي بعد ٢٤ يوما من اعلان الثورة الفعلية و ١٩ يوما من اعلانها الرسمي ، وجاء فيما نشرته صحيفة الشرق الرسمية بان " بعض الفئات القبلية هاجمت بضعة مراكز في جوار المدينة " ، الا انها لم تذكر شيئا عن الشريف او عن احتلال مكة المكرمة وجدة . وبقي امر الثورة في طي الكتمان حتى ٢٦ تموز حيث سمحت الحكومة لجريدة (طنين) الصادرة في الفلسطينية ان تنشر على الناس صورة مشوهة عن الثورة . وظللت الصحافة العثمانية على مدى عدة اشهر تسمى ثورة الشريف عصيانا فرديا اثارته مؤامرة بريطانية^(١) .

ولكتنا للمس اثر الثورة العربية على الحكومة الاتحادية من خلال ما افصح به جمال باشا في مذكرة يقوله : " وعندى ان الضريات التي وجهها الى صميم الاسلام زعماء المغاربة بانضمائهم الى الدولة المسيحية ليست شيئا مذكورا اذا قياسها بالمحنة التي نزلت بالخلافة من الشريف حسين " ^(٢) .

والقى جمال باشا خطبة بين فيها علاقته بالشريف حسين واولاده منذ وصوله الى دمشق ، وقال " ان السبب الباعث على اشتراك العربان مع العصاة (الحسين واولاده) بسيط جدا لان العربان جاهلون يظنون ان كل يد تعطيهم الخير يجب ان تقبل . فحركتهم مهما كانت مخالفه للدين والشهامة فاني اراهم معذرون ان هولا العربان قد استمالهم الانجليز بمقاييس وافرة من الارز والسكر والحنطة ومقدار قليل من الذهب ، ولو تمكنت من اعطائهم الارز والسكر والحنطة والذهب المعطى لهم من الانجليز لكانوا اليوم في جانبي ، اذ انهم متى رأوا الفسحه في نجوى من الجو يستغفون عن الانجليز بتاتا ، ولكن مع الاسف عدم مساعدة القطارات للنقل وتخصيصها للجيش الذي يحارب العدو الحقيقي للعازم على ضبط سوريا وفلسطين

^(١) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ .

^(٢) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ . ويبدو ان هذا الاثر بقى حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى ، اذ نلاحظ ان الخليفة عبدالمجيد يكتب رسالة في سنة ١٩٢٣ يوجهها الى العالم الاسلام جاء فيها : " في الوقت الذي كان ينفي المسلمين ان يعملوا بما واحده هـ الشريف حسين العـا الاسلامي باعلانه الثورة " ، للتفاصيل انظر زين ، المصraig ، ص ٧٢ .

معنى من ارسال المقادير الازمة لاولئك العربان " . وينصيف جمال في خطبته لقد بعثت اخيرا الى الشريف الحسين كتابا " افهمته فيه حرج موقفه بواجهاته الدينية راجيا من الله جل وعلا ان يلهمه الصواب " ^(١) .

وهكذا نلحظ ان جمال باشا يحاول التقليل من شأن ايمان واخلاص الثوار بثورتهم وبقادتهم الشريف حسين بن علي .

وقد أمر جمال باشا قائدة في المدينة فخري باشا بتشكيل وفد لاستمالة شيوخ القبائل الى جانبهم ، وعلى الفور شكل فخري باشا وفدا هم محمد فوزي العظم وعبد الرحمن اليوسف والشيخ اسعد الشقيري ، الذين سافروا الى المدينة لمقابلة شيوخها لغرض اقناعهم بالبقاء على ولاء الدولة العثمانية والانضمام الى جيوشها ولكنهم فشلوا في مهمتهم . كما قابلو قبائل البدو الضاربة في صحراء الشام وحاولوا اغرائهم بالاموال مقابل اعلان ولائهم للدولة ، فاستهزأ المشايخ منهم واحتذوا بهم بكل اخلاص وصدق في خدمة الشريف حسين ، وما يدل على ذلك تطوعهم في جيش الشريف واقتناعهم بعض اجزاء سكة حديد الحجاز ، وبعد ان ظن الاتحاديون ان الخط الحجازي سليم وان قطاراتهم ستصل الى المدينة المنورة أصبحوا اذا بالخط مقطوع وبالجسور محطمة ويقبائل البدو تخدم الشريف باخلاص ^(٢) .

ويبدو ان آثار الثورة العربية كانت لها بصمات واضحة على شخصية طلعت باشا ايضا ، ويتبين الامر من تصريحه الذي جاء فيه ، " نحن لا نحترم الا رماة القبابل وحملة الديناميت ، والعرب لا يستحقون احترامنا واهتمامنا ، لأنهم ليسوا من ولاء ولا من اولئك " ^(٣) .

(١) للتفاصيل انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦ .

(٢) للتفاصيل انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٢٣ ، الخميس ، ٦ محرم ١٣٣٥ .

(٣) جريدة القبلة ، السنة الثانية ، العدد ١٣٠ ، الاثنين ٤ صفر ١٣٣٦ .

وفي ١٨ حزيران ١٩١٦ عمد رجال الاتحاد والترقي الى استصدار فرمان من السلطان محمد رشاد بتعيين علي حيدر^(١) في منصب الشرافة أي أميرا على مكة خلفا للشريف حسين^(٢) ، وما جاء في فرمان السلطان العثماني ما نصه "حسب الإيجاب وبناء على وقوع انفصال الشريف حسين باشا أمير مكة المكرمة ، ولتأمين خدمة الحرمين الشريفين هذه الوظيفة المقدسة التي هي اسمى الوظائف الأساسية لدينا ، وقد وجهنا امارة مكة المكرمة مع رتبة الوزارة السامية الى عهده الشريف علي حيدر بك الوكيل الأول لرئاسة مجلس الأعيان ، وبذلك لما توفر فيه من اللياقة والكمال الذاتي واتصاله بحسن السلوك والسيرة والتجارب ، وكفايته لهذه الوظيفة المقدسة ..." .

وأدرك الشريف حسين الى السلطان محمد رشاد في ١٢ تموز ١٩١٦ ، قائلاً " ان هذه البلاد باعلن الثورة والاستقلال ، لا تتنكر للاعمال العظيمة والعناء الخاصة التي خصتها بها البلاد الاسلامية والتي قام بها اسلاقكم من عظام السلاطين . ولكن هذه البلاد ترحب في الجهر بعدائها ضد الاتحاديين المتأمرين الذين حاولوا استغلال العلاقة الدينية المذكورة في المنشور العام ، وايضا الغاء الامتيازات والحقوق التي اعلنها اسلاقكم العظام منذ ستة عشر سنة ، والله يعلم مدى احترامنا وعظمي تدبرنا لشخصكم الهمایونی السامي وللسلطنة العثمانیة^(٣) .

ومن الطبيعي ان يقدم الاتحاديون على عزل الشريف حسين وتوليه أميرا بدله من اسرة زيد ، عملاً ، على ما يبدو بسياسة ضرب القبائل الحجازية بعضها البعض وهي سياسة تتبع من المبدأ السياسي المعروف باسم (فرق تسد) . لا سيما اذا علمنا ان الشريف الجديد علي حيدر معروفا بتسلمه للاتحاديين وموالاتهم في جميع ادوار

^(١) تزوج الشريف علي حيدر من امرأة ايرلنديّة اسمها (ايزابيل دون) التي اعتنق الدين الاسلامي لتصبح الاخيرة فاطمة حيدر ، انظر : Bermond, Op. cit., P.11.

^(٢) الطوليوس ، المصدر السابق ، ص ٣١٢ ، للعمري ، المصدر السابق ، ص ٢٧-٢٨ .

^(٣) للتفاصيل انظر ، العمري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨ . انظر ملحق الدراسة ، ملحق رقم (٥) .

^(٤) من الشريف الى السلطان محمد رشاد في ١٢/٧/١٩١٦ ، انظر موسى ، المراسلات . ص ٧٩

حياته. فقد سبق له ان تقلد منصب وزير الاوقاف في الاستانه . وقد اضفى عليه رجال الحكم في الاستانه الكثير من مظاهر التكريم ، لمسافر من الاستانه في قطار خاص الى دمشق ، ثم قصد المدينة المنورة التي كانت في يد الدولة العثمانية ، والتي اتخذ منها مقراً لولايته^(١) وقد بلغها في شهر ايلول عام ١٩١٦ ، مع حاشية كثيرة واكياس من الذهب ، وكان معه شقيقه الشريف جعفر باشا^(٢) ، وكانت مهمة على حيدر بث دعائية واسعة للاتراك بين اوساط القبائل الحجازية ، وذلك عن طريق اتفاق الاموال لاستمالتهم واغرائهم على الانفصال عن الشريف حسين^(٣).

روج الشريف علي حيدر منشوراً الى اهالي العجاز ، بين فيه قيمة الحجاز التاريخية من ظهور الاسلام وبعد مضي ١٢ قرناً من الزمان عليه ، وما مرت به من احوال كثيرة وادوار مختلفة ، من بسط وقبض ورفع وخفض وزلزال وتمكين الارض. ورغم ذلك كله بقى الحجاز يكرا من المالك لم يطمعها فائح . وبين بعد ذلك الشريف علي حيدر ما لحق بمصر والسودان والهند وبعض البلاد الاسلامية الاخرى من الاستعمار البريطاني الذي نجا منه الحجاز وذلك حرمه من الله تعالى لبيته العظيم ومعجزة لصفيه صلى الله عليه وسلم . وخلص الشريف حيدر من ذلك بان الشريف حسين قد اضاع حرمة الحجاز ومجلده في الاستقلال بتحالفه مع دولة مسيحية تفرض حمايتها على بيت الله ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي في ذات الوقت محاربة لدولة الاسلام الدولة العثمانية . ثم بين الشريف حيدر في منشوره مساويه الانجليز ومعاملتهم الذليلة مع حلفائهم ونقضهم العهد . تم اوضح الفرق بين اتفاق الدولة العثمانية والمانيا وما استهدفت من ضرب الاعداء المسيحيين ببعضهم ، والفرق بين حلف الشريف حسين وبريطانيا والذي يخول للمسيحيين ضرب الدولة العثمانية لالمسلمة ، وبعد ذلك اوضح الاسباب التي جعلته يتقبل امرارة مكة المكرمة

^(١) لم يستطع الشريف علي حيدر متابعة سفره الى مكة ، وذلك لأن الثورة كانت نشبت فيها ، انظر زين ، الصراع ، ص ٧٧ .

^(٢) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

^(٣) الصواب ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

وهو اشفاقه على الحرمين الشريفين من لوث مداخلة الاعداء . ثم اهاب بأهالي الحجاز ان يلبوا دعوة القرآن ودعوة السلطان ودعوة اجداده بنى زيد بأن ينفروا لقتل العساكر المنفذة لاوامر النصارى الانجليز . واختتم الشريف منشوره بآيات من القرآن الكريم^(١).

وردا على قرار الاتحاديين القاضي بعزل الشريف حسين عن امارة مكة المكرمة ولشرافتها وبعد ان ثبتت الثورة اقدامها بسقوط الطائف^(٢) ، قرر علماء مكة المكرمة وزعماؤها والسوريون الموجودون في الحجاز يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩١٦ بانشاء دولة عربية رسميا والمناداة بالشريف حسين ملكا عليها بلقب "ملك البلاد العربية"^(٣) . بعد ان وجهوا خطابا الى العالم الاسلامي يحملون فيه على مظالم حكومة رجال الاتحاد والترقي . وكان مما جاء في خطابهم ان بدأوا بالالية الكريمة : "فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون" . ثم بينوا في خطابهم قيمة العلم والعلماء في خدمة الشرع الشريف والغيره على الدين الاسلامي وخلصوا من ذلك باظهار قيمتهم الدينية الخالصة التي تؤهلهم لتقديم النصح والارشاد للMuslimين عامة ، واطلاعهم على اعمال الفئة المتغلبة على مملكة آل عثمان الكرام وما تعلمه من المنكرات في بلادهم وما جرته من المصائب على اوطانهم . ثم اخذوا يهاجمون المسلم الذي يحكم على نهضتهم دون التعمق والبحث عن الدواعي والاسباب

^(١) حول نص منشور الشريف على حيدر الى اهالي الحجاز ، انظر العمري ، المصدر السابق ج ٢ ص من ٣٦-٢٠ . انظر ملحق الدراسة ، ملحق رقم (٦) .

^(٢) نشرت جريدة القبلة ، تفاصيل امر تعليم الجنود الاتراك المخاصورون في الطائف بتاريخ ٢٢ ايلول ١٩١٦ ، والذي بلغ عددهم ١٨٠٠ جندي وخمسون ضابط وعدد كثير من الموظفين ومعهم تسعة مدالع ونخائر من كلة الانواع ، وبذا خاطبت جريدة القبلة الحكومة التركية بالقول : "فليعلم الجالسون على صنافيف البسفور والجاثمون وراء الاسوار والقلع والمقررون بما عندهم من الات للحرب ، ومختبرات الطعن والضرب . ان جيوشهم مخذولة وقواهم مدمورة وجبروتهم مستأصل وان الله معنا لأننا جد وحبيبه" . التفاصيل انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ١٣ الاثنين ٢٥ ذي القعده ١٣٣٤ .

^(٣) موسى ، الحركة ، ص ٢٨١ . انظر ملحق الدراسة ، الملحق رقم (٣) .

التي ادنت الى قيام النهضة حيث قالوا : (فيجب على المسلم الذي يجب ان يخوضن في هذا الامر ان يبحث عن دواعيه واسبابه ، وان يتحقق ما هيءة المنكر الذي نهضنا لازله بآيدينا بعد ان ينسنا من ازالته بالستنا ... أما نحن فقد علمنا علم اليقين ، ان تلك الفتنة المتغلبة قد عصيت الله معصية عامة لم يخف فضاعتها نصيحة الناصحين) . ثم طلبوا من يعترضون عليهم من العالم الاسلامي ان يرسلوا من يعتمدون عليهم الى الاستانه عاصمة الاتحاديين ليشاهدو بأعينهم كما شاهد كثير منهم بأنفسهم وجود المخدرات من المسلمات التركيات موظفات في دوائر البريد والمالية بوظائف الرجال ، بكامل البهرجة والزينة والجمال . ثم قالوا : " ونحن ليس من عرضنا بيان ما ألم به أمر الاسلام على أيديهم ، فما ذلك من واجب كل مسلم البحث عن حقائقه بنفسه ، وحسبنا ان تخبركم بأننا رأينا أنفسنا امام امرين مختلفين تمام الاختلاف : أحدهما ارضاء هذه الفتنة المتغلبة على المملكة العثمانية باغضاب الله تعالى ، والثاني اغضابها برضائه تعالى ، فاثرنا الاخرة على الاولى . ورضي الحق على رضى الخلق " . ثم ختموا خطابهم بقولهم : " اتنا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه بأننا لا نعلم اليوم ملكا من ملوك المسلمين اتقى الله من ابن رسوله المتبوء عرقه الملك على البلاد العربية ولا أشد خوفا من الله وتمسكا باوامره واقامة لشعائره قولا وعملا ، ما قدر على النظر في امورنا بما يرضي الله عز وجل . والعرب إنما يليغوه ملكا عليهم لما رأوا في ذلك من صلاح دينهم ودنياهم " ^(١) .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٦ ، حضر جماعة من الأشراف والعلماء ومشايخ ورؤساء البدو والزعماء الى مجلس الشريف حسين الخاص الملحق للكعبة ويايوجه ملكا على العرب ، واتبعوا في هذه البيعة قواعد الشريعة الاسلامية الفراء ^(٢) لا سلم الشيخ عبدالله سراج مفتى الحنفية في مكة الى الشيخ فراد الخطيب كتاب البيعة

^(١) التفاصيل حول خطاب علماء مكة المكرمة الى العالم الاسلامي ، انظر جريدة القبلة ، السنة الأولى العدد ٢٧ الصادر في ٢٠ محرم ١٣٣٥ ، من ص ٢-١ . انظر ملخص الدراسة ملحق رقم ^(٤) .

^(٢) المصواف ، المصدر السابق ، من ٢٨٥ .

للملك ، فثلاثة على الجماهير المحتشدة ، ثم نهض الشيخ عبدالله سراج فبایع الحسين بالملك ، ولقبه بملك البلاد العربية ، وتبعه الناس بالمبایعة^(١) .

وخطب الملك حسين بالمبایعة خطاباً وجیزاً قال فيه : " انتي اقسم بالله العظيم انتي لم أرد هذا الامر الذي تكلفوتنی به ولم يخطر على بالي عندما قمت معكم بنھضتنا السعيدة . ولكنني رأیت كما رأیتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسمی ر بما قضی علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته "^(٢) .

وما ان تمت المبایعة حتى تقدم الشيخ فؤاد الخطيب بصفته نائباً عن اهل سوريا " فبسط لدی جلالته (الملك الحسين) آمال سوريا العربية ... من اجل الوحدة العربية " وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتعصبين " برعاية جلالة سيد العرب وملکها " . وبایعه بعد ذلك اسوة بسائر العرب على كتاب الله وسنة رسوله . ومعنى ذلك ان المبایعة لم تكن مقصورة على الحجاز فحسب وإنما شملت ايضاً سوريا العربية ، التي مثلها في حفل المبایعة الشيخ الشیخ فؤاد الخطيب ولعل منظمي هذا الحفل قد استهدفوا من اشراك الشیخ الخطیب تأکید لقب ملك البلاد العربية ، بأنه يمتد فیشمل في مرحلته الاولى الحجاز وسوريا^(٣) .

وفي اليوم التالي اتخذ الشریف حسین الاجراء التتفیذی بانشاء وزارة اطلق على كل وزير لقب وكيل باعتبار الوزراء وكلاء عنه في ادرة مصالحهم^(٤) .

(١) حول نص كتاب الپیعۃ ، انظر موسی ، الحسین ، ص ١٥٩ ، عبدالله بن الحسین ، مذکراتي ص ١٣٦ .

(٢) حول نص خطاب الملك حسين بن علي يوم الپیعۃ ، انظر جریدة القبلة السنة الاولی ، العدد ٢٢ ٣ محرم ١٣٣٥ هـ ، ص من ١-٢ .

(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

(٤) تألفت الوزارة العربية في الحجاز مما يأتي :

- علي بن الملك حسين رئيساً للوكالء أبي بمثابة رئيس الوزراء .
- عبدالله بن الحسين وكيلًا للخارجية .
- فیصل بن الحسين وكيلًا للداخلية ويعین وكيلًا علیه اخوه عبدالله .
- عبدالعزیز بن علي رئيس اركان حرب ووكيل رئيس الجند .

وفي اليوم نفسه سارع الامير عبدالله بن الحسين ، بصفته وزيرًا للخارجية ابلاغ التقب . وهو ملك البلاد العربية ، الجديد الذي اتخذه والده الى وزارات خارجية دول الحلفاء والدول المحايدة عن طريق البرق ، طالباً منها الاعتراف باللقب الجديد^(١).

- الشیخ علی مالکی وکیلاً للمعارف .
- الشیخ یوسف بن سالم وکیلاً للمنافع العمومیة .
- الشیخ محمد امین وکیلاً للأوقاف .
- الشیخ احمد باناجة وکیلاً للمالیة .
- كما عین الشیخ عبدالله سراج مفتی الاحناف فی مکة فی منصب قاضی القضاة ووکیلاً عن رئیس الوکلایم ، للتفاصیل انظر موسی ، الحسین ، ص ١٦٠ ، الصواف ، المصدر الساقی من ٢٨٨ .

^(١) نص بلاغ خارجية حکومة الحجاز علی ما یاتی : " بملء السرور ، ابلغ سعادتکم ، ان الفاضل البلاد ووجهانها وعلمائها وكافة طبقاتها ، قد اجمعوا صباح هذا اليوم ، واقروا بالاتفاق الاراء مبایعة حضرة صاحب الجلالة والسيادة مولاي الشريف الاعظم حسين بن على بالملك على الامة العربية . فهو اليوم ملك العرب الاعظم . بناء على ما تحققته البلاد من كفائتها وخلاصه الحقیقی للوطن ورثیته الصادقة لی نشر الریمة العلم والعدل فی جميع ارجاء هذه البلاد العربية ، التي خدرتها حصبة الاتحاد والترقی المعرفة لدى العالم بأسره بالمساعی والمقاصد المخللة لكل شریعة ونظام ، ولتعتمدھا استتصال کیان البلاد المادي والمعنوی ، المنشودہ اثارة فی طائفة غير قليله من مسلمین ومسيحيین ودروز ، منن لا ذنب لهم غير وطنیتهم الصادقة ولجانبهم العلمیة . وإن الامة العربية لتود من سعادتکم اعتبارها عضوا عاملما فی الهيئة الاجتماعیة ، كما شیدت ذلك بعلیة الله " للمزيد من التفاصیل جریدة القبلة ، السنة الاولى العدد ٢٢ ، ٣ محرم ١٣٣٥ .

وفي ١٤ تشرين الثاني زار ابن عزوز احد رجال البعثة الفرنسیه الملك حسين ، وسلمه كتابا من الحكومة الفرنسیة جاء فيه انها تعریف به ملکا على الحجاز ، وان يكون لقبه هکذا " جلالة ملک الحجاز " ورد عليه الملك بأن میاستی ستكون مخلصة تجاه حکومتک المخلصة ، وانلى السلم لك پشرفي انلي لن اعمل أي شيء مهما كان شله ان يضر بالمصالح الفرنسیة فی بلدي او خارجه . وانلى افضل ان اعزّل السلطة على ان افعل ذلك . انلى لن اكون كالاتراك جائدا نحو فرنسا وانجلترا . وسأعید هذا بصوت عال على مسامع الكولونیل برموند فی جدة ويشیر-

وأصدر الامير عبدالله وزير الخارجية بلاغا رسميا الى الرعايا العثمانيين في الحجاز جاء فيه : " بما ان الحكومة السنية الهاشمية في حالة حرب مع الفئة الطورانية المتنقلة على الحكومة العثمانية ، فيجب على كل الاشخاص التابعين لتلك الحكومة (العثمانية) مهما كان جنسهم ان يبارحوا البلاد الحجازية واذا ارادوا البقاء على تابعيتهم الاولى ومن اراد منهم البقاء في هذه الديار بشرط قبول تابعيتها فليراجع ديوان الشرطة ويقيد اسمه ولقبه ومهنته ومحل اقامته مع الكفالة الرسمية " (١).

ومن جهة اخرى قام الملك الحسن بن علي بتوزيع (٥٠٠٠) جنية على اهالي العجاز من معوزيهم وفقرائهم ، وذلك محاولة منه لتخفيض الضيق الذي ألم بهم من جراء ظروف الحرب العالمية الاولى (٢).

اما الشريف على حيدر فقد فشل في مهمته لاستمالة القبائل الحجازية عامة وأهل مكة خاصة الى جانب الاتراك ، اي انه لم يترك اي اثر يذكر في تحول الموقف لصالح الاتراك ، خاصة وان الثورة العربية قد رسخت اقدامها منذ ان احتلت قواتها " الوجه " في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٧ ، وبذل استحالة على الاتراك السيطرة على مكة المكرمة (٣) . ولذلك اصدر جمال باشا قبل ان يغادر الشام امرا باستدعاء علي حيدر من المدينة المنورة . فعاد الى دمشق في اوائل شهر مارس ١٩١٧ بعد ما قضى هناك نحو ثمانية اشهر ، وكان فخري باشا هو الذي كتب الى جمال باشا طالبا اجلاء الشريف ومن معه ، لاله تبين انه لا فائدة ترجى منهم " فهم مجردون من كل نفوذ بين العربان ، كما ان ابقاءهم يؤدي الى زيادة النفقات والاعباء " . وكانت المدينة في حالة حصار تقريبا ، فأبلغ بالطف لزوم سفره فغادر طيبة بقطار خاص يحرسه عدد

- بريموند بأن الموقف الانجليزي لا يختلف عن موقفهم . للمزيد من التفاصيل انظر Bermond, Op.cit.,P 77.

(١) جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٢٠ الاثنين ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٥ هـ .

(٢) جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٢٢ الخميس ٦ محرم ١٣٣٥ هـ .

(٣) كان احتلال الوجه امرا لا بد منه للثورة العربية ، اذ انطلقت منها الثورة لتكميل سيطرتها على شمال الحجاز ، للتفاصيل انظر ما كتبه رئيس البعثة العسكرية الفرنسية ، الكولونيل بريموند عن أهمية ذلك الاحتلال كونه شاهد عيان : Bermond, Op.cit.,PP. 96-97

كبير من الجنود ومعهم مدافع ورشاشات للمحافظة عليه ، فضلا عن التدابير الخاصة التي اتخذت من المدينة الى تبوك . ولم يطل اقامته في دمشق بل اتجه منها الى لبنان ، حيث اقام في مصيف عاليه ، ولما شعر بأفول نجم الدولة غادر لبنان الى الاستانة^(١) . وعلى هذا النحو فشل مشروع الاتحاديين ، الذي اوكلوا مهمته الى الشريف على حيدر والقاضي بضرب العرب بالعرب ، بل وقفوا على ايمان العرب بقضائهم وخلاصهم لقادتهم الشريف حسين والاتفاق حوله من أجل تحقيق استقلالهم من السيطرة العثمانية.

(١) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص من ١٧٦-١٧٧ .

٣ - مراحل الصلح العثماني العجاري وانتهاء عمليات الثورة العربية :

ان الدور الكبير والفاعل الذي قامت به القوات العربية في الحجاز وبلاد الشام جعل القيادة العثمانية تدرك خطأ سياستها التي دفعت العرب الى اعلان الثورة ، مما جعلها تذكر في عقد الصلح مع الشريف حسين ، مستغلين كشف البلاشنة^(١) لاتفاقية سايكس - بيكو السرية التي عقدها الحلفاء فيما بينهم والتي تقضي بتشسيم البلاد العربية الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية^(٢).

استغل جمال باشا هذا الحدث التاريخي الكبير من اجل التقرب وعقد الصلح مع الملك حسين في اواخر تشرين الثاني ١٩١٧^(٣) ، وكان الملك يؤكد باصرار بأنه لم يسمع بوجود هذه الاتفاقية وبشر وطها الا بعد ستة اشهر حينما فضحها الشيوخيون في عام ١٩١٧^(٤) . وأكد ذلك في افتتاحية احد اعداد جريدة القبلة في مقال تحت عنوان (القضية العربية في دورها الجديد) وانه لو فهم من سايكس وبيكو بوجود ترتيبات تتنافي مع الاهداف العربية لتخلى عن تحالفه مع بريطانيا ، ووافق على عقد صلح منفرد مع الاتراك ، الذين وافقوا على استقلال العرب وتحقيق كافة مطالبهم بضمان

^(١) اول ما عمله الحزب البلشفي عندما استولى على السلطة في روسيا . اثر نجاح ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ (٧ تشرين اول عام ١٩١٧) وسقوط الحكم القيصري فيها ، ان نشر بعض الوثائق السرية الموضوعة في محفوظات وزارة الخارجية الفيцيرية ومن بينها نصوص اتفاقية سايكس بيكو . للتفاصيل انظر ، نيلتي وسمبسون ، المصدر السابق ، ص ٧٧ ، انطونيوس المصدر السابق ، ص ٣٥٨ ، موسى وثائق ، ص ٢٤٠ : Bermond, Op.cit.,P 146

^(٢) كتب الكثير عن اتفاقية سايكس بيكو التي عقدت في مارس ١٩١٦ بين روسيا وفرنسا وبريطانيا . للتفاصيل انظر انطونيوس ، المصدر السابق ص ٣٥٦ ، موسى ، الحركة ، ص ٣٥٠ Bermond, Op.cit.P197 وكان الباحث الروسي بوندرالسكي يطلق على اتفاقية سايكس بيكو بالاتفاقية المخزية . للتفاصيل انظر بوندرالسكي ، الغرب ضد العالم الاسلامي من الحملات الصليبية حتى يومنا ، ترجمة الياس شاهين ، موسكو ، دار التقدم ، ١٩٨٥ ، ص ٢٣٢ .

^(٣) حسن ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

^(٤) نيلتي وسمبسون ، المصدر الشيق ، ص ٧٧ .

العانيا . وذهبت الجريدة الى القول " لو ان المراد التربع على منصات المؤتمرات والتبجح على كراسيها ، لامضى جالة مولانا المنفذ معاذه فرسايل وما هي في معنى ذلك ... "(١).

جاءت عروض العثمانيين الاولى للصلح على يد جمال باشا في اواخر تشرين الثاني ١٩١٧ اذ بعث بثلاث رسائل الى القادة الحجازيين اثنتين منها الى كل من الامير فيصل ، وكان حينها في العقبة ، والى القائد جعفر العسكري وذلك بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٧ (٢) ، فيما كانت الثالثة للامير عبدالله ، والذي كان حينها في وادي العيص ، بتاريخ ٥ كانون الاول ١٩١٧ (٣).

وحاول جمال باشا ان يبرر في رسالته الى الامير فيصل عن اشتراك الدولة في الحرب على اساس انقاذ العالم الاسلامي من الاوضاع المتردية التي يعانيها ، وتأكيده بأن الثورة في الحجاز قد زادت هذه الاوضاع ترددا واضرت في وحدة الدولة وعلى الرغم من ذلك فان جمال باشا اراد ابقاء الباب مفتوحا لتسوية الامور سلميا بينهما ، وذلك ما جاء في رسالته :

" سيدني : اتنا نمر في هذه الايام بصفحات خامضة وحافلة بالشكوك من تاريخ الاسلام . ان الحكومة الحاضرة التي يقال ولا ادرى لماذا - انها (حكومة حزب الاتحاد والترقي) اشتركت في الحرب العالمية الاولى من اجل هدفين : اما تبديل الحياة الذليلة للعالم الاسلامي الى حياة اكثر قوة واستقلالا ، او نموت دون ذلك بشرف وكراهة . وقد توقعت هذه الحكومة ان يشارك العالم الاسلامي كله في هذا الرأي . ومن اجل

(١) جريدة القبلة ، العدد ٥٨٤ ، ٨ ايار ١٩٢٢ .

(٢) من احمد جمال باشا الى الامير فيصل ، ورسالة اخرى من الاول الى جعفر العسكري في ٢٦/١٢/١٩١٧ ، وثيقة رقم (١٠٠) ، (١٠١) ، انظر ، موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ١٥١-١٥٣ .

(٣) من احمد جمال باشا الى الامير عبدالله ، ١٩١٧/١٢/٥ ، وثيقة رقم (١٠٢) ، انظر المصدر نفسه ج ١ ، ص ١٥٣ .

الوصول الى هذا الهدف ، فان الحكومة الحاضرة استعملت سلطتها بحكمة ، فلم تمارس اي طمع ، وكالعادة كانت تعمل احيانا باعتدال وتساهمل واحيانا اخرى بقسوة وصرامة . وفي لقاءاتنا العديدة كنت على العموم توافق على وجهات نظري في الموضوع والبلغتي في برقيتك الاخيره انكم فصلتم انفسكم عنا فصلا عاما وان هناك بعض الاسباب لحركتكم هذه ، وهي اسباب وعدت ان تحيطني علما بها حينما تسمح الظروف بلقائنا في المستقبل^(١) . ان ثورتكم هذه التي جلبت الفوضى لن تغير حركة حقه الا من ناحية واحدة الا وهي ضمان الحصول على الاستقلال والرخاء والقوة للعالم الاسلامي ، واستمرار ذلك الى الابد ولكن كيف تتصورون تأسيس حكومة عربية تتولى مسؤولية ادارة شؤون العالم الاسلامي بصورة مستقلة وكريمة في الوقت الذي اعلن فيه الحلفاء ان فلسطين ستختضع لادارة دينية دولية ، وان سوريا ستختضع لفرنسا والعراق للحكومة البريطانية . ومن المحتمل انكم في باديء الامر لم تداركوا ان تكون النتيجة على هذا المنوال ، ولكنني اعتقد ان الجيش البريطاني أخذ يستولي على فلسطين تدريجيا ، وقد اعطى البرهان على هذه الحقائق وجعلها واضحة امام عيونكم . ان من المؤلم ان يدرك المرء هذا العامل المدهش ولكن مهما يكن من امر فان فرصة اصلاح الاخطاء وازالة اسباب سوء التفاهم لم تفت تماما ، فاذا ما افتقعت بصحبة هذه الاقوال دعنا نبحث هذه المسألة ونعمل على التوصل الى تفاهم افضل ومن اجل تجديد صداقتنا القديمة . اعتقد انني بكتابه هذه الرسالة قد أديت

^(١) يقصد بها الرسالة التي بعثها فيصل بالشيفرة له والتي وردت في هذا الكتاب الفصل الثالث سعيد الثورة ج ١ ، ص ١١٩ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

وأجابا دينيا ملقي على عاتقى والويل لاولئك الناس الذين لا يحتررون
والسلام على من اتبع الهدى ^(١).

وقد ارفقت هذه الرسالة بورقة صغيرة تضمنت النقاط التي يمكن في هنائها اجراء المفاوضات ، جاء فيها اقرار الحكم الذاتي الكامل للولايات العربية ، واعتراف باستقلال العرب ^(٢) واكد جمال في هذه الورقة قوله ، اذا تم الاتفاق على هذه النقاط فان تصديقها لا يضمن من قبل السلطان فحسب بل من الحكومة الالمانية ايضا ^(٣) .
وتضمنت رسالتنا جمال باشا الاخيرتان ، لكل من جعفر وعبدالله ^(٤) في مضمونها نفس الدعوة التي وجهها لفيصل وذلك يتسمى بامور حفاظا على وحدة الاسلام والمسلمين ، وادعى في رسالته للامير عبد الله بان شخصا يدعى (احمد النقيب) انه مبعوث من قبل الامير عبدالله فطلب السفاح معلومات عن حقيقة هذا الشخص ، وجاء في رسالته " كنت بعثت برسالة الى ابيك الشريف مع رسول . وقد شرحت له بعض النقاط التي خطرت لي ، وهي نقاط بعيدة كل البعد عن الشكوك والطامع . الذي لاشك في انك سوف تتأمل في الموضوع بعناية وصرامة . ولست لرى انه قد فات الوقت بالنسبة لبحث افكار المسلمين وارتباطاتهم المتعلقة بانهيار

(١) من جمال باشا الى الامير فيصل في ١٩١٧/١١/٢٦ ، وثيقة رقم (١٠١) ، لنظر موسى المراسلات ، ج ١ ، ص من ١٥٢-١٥٣.

(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ، لورنس ، اعمدة ، ص ٣٩١ .

(٣) محمود كامل المحامي ، الدولة العربية الكبرى ، (دار المعارف ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٦) ص ٣١٢ انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

(٤) اكد جمال في رسالته الى جعفر العسكري رغبته بالاقرب الشديد الى جعفر العسكري ، حيث طلب منه اللقاء معه شخصيا واعتبره الصديق المنضل له وتذكر تعليمه معه في الهجوم على مصر و أكد السفاح في رسالته بحسن نيته وان يتذكره في معان ومن ثم يتوجهها سوية الى سوريا ، والقسم السفاح يشرقه بالله سيكون مظليما له ، للتفاصيل عن نص الرسالة التي بعثها جمال باشا الى جعفر العسكري في ١٩١٧/١١/٢٦ ، وثيقة رقم (١٠٠) ، لنظر موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ١٥١ .

الاتحاد الاسلامي ، وهذا هو شعوري " ثم ورد في اسفل الرسالة حاشية جاء فيها " وصل الى هنا شخص اسمه احمد النقيب وهو يدعى انك ارسلته ممثلا لك ، ولكن لا يحمل رسالة منك ولذلك لم نقبل ادعاءه . وهذا الرجل قد ارسل لك رسالة مع رسول خاص . فارجو ان تعلمتنا اذا كان حقا معتمدا لك "(١) .

ولم يكتف جمال باشا بذلك ، بل اتخذ نشاطا واسعا لفضح اتفاقية سايكس بيكو في الاوساط كافة ، محاولا كسب الرأي العام الشعبي ، على ما يبدو ، من اجل تحقيق مشروع الصلح مع العرب من خلال الشريف حسين . اذ دعا بيبروت في ٤ كانون الاول ١٩١٧ ، الى مأدبة جمع فيها اعيان ووجوه سوريا ، فالقى عليهم خطبة اشار فيها الى عرض الصلح الذي قدمه للشريف حسين ، بعد ان راجع الاضرار التي لحقت بالدولة والعرب على السواء ، والخدعة التي وقع بها الحسين جراء تصديقه وعود الحلفاء الكاذبة التي لوحوا بها لاجل مصالحهم ، وراح يلوم الحسين لكونه السبب في وصول قوات الحلفاء الى ابواب القدس دون ان يغفل (جمال) تجديد نصائحه السابقة ، والعدول عن الخطأ"(٢) .

وكان جمال قد اكد في خطبته القول " كنت حريصا على ان اعلم كيف استمال الانجليز الشريف حسين ، ولكن بعض القادمين اخيرا من تلك الجهات قد ازالوا الستار عن وجه الحقيقة واعان على ذلك ايضا ما ورد في متن العهود الخفية التي نشرت اخيرا في بطرسبورغ " وأشار كذلك بأن الشريف حسين قد اندفع بساقوال الانجليز " واخل بوحدة الاسلام وشرفه . ان الانجليز بعد ان اخذوا وعدا من الشريف حسين بالعصيان (اي الثورة) فرروا المدافعة عن الترعة ضمن شبه جزيرة سيناء

(١) من احمد جمال باشا الى الامير عبدالله في ١٢/٥/١٩١٧ ، وثيقة قو (١٠٢) ، انظر المصدر نفسه ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٢) انظر وهيم ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

... ان الانجليز لم يجتازوا الترعة الا بعد تأمين خروج الشريف وعصيائه فاذا كانوا االيوم اصيروا أمام القدس فذلك نتيجة عصيان الشريف حسين في مكة ^(١).

ويشير جمال صراحة بأنه بعث كتاب الى الشريف حسين وضح فيه تلك الحقائق بقوله "بعثت اخيرا الى الشريف حسين باشا كتابا صورت له فيه هذه الحقائق ، وفهمته مركزه الحاضر وخطره ، فاذا كان مسلما حقيقا وكان جاما لزوايا العرب وخصائصها واحساساتها يقلب للانجليز ظهر المجن ويؤول راجعا الى خليةة الاسلام وال المسلمين . ولنني قد قمت بواجباتي الدينية راجيا من الله جل وعلا ان يلهمه طريق الرشد والصواب والهداية ^(٢) .

وهكذا للحظ من خلال خطاب جمال باشا في بيروت بان رسالته للشريف حسين لم تكن تخلو من التشفي بسبب نكث البريطانيين بوعودهم له .

وامر جمال باشا بنشر هذه الحقائق في صحف بيروت ودمشق ، واصدر عددا خاصا بهذه الحقائق في صحيفة الشرق الناطقة بلسان الحكومة ^(٣) . وهربت نسخ من هذه الصحيفة الى مكة عبر المدينة التي لم تزل تحت السيادة العثمانية ^(٤) .

وفي ٢٤ كانون اول ١٩١٧ بعث الامير فيصل الى والده رسالة جاء فيها " ورثني خطابا مهم جدا من جمال باشا قائد الجيوش العثمانية في سوريا يفيدني بطلب الصلح ، ويقول ان الدولة العثمانية تريد البحث في المسائل ، ويعرض ان اتفاقي انا

^(١) حول نص جمال باشا في بيروت ، انظر جريدة القبلة ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦ انطونيوس ، المصدر السابق ، ص من ٣٥٩-٣٦٠ ، انيس صايغ (الهاشميون والقضية الفلسطينية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦) ، ص ٦٢ ، صايغ ، الهاشميون والثورة ، ص ١٢٢ .

^(٢) جريدة القبلة ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦ هـ .

^(٣) صايغ ، الهاشميون والثورة ، ص ١٢٢ ، صايغ ، الهاشميون والقضية ، ص ٦٢ ، انطونيوس المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

^(٤) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

والشيخ بدر الدين^(١) في مكان معين ، وسيخبرني الشيخ بدر الدين بأراء الدولة العثمانية ، وسوف لا اسرع في شيء حتى يردني منكم الجواب «^(٢) ». وقد ارفق فيصل مع الرسالة الرسائلتين اللتين بعثهما جمال له ولاخيه ليطلع عليهما والده^(٣) . الذي قام بدوره بتقديم تلك المراسلات الى المندوب السامي في مصر (السير ريجالد ونجت) وطلب منه تزويدة بتفسير عن الاتفاقية الصربية التي ذكرها جمال باشا^(٤) .

ومن الملاحظ ان سياسة جمال باشا تجاه العرب قد تغيرت الى حد ما بعد ان اعلن الشريف حسين ثورته ، وكان الهدف من ذلك بلا شك كسب العرب الى جانبه ويبدو ان جمال باشا كان موقفنا بصعوبة تراجع الشريف حسين وابنائه عن الثورة التي عقدوا عليها آمالا كبيرة . والشيء المثير للانتباه في رسالة جمال الى فيصل ان عبارات التهديد فيها تطغى بعض الشيء على عبارات المجاملة الدبلوماسية والترغيب في عقد الصلح ، كقوله " ان ثورتكم هذه جلبت الفوضى " او قوله " والويل لاولئك الناس الذين لا يعتبرون والسلام على من اتبع الهدى " . بل ان جمال لم يكن متحمسا للقاء مع فيصل ، كما هو واضح من رسالته ، مما يؤكد انه كان يستبعد كسب فيصل الى جانب العثمانيين ، مما يجعلنا نرجع بان رسائل جمال باشا لم تغير عن نية صادقة بشأن الصلح مع العرب ، بقدر ما كانت تهدف الى شق صف رجال الثورة فقد توقع حدوث خلاف بينهم حول مسألة قبول العرض العثماني او عدم قبوله وسيكون قبول أي من هؤلاء لفكرة الصلح كسبا كبيرا للعثمانيين ، خاصة بعد ان اعلن جمال نفسه في بيروت اتفاقية سايكس - بيكو . ولا شك ان عبارات التهديد

^(١) الشيخ بدر الدين الحسيني هو كبير علماء الدين في دمشق ، الظرف موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

^(٢) بعض الرسائل المتبادلة له بشأن عرض الاتراك الصلح من فيصل الى الملك حسين ، وثيقة رقم (١٠٣) ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ، صابع ، لاهشيمون والثورة ، ص ١٢٣ .

^(٣) الطونيوس ، للمصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

^(٤) من الحسين الى ونجت ١٩١٧/١٢/٢٠ ، وثيقة رقم ١٠٧ ، موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

والازداء تعد نقطة ضعف كبيرة تؤخذ على جمال باشا بل تعبّر عن افق دبلوماسي ضيق . ويبدو ان جمال قد ادرك صعوبة التفاهم مع فيصل بل استحالته على حد تعبير لورنس باعتباره " الذي شنق اصدقائه فيصل في سوريا ولا يمكن ان يتتجاهل دماء اصدقائه وهو العربي الوفي "^(١).

وهنا كتب جمال باشا الى جعفر العسكري اعتقادا منه بأنه الحالة الضعيفة في قيادة الثورة ، وبالامكان جذبه الى جانب الدولة العثمانية نظرا لخدماته السابقة في الجيش العثماني ، واعتقادا منه ان قبول جعفر العسكري بفكرة الصلح سيؤدي الى انضمام العديد من الضباط والجنود العرب الى جانب الدولة العثمانية ، نظرا لما للعسكري من شعبية بين صفوفهم ، ولا شك انه اراد بذلك احداث خلاف بين قادة الثورة^(٢).

ومن هنا نلاحظ بان رسالة جمال باشا الى العسكري كانت اكثر رقة وتوددا من رسالته الى كل من فيصل وعبدالله ، فهو يقول له فيها : " وقد بلغني انباء جميع الجهود التي بذلتها في مصر ، وقد احزنني كثيرا وقوعك في الاسر بعد نشاطاتك البطولية ضد العدو " ، ثم عمل على اثارة شعوره الديني بقوله " ولكن بعد هذا كله اراك تحارب في صفوف الجيش الذي ادت نشاطاته الى انتصار الجنرال اللنبي والى سقوط القدس التي دافع عنها صلاح الدين "^(٣) وفي رسالته الى فيصل وعبدالله حاول جمال باشا ايضا اثارة شعورهما الديني ولكن ليس بهذا الاسلوب^(٤) . ولم يكتف جمال باشا بهذا ، بل انه عرض على العسكري فكرة الاجتماع به شخصيا في محاولة منه لاقناعه بالشكل الذي قد لا تستطيعه المراسلات ، والحقيقة ليس هناك ما يشير الى

^(١) لورنس ، احمد ، ص ٣٥٤ ، نديم ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

^(٢) محمد ، جعفر ، ص ٣٣ .

^(٣) من جمال باشا الى جعفر العسكري ، الوثيقة رقم (١٠٠) ، موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ١٥١ .

^(٤) انظر نص رسالتي جمال باشا الى فيصل وعبدالله في الوثقتين (١٠١) و (١٠٢) ، موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ١٥٣-١٥٢ .

ان جمال باشا كان ينوي الغدر بالعسكري عندما طلب الاجتماع به ، لانه ادرك ان سياسة البعش هي التي دفعت العرب الى الثورة ، ونستنتج ذلك من قوله ، " انتي القسم بشرفي انك ستكون في امان تام "(١).

وعلى ايه حال لم يستجب احد من القادة لنداء جمال باشا لانهم كانوا موقنين انه لم يكن مخلصا في نواياه ، فضلا عن قناعتهم بانتصار الحلفاء في الحرب ، وهزيمة العثمانيين . وبذلك فشلت محاولته في احتواء الثورة من الداخل باشارة الخلاف بين قادتها بعد ان عجزت كل المحاولات العسكرية العثمانية لايقاف زحف الجيش العربي نحو بلاد الشام (٢).

وهدف جمال باشا في مراسلاته الى اثارة العرب ضد بريطانيا واحاديث خلاف بين الطرفين فهو في كلا الحالتين ، اذا حدث خلاف بين قادة الثورة او خلاف بين العرب وبريطانيا فانه سيحقق هدفه ، وقد حدث شيئا من ذلك فعلا بعد وصول رسائله ، اذ استفسر الشريف حسين من المسؤولين البريطانيين خول مضمون الانتخابات السرية (٣). فصور له هؤلاء المسؤولون ان الامر لا يعد اكثرا من خطأ عثمانيه تهدف الى احداث تصدع في العلاقات بين الجانبين (٤) ، لكن الشريف حاول استغلال عرض السلام هذا للضغط على بريطانيا للحصول على تأكيد لوعودها باستقلال العرب (٥) .

(١) من احمد جمال باشا الى جعفر العسكري ، الوثيقة رقم (١٠٠) ، المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(٢) انظر محمد ، جعفر ، ص ٣٤ .

(٣) من الملك حسين الى ونجت ١٩١٧/١٢/٢٠ ، الوثيقة رقم (١٠٧) موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ص ١٠٦-١٠٧ .

(٤) من ونجت الى الملك حسين ، الوثيقة رقم (١١٧) في ١٩١٨/١/١٢ ، من الكولونيل باست الى الملك حسين ، الوثيقة رقم (١١٨) في ١٩١٨/١/١٩ ، انظر المصدر نفسه ، ص من ١١٧-١١٨ .

(٥) من ونجت الى وزارة الخارجية لندن ، الوثيقة رقم (١٢١) في ١٩١٨/١/٢٢ ، المصدر نفسه ص من ١٦٦-١٦٧ .

ولم تترك عروض جمال باشا للثناهم مع العرب اثرا كبيرا على فعاليات الجيش العربي ، اذ ان تلك الفعاليات استمرت دون توقف ، وقد اعتبرت بعض الضباط العرب على تكليف الجيش العربي بواجبات ثانوية ، اعتقادا منهم ان البريطانيين يتعمدون ذلك من اجل ان يبقى الجيش العربي في الخلف كي لا ينال شرف تحرير سوريا ، وهدد هؤلاء بترك الخدمة اذا ما استمر الوضع على هذا الحال^(١).

وكانت توجيهات الملك حسين لابنه فيصل ان لا يتخذ اي اجراء في الوقت الحاضر وان يستلم الاوامر من ونجت او من الجنرال اللنبي لانه مرتبط بمعاهدة معهم^(٢) . كما ارسل الحسين لابنه فيصل رسالتان فحواهما عدم التدخل في موضوع الصلح وانه لا يمكن التقارب مع العثمانيين نهائيا^(٣) ، وذلك ما يظهر جليا من الرسالة التي بعث بها الحسين الى فيصل في ١١ كانون الثاني ١٩١٨ والتي اكدت على تهـة الحسين بالخلافه واعتبرهم السند القوي له ، ولا يتعامل مع اي طرف آخر سواهم ، اذ قال في برقيته "الخلافاء اجل واكبر من ان يخلوا بحرف من مقرراتنا معهم ، وهم احرص الناس على ملاحظة مثل هذه الدقائق فلا تذكر في ذلك واطمن ، واعلم انه لا حكم بيننا وبين الترك الا العصيف ، كما اشرت لك في تحريراتي بتاريخ امس"^(٤) .

وفي الاول من شباط ١٩١٨ ، عاود الاتحاديون مرة اخري طرق باب الصلح مع الشريف حسين على يد جمال الثاني او (الصغير) الذي تسلم قيادة الجيش الرابع

^(١) العمري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

^(٢) من الملك حسين الى المعتمد البريطاني ، الوثيقة رقم (١٠٦) ، (جدة ، ١٩١٧/١٢/١٢) ، من الملك حسين الى ونجت ، الوثيقة رقم (١٠٧) ، (جدة ، ١٩١٧/١٢/٢٠) . انظر موسى ، المراسلات ، ج ١ ص ١٥٦-١٥٧ .

^(٣) من الملك حسين الى فيصل ، الوثيقة رقم (١٠٥) في ١٩١٧/١٢/١٧ ، المصدر نفسه ، ص ١٥٦ من الملك حسين الى فيصل ، الوثيقة (١١٦) في ١٩١٨/١/١١ ، المصدر نفسه ، ص ١٦٢ .

^(٤) من الملك حسين الى فيصل ، الوثيقة (١١٦) في ١٩١٨/١/١١ .

بدلاً من احمد جمال باشا السفاح^(١) . اذ اوفد الصغير رسولاً الى الامير فيصل يدعوه مجدداً لعقد الصلح وكان فيصل في هذا الوقت يخشى الحلفاء نتيجة لما اتضح له من خلال اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ ووعد بالغور عام ١٩١٧ فضلاً عن مراوغة الحلفاء الاجرى . فلم يعارض فيصل عرض الصلح شريطة انسحاب القوات العثمانية من المدينة المنورة ومعان وجميع محطات سكك الحديد حتى عمان ، واعتقد فيصل ان هذه المكاسب ستغري والده من اجل اقناعه بتجدد مفاوضات الصلح مع العثمانيين . غير ان الحسين أصر على رفضه لم مشروع الصلح ، مؤكداً لفيصل قته ببريطانيا ووفاء الحلفاء بوعدهم ، ثم بعث بدعوة جمال الصغير وموقفه منها الى السير ونجت^(٢) .

واشادت الحكومة البريطانية بموقف الحسين من العروض العثمانية باعتباره انموذجاً لصدق العلاقة القائمة بين الطرفين ، وذلك من خلال المذكرة التي وجهها اللورد بالغور الى ونجت في ٤ شباط ١٩١٨ ، الذي ابلغها بدوره الى الحسين في ٨ شباط ، وقد كذبت المذكرة الاشاعات والاتهامات التي تثيرها الدولة العثمانية ضد الحلفاء من اجل بث الخلاف بينهم وبين العرب ، واضافت المذكرة ان الحكومة البريطانية "مع الدول المحالفه لها ما تزال تتلزم بموقف الدفاع عن قضيه الام

خدم ثلاثة من القادة الاتراك وهم يحملون اسم جمال في سوريا خلال الحرب ، اولهما احمد باشا الكبير (وزير الخارجية الحرية) وثانيهما جمال باشا الثاني (الصغير) الذي اعقبه في قيادة الجيش الرابع حتى ايلول ١٩١٨ وثالثهما محمد جمال باشا (الثالث) قائد قوات معان لفترة من الزمن ، انظر موسى ، الحركة ، ص ٣٨٤ . اما سبب عزل جمال باشا السفاح فيعود الى محاولاته الانقلابية التي حاول تنفيذها على الاستانة ، بعد ان تعهدت له الدول المتحالفه ان يعطوه سلطة على دول سوريا وفلسطين والعراق وچربستان وكايكوبا وارمينيا وكردستان ، وان تكون وراثية له ولأبنائه ، شريطة ان يعلن السفاح ان السلطان الحالي وحكومته اسرى بيد الالمان ويعلن الحرب عليهم ، انظر حسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

^(١) موسى ، الحركة ، ص ٣٧٩ .

المطلومة وهي مصممة على الوقوف الى جانب الشعوب العربية في جهادها الرامي الى قيام عالم عربي يسوده القانون والشرع بدل من الظلم العثماني^(١).

وفي ٥ حزيران ١٩١٨ حاول جمال باشا (الصغرى) مد يد الصلح مرة اخرى من الامير فيصل ، وقد اجاب الاخير بالقبول مقابل الشروط الآتية :

١ - نقل جميع القوات العسكرية المرابطة على خط سكة الحديد بين المدينة - عمان الى عمان.

٢ - التحاق جميع الضباط العرب الموجودين في الاناضول والروملي إلى الجيش العربي.

٣ - يوضع الجيش العربي تحت امرة قائد حالة اشتراكه بجانب الدولة العثمانية ضد العدو.

٤ - اعطاء سوريا استقلالاً ذاتياً.

٥ - تتمتع القوات العثمانية من الاستحواذ على اية كمية من المواد التموينية الموجودة في سوريا في الوقت الحاضر ، لتبقى تحت تصرف الجيش العربي^(٢).

ولا غرابة في ان يكون للتمر الذي ساد القوات العربية ازاء حقيقة اهداف الحلفاء اثره في اضطرار فيصل لاتخاذ الموقف الاخير ، رغم وصول اوامر والده القاضية برفض التقارب من العثمانيين ، بل ان فيصل نفسه كان يخشى الحلفاء لما علم باتفاقية سايكس بيكيو ووعد بلفور ، اذ كان يميل للاتفاق المناسب الذي يضمن

^(١) من وزارة الخارجية البريطانية الى السير ريجالد ونجت ، الوثيقة رقم (١٣٤) ، ٤ شباط ١٩١٨ موسى ، المراسلات ، ج ١ ، ص ص ١٧٨-١٧٩ .

^(٢) شروط فيصل للصلح مع الاتراك ، الوثيقة رقم (١٥٠) في ١٠ حزيران ١٩١٨ ، انظر موسى المراسلات ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

سلامة استقلال العرب وتنفيذ مطالبه السابقة ، لذا طلب فيصل من الصغير ضرورة الاسراع في الاجابة على مطالبه قبل فوات الاوان^(١) .

وعلى الفور بعث الصغير بالامير محمد سعيد الجزائري ممثلا له في التفاوض مع فيصل^(٢) وتم اول لقاء بينهما في منطقة (وهيده) الواقعة الى الجنوب من منطقة (وادي موسى والى الغرب من مدينة معان) وذلك في ١٢ آب ١٩١٨ ، وسلم الجزائري فيصل رسالته جمال الصغير التي دعا فيها الى انهاء الفتنة وايقاف القتال بين المسلمين^(٣) واستعداد الدولة العثمانية لقبول جميع المطالبات التي يتقدم بها العرب^(٤) .

ويبدو ان الامير فيصل لم يكن قائما بالرسالة الاخيرة والتي سبق وان تسلم مثلكها من قبل ، ولم يجد فيها ما يحتج في اتمام الصلح ، واعتبر هذه الرسائل سببا في ضياع الوقت ، في الوقت الذي امسى فيه الوضع العسكري في خاية الخطورة . ومع ذلك فقد طرح فيصل مطالبة المنتهله بحرية واستقلال العرب ضمن اتحاد لا مركزي مع الدول العثمانية ، و اذا ما ابدت الدولة استعدادها لذلك فالعرب على استعداد للموافقة على الصلح^(٥) .

ورفع جمال الصغير مطالب فيصل الى الاستانة فوافق عليها السلطان واصدر اوامره باقرار مطالب الجانب العربي ، غير ان كلام من النور وطلعت باشا اهلا الامر ، لأنهما كانوا راضين لهذه المشاريع ، ولم يبلغوا القوات العثمانية في

^(١) قنري ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .

^(٢) ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

^(٣) ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، موسى ، الحركة ، ص ٣٩٤ ، موسى ، لورانس ، ص ١٨٩ .

^(٤) من فيصل الى الملك حسين ، بواسطة المعتمد البريطاني الوثيقة رقم (١٦٩) في ١٥ آب ١٩١٨ موسى ، المراسلات ، ص ٢١٠ .

^(٥) ويضيف البعض ان فيصل طلب انسحاب القوات العثمانية عن البلاد العربية لاعلان استقلالها . للتفاصيل انظر موسى ، الحركة ، ص ٣٩٤ . سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ٣١٣-٣١٤ . ميداني ، المصدر السابق ، ص ٧٠-٧٠ ، موسى ، لورانس ، ص ١٨٩ .

سوريا بالامر الا بعد الهزيمة التي احاقت بهذه القوات وخروجها من فلسطين منحرفة^(١).

وهكذا فشلت آخر محاولات الصلح بين الشريف وأولاده وال Ottomans خلال فترة الحرب ، والذي ، على ما يبدو ، ان الشريف حسين لم يكن راضيا عنها لعدم موافقته التقارب الى العثمانيين وابداه الصلح معهم مما كلف الامر للتراحماته مع بريطانيا .

ومن جهة اخرى ان موعد الهجوم البريطاني العام كان يلوح في الافق لذا لم يتمكن الامير فيصل من اتخاذ اي اجراءات مناسبة في مثل هذه الظروف . اذ عزم اللنبي على القيام بهجومه الكبير في ١٩ ايلول ١٩١٨ وحيث كانت الخطوة بالاتفاق مع الامير فيصل ، ان يقوم العرب بالهجوم من ناحيتهم قبل الموعد ليخففوا الضغط الموجه للانجليز^(٢) ، وعليه ففي ١٦ ايلول ١٩١٨ قام العرب بقطع الخط الحديدي بين المفرق ودرعا ، وهي اهم مركز مواسلات خلف خطوط العثمانيين ، فارتكت مواسلات العثمانيين ، وفي ١٩ ايلول ١٩١٨ بدأ اللنبي هجومه ، وثارت بلاد حوران في وجه العثمانيين ، وتمكن طلائع العرب من السيطرة على معان في ٢٣ ايلول ١٩١٨ وعلى درعا في ٢٧ منه واخذوا ٣٥٠٠ أسير في يومين ، وفي ٣٠ منه وصلت طلائع العرب الى ضواحي دمشق ودخلتها في اليوم التالي باسم الملك حسين^(٣) .

وكان الامير فيصل قد ارسل الى جمال المصغر قائد الجيش الرابع قبل خمسة ايام من الزحف على دمشق رسالة يدعوه فيها التسليم بقوله " أظن ان كل ما وقع هو نتيجة اعمالكم . ونحن ائم ادينا الواجب حسب الوجдан . وانت اكثر من كل احد

(١) سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٢) للتفاصيل انظر موسى ، الحسين ، ص ١٨٧ .

(٣) حول العمليات الحربية ، انظر موسى ، الحسين ، ص ٨٧ ، وعن دور فيصل في هذه العمليات انظر محمد صبيح ، فيصل الاول ، (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت) ، ص من ٤٨-٤٩ ، وحول معاملة العرب للاسرى العثمانيين ، راجع الوثائقين (١٥٥) و(١٥٦) من كتاب موسى ، المراسلات ، من ص ١٩٩-٢٠٠ .

مطعون على الحقائق ، وشاهد على الاحداث ان المقاومة في دمشق لا جدوى لها بل هي مضره لكم وللاهلين على السواء . وعلى الخصوص بالمصلحة العامة . فارجو ان تقبلوا بالتسليم ضمن شروط ، وذلك خلال اثنى عشرة ساعة . وانني منظر جوابكم ضمن نطاق اثنى عشرة ساعة . واذا لم تذعنوا فانتم المسؤولون امام الله والوجودان ^(١) . ولا شك ان جمال لم يعلن الاستسلام ، الامر الذي دفع بالقوات العربية على تحرير دمشق في ٣١ تشرين الثاني عام ١٩١٨ ^(٢) .

وهكذا ساد تدهور وانكسار القوات العثمانية في جميع الجهات الامر الذي دفعها الى قبول التوقيع على معاهدة مودرس مع الحلفاء في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ والتي ادت الى انتهاء الحرب العالمية الاولى ^(٣) ، اما العمليات العسكرية للثورة العربية فقد استمرت حتى ٧ كانون الثاني ١٩١٩ عندما دخل طلائع العرب المدينة المنورة باسم الحكومة العربية الهاشمية ، الذي عين الامير علي اميرًا عليها ^(٤) .

وعلى ذلك لا بد من القول ، بانه على الرغم من اعتراف العثمانيين في مراسلاتهم باهمية الثورة ودورها الفعال والمؤثر على انهيار الدول العثمانية وهزيمتها في الحرب . الا ان هناك من الباحثين من اغضضها حقها وقلل من شأنها ولم يعتبرها ثورة عربية قومية قامت باسم العرب وعبرت عن مطالبهم ، وانما اعتبرها تمرد من جانب الشريف على العثمانيين بسبب طمعه في الخلافة والاستقلال .

وعلى سبيل المثال ، اذا اخذنا ما كتبه الاستاذ ساطع الحصري في كتابه "محاضرات في نشوء الفكرة القومية" عن الثورة حيث يقول : "لا شك في ان عدم

^(١) حول رسالة الامير فيصل الى جمال الصغير ، انظر بيه ، سوريا ، ص ٧٣ .

^(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

^(٣) Bermond, Op.cit ,P308

^(٤) رفض فخري باشا التسليم حتى بعد ان امره وزير الحربية العثماني رسميًا بالتسليم واستمر يقود قواته في المدينة المنورة ، حتى ساد روح التمرد بين صفوف قواته وكثرة هزائم الامر الذي اجبره على التسليم في ٧ كانون الثاني ١٩١٩ ، انظر موسى ، الحسين ص ١٨٨ .

قيام الثورة ما كان يوثر في اتجاه الحرب ونتائجها تأثيراً يذكر^(١). وهذا القول يخالف الحقيقة لأن الثورة العربية أنت دوراً بارزاً في هذه الحرب ، ومكنت الحلفاء من النصر النهائي ، والشواهد والادلة على ذلك كثيرة ومديدة لرأينا ، بعضها باعتراف الانجليز والفرنسيين الذين كانوا على صلة بهذه الثورة وباشروا مهام ومسؤوليات التعاون معها . ومن ذلك اعتراف لويد جورج خلال الجلسة السرية لموقت المصالح التي عقدت في سان ريمو في ٢٠ آذار ١٩١٩ قوله ، " ان معونة العرب لنا خلال الحرب كانت امراً لا غنى عنه " . واستشهد بالجنرال اللنبي الذي كان حاضراً الاجتماع^(٢).

ويؤكد هذا القول بريموند رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في الحجاز بقوله : " ان هناك تقريراً قدّمه لوزارة الحرب الفرنسية في ٥ آب ١٩١٦م ، (رقم التقرير ٣٢-٥٠٤٩-٩-١١) جاء فيه ، ان ثورة عربية ضد السيادة التركية امر يخدم المصالح الفرنسية بكل تأكيد ... وفي مكان آخر يقول " ان ثورة الحجاز قدمت من غير ريب خدمة جليلة لقضية الحلفاء "^(٣).

اما لورنس في كتابه " اعمدة الحكم السبعة " فإنه يؤكد اهمية الدور الكبير الذي ادته الثورة العربية مما جعله يحس بعقدة الذنب او الخجل بينه وبين نفسه نتيجة معرفته بعدم اخلاص الحلفاء للعرب مثل اخلاص العرب لهم ، اذ يقول " لقد كنت اؤمن بالحركة العربية ايماناً عميقاً ، وكانت واثقاً قبل ان احضر الى الحجاز انها هي الكرة التي ستمزق تركيا شر ممزق "^(٤). ثم يصف الثورة باعتباره شاهد عيان لها في الحجاز بقوله : " لقد احدثت الثورة العربية في نفسي اثراً عظيماً . فقد لمست عزماً اكيداً على طرد الاتراك وازالة الهزيمة بهم " ، ثم يقول في موضع آخر : "

^(١) الحصري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥.

^(٢) Lloyd George, The Truth about the peace Treaties Vol. 2, London, 1838, PP. 1075-1076.

^(٣) Bermond, Op.cit.,PP. 35-36 .

^(٤) لورنس ، اعمدة ، ص ٥٥ .

كان على المستشارين (يقصد الانجليز منهم والفرنسيين) ان يعملا ان العرب اذا ما ركبوا متن عقيدة واسلموا زمام امرهم الى زعيم مدرج بالسلاح واوكلوا اليه توجيه جهودهم غير المحدودة ، فان في استطاعة الايدي الماهرة ان تصلب بهم ليس الى دمشق فحسب ، بل الى القسطنطينية ايضا «^(١) اما الامير مصطفى الشهابي فقد خلص في كتابه "محاضرات في الاستعمار عن الثورة العربية" بقوله : " ان الثورة العربية كانت في الينطة الحديثة اول عمل عظيم نهض به العرب لاسترداد حريةهم السلبية . وقد أدت هي وعوامل اخرى الى استقلال الحجاز ونجد وال Yemen استقلالا تاما ، والى اعتراف الحلفاء للعرب بكيانهم القومي وبلغتهم العربية في الشام والعراق والذي يقدر له ان يمثل بحكم الاتراك وان يعيش معهم بلا قومية ولا لغة ، يدرك لمثل هذا الاعتراف من شأن في حياة الامم ، فالثورة المذكورة لم تبلغنا كل ما كنا نبتغيه منها ولكنها حققت جانبا من اهدافنا القومية ، وعلمنا كيف نسعى في تحقيق الجانب الآخر ، وجعلت خصمنا في الشام والعراق دولتين استعماريتين كان لهما مطامع سياسية في ذيكر القطرتين ، ولكن لم يكن لهما مطامع قومية كالمطامع التي كانت للحكومة التركية ، فقد كنا مع الاتراك فاقدين للسيادة الداخلية والخارجية ، وكنا فوق ذلك غير معترف لنا بلغتنا وبقوميتنا ، وكنا مساقين الى الترك ، فاصبحنا مع الدولتين المذكورتين معرضين لفقد السيادة فحسب وكلا الوضعين كان شرا ، ولكن بعض الشر اهون من بعض ، ولما كان من غير الجائز لامة حية ان تقبل بفقد سعادتها ، أي يتسلط دولة أجنبية على شؤون الحكومة في بلادها سرعان ما بدأ التصال المرير بيننا وبين انجلترا وفرنسا على السيادة في العراق والشام "«^(٢) .

^(١) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

^(٢) الشهابي ، المصدر السابق ، ص ص ٨٣-٨٤ .

الفصل الخامس

طبيعة المراسلات المتبادلة

بين الشرف حسين والعثماني وتطورها ١٩٠٨ - ١٩١٨

الفصل الخامس

طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين وتطورها

١٩١٨-١٩٠٨

أولاً - صيغ المراسلات وتطورها

١- المراسلات المباشرة

أ- المراسلات في الحالات الاعتيادية

الفرمانات

المراسلات المتبادلة باليد

الاتصال المباشر (المراسلات الشفهية غير الخطية)

ب- المراسلات المستعجلة

البرقيات المستعجلة

الاتصالات الالكترونية

المراسلات بالنيابة أو بالوكالة

٢- المراسلات غير المباشرة

أ- المنشورات صيغة للمراسلات

ب- المراسلات من خلال الصحف

جـ- المراسلات من خلال الوساطات الشخصية

ثانياً - لغة المراسلات وتطورها

١- مرحلة ما قبل الحرب

٢- مرحلة ما قبل الثورة

٣- مرحلة الثورة العربية

أولاً - صيغ المراسلات وتطورها :

١- المراسلات العباسية :

أ- المراسلات في الحالات الاعتيادية :

الفرمات :

اتخذت المراسلات صيغاً مختلفة ، فمنها ما كانت تحمل باليد عن طريق اشخاص كان يتم إيفادهم من قبل الشريف حسين أو الدولة العثمانية ، أو ما كان يكلف به أولئك الأشخاص للقيام بالمراسلة عن طريق التفاهم المباشر ، فضلاً عن الفرمانات السلطانية ، وهذا ما يكون في الحالات الاعتيادية .

وتعد الفرمانات^(١) أهم صيغ المراسلات لما تحمله من مسوغات رسمية ، إذ كان أصحاب المراكز المهمة في الدولة العثمانية يولون بمراكيزهم وفقاً لفرمانات تصدر عن الباب العالي . وكان يرسل إلى أمير مكة المعين حديثاً وثيقة "براءة" أو ما يسمى "منشور الامارة" المتضمن تعينه في الامارة^(٢) . وكان السلطان يكتب بخط يده في الطرف العلوي من الرسالة المرسلة إلى أمراء مكة بضعة اسطر تتضمن بعض التوصيات أو التمنيات أو حسب ما يتضمنه الامر^(٣) . ومن الجدير بالذكر أن

^(١) هي كلمة فارسية معناها عهد بالولاية ، انظر ناصيف المصدر السابق ، ج ١ ، من ١٠ .

^(٢) اذ جاء في فرمان السلطان عبدالحميد الثاني إلى الشريف حسين بن طيء الخاص بتوليته الامارة قوله "عواظف الملك الاعلى للشريف حسين باشا ادام الله تعالى إجلاله وادام سعاده واقباله ، علم لدينا انه اتصف بالاوصاف الحسنة للمدحوة وابرز روابط خالص وجداه لطرق خالقنا واستحق لياقة للامارة الشريفة المذكورة تلائلاً امواج بحر مكرمتنا الذي ليس له نهاية نحو ذاته الهاشمية فأحلانا وفوضانا الامارة للشريفة المذكورة الى عهده اهليته واعطيهاه منشورنا فائض المرور المشتمل على كمال البهجة والحبور للتفاصيل انظر المصدر السابق ، من ١٤-١٦ .

^(٣) جارشلي ، المصدر السابق ، من ٣٣-٧٧ .

هذه المناشير لم تدون لكونها م طويلة جداً ، واستمر ذلك حتى القرن الثامن عشر حيث اخذت بالتلرين ، بسبب اختصارها ، واستمرت كذلك حتى النهاية^(١).

وكان الفرمان السلطاني يتضمن أمراً إلى أمراء مكة بالخروج لاستقبال الحجاج في مداňن صالح أو المدينة المنورة وتوجيههم إلى هذه الأماكن نفسها عند عودتهم . كما يتضمن الفرمان توصية إلى أمراء مكة بالمواظبة على الأدعية الخيرية مع عامة الزائرين لدوام عمر الدولة العثمانية وقوة السلطان ، إذ جاء في الفرمان السلطاني إلى الشريف حسين قوله :

" وحسب شرائط الامارة وبموجب رضانا ونخبة افكارنا الشاهانية امرنا المشار إليه ان يستقبل الحجاج ويوصلهم الى مكة المكرمة سالمين آمنين وبعد ادائهم مناسك الحج الشريف على الوجه اللائق ايضاً يشيعهم ويستكملاً اسباب عزيمتهم بكل اعتاء ودقة الى الشام وان يكون الناظر على توزيع وتقسيم الصرة الهايئية المرسلة من طرف سلطتنا السنوية الى اربابها بواسطه المأمورين بموجب الدفاتر الموجودة وأن يستجلب من العصوم الدعوات الخيرية لجانبنا الشاهاني "^(٢) .

اما الفرمان الثاني الذي تلقاه الشريف حسين من السلطان العثماني ، فقد كـ يقضي بـلسـنـادـ منـصـبـ (وزـارـةـ) أو أـمـارـةـ مـكـةـ المـكـرـمـةـ . وـلـاحـظـ بـأنـ الفـرـمانـ صـوـرـ السـلـطـانـ وـهـوـ مـنـزـهـ عـنـ كـلـ عـيـبـ وـنـقـصـ وـجـعـلـهـ مـفـيـضـ الـخـيـرـ وـالـبـرـكـةـ عـلـىـ الـبـلـادـ وـالـعـبـادـ ، اـذـ جـاءـ فـيـهـ : -

(١) اذ جاء في وصف منشور الامارة ، أن السلطان كان يكتب توصياته لامير مكة المكرمة فوق مغراء " ختم " السلطان بـحـوـالـيـ نـصـفـ مـتـرـ وـفـيـ اـسـفلـ الـعـبـارـةـ بـنـصـفـ مـتـرـ يـاتـيـ طـغـرـاءـ " خـتمـ عـلـىـ السـلـطـانـ " انـظـرـ : جـارـشـليـ ، المـصـدـرـ السـابـقـ ، صـ ٣٤ـ ، وـعـنـ ذـلـكـ أـنـ منـشـورـ الـأـمـارـةـ أـوـ الـفـرـمانـ يـتـجاـزـ الـمـتـرـ الـواـحـدـ .

(٢) حول نص فرمان السلطان عبد الحميد الثاني بتوليه الشريف حسين شرارة مكة انظر ناصيف ، المصـدرـ السـابـقـ ، جـ ١ـ ، صـ منـ ١٦١ـ ١٦٤ـ .

" بما أن الله سبحانه وتعالى جل شأنه وعم نواله قد نظم خلق كونه واحسنه وجعل كل شيء عنده بمقدار فقد اختص ذاتي بكمال قدرته الازلية لتكون خليفة للإسلام وجعلني سبحانه وتعالى بكمال عدله شرف الملوك وجعل سنتي ملجاً للخاص والعام لذا كان من الواجب على ذاتنا الشاهانية والمحتم على دولتنا العلية أن نجعل أبواب عواطفنا الملوكيّة مفتوحة لكل من قام بحسن خدمتنا وبرهن بعمله على صداقته لدولتنا العلية حيث أن أنواع مكارمنا التي لا غاية لها متينة لذوي الصدق من رجالنا وأنت أيها الشريف المحترم من اعظم رجال سلطتنا كما أنت سابقاً من اعضاء لجنة شورى دولتنا ومتخلق بحسن السيرة والبطانة والنجابة وأن آمالنا الشاهانية توأمل نجابتكم حسن الخدمة واظهر ما ثر الصدق لدولتنا العلية وبناء على هذا الامل فقد اعرب عن عواطفنا المنيرة السلطانية في اليوم السادس من شوال عام السادس والعشرين بعد الثلثمائة والالف مصحوبة بكمال توجهاتي السنوية و تمام عنياتي الشاهانية فأحسنت ووجهت الرتبة السامية الوزارة الى عهدة استعدادك وتأهلك «^(١)».

وكانت وثيقة البراءة (المنشور) والكتب السلطانية المرسلة الى امراء مكة المكرمة تكتب على ورق سلطاني وتزخرف برقائق الذهب وغيرها من المواد^(٢). وعن صدور هذه المراسيم من السلاطين فقد كانوا يرافقونها بشيء من تعاطفاتهم المادية من ثياب حريرية مزركشة تليق بمقام صاحب الفرمان ومركزه ، وكانت هذه الفرمانات تجدد لامير مكة كل عام ، فيجيء الفرمان الجديد مع الحمل الشامي الذي كانت الدولة تجهزه بعمالها وتترافق معهكسوة للكعبة الشريفة ولقب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومقام ابراهيم وتبعته من الشام مع جيش يجلب معه كل معدات

^(١) حول نص فرمان السلطان عبدالحميد بتولية الشريف حسين ، امساره مكة المكرمة ، انظر ناصيف المصدر السابق ، ص من ١٢-١٤ .

^(٢) جارشلي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

الابهة وادوات العظمة وكثير من الصدقات والخيرات لاهل الحرمين الشرفين . وكان الفرمان يجيء مع امير هذا الحج مغلفاً بكيس مزركش بابداع الرسوم ومعه الخلع السنية والاعطيات الكريمة والهدايا والتحف والنياشين والاوسمة الالانقة بأمير مكة المكرمة^(١) .

ويبدو أن كل هذه المراسيم قد تجسدت بالفرمان الذي ارسله السلطان محمد رشاد الى امير مكة المكرمة وشيفها الحسين بن علي والذي نص على ما يأتي :

" جناب مأرب الامارة ومكتسب السعادة ، المنتسب الى السيادة ، ذي النسب الطاهر ، والحسب الظاهر ، المستجمع لجميع المعالي والمفاخر ، كابرًا عن كابر ، جمال السلالة الهاشمية ، فرع الشجرة الزكية النبوية ، طراز العصابة العلوية المصطفوية ، صفوة آل الرسول وقرة عين الزهراء البتول ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى ، احد اعاظم وزراء سلطنتي السنوية ، امير مكة المكرم ، الحائز والحامل نيشان الامتياز المرصع ونيشان الاقتخار ، والنישانيين العثماني والمجيدي من الدرجة الاولى ، وزيري سمير الفطانة الشريف حسين باشا دام سعده ، وادام الله تعالى اجلاته .

بوصول توقيعي الرفيع الملكي ، ليعلم اليكم انتم الشريف ، الذي هو للنباهة اليهـ . المشار اليهـ بمقتضى ما هو موروث في عنصر فطرتكم الاصلية . وما هو كامن في جلبتكم النسبية . من نقائـ جوهر العراقة العدنانية ، وصفاء الطورية في الاصلـةـ القحطانية ، وبمقتضى كل ذلك ولما تبذلـونـهـ من المساعـيـ الجميلـةـ والمـآثرـ الحـمـيدةـ ، لاـيـفـاءـ لـواـزـمـ حـسـنـ التـوقـيرـ وـاتـمامـهاـ لـلـحرـمينـ المحـترـمينـ وـلـاكـمالـ سـعادـةـ حـالـ الـاهـلـيـنـ وـالـمـجاـورـيـنـ للـبـلـادـيـنـ المـكـرـمـيـنـ وهـدوـءـ بـالـهـمـ ، وـلـاقـامـةـ دـعـائـمـ النـظـامـ ، وـاستـمرـارـ قـوـاـدـ ضـوابـطـ الـانتـظـامـ فيـ تلكـ الـديـارـ المـبارـكـةـ ، منـ كـلـ فـجـ عـمـيقـ ، مـتـرـمـلـينـ زـوـاـمـلـ الفـرـجـ وـالتـوفـيقـ ، منـ قـوـافـلـ الـحجـاجـ الـذـينـ سـيـلـهـمـ مـنهـاجـ الـهـدـاـيـةـ ، وـلـلـزوـارـ وـابـنـاءـ السـبـيلـ وـالـتجـارـ

^(١) ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، من ١١ ، جارشلي ، المصدر السابق ، من ٣٥

ونلك معروف لدينا ورأيول لدى ذاتنا الملكية ، ولسابق هممكم المشهورة ، والمنتظرة فيما بعد ، ولما هو مقرر حكم من محاسن انتظارنا السنوية ، ومرامي عواطفنا الشاهانية . فاعلاماً بذلك ودلالة على عطفنا السامي في هذه المرة ، ايضاً نرسل الى جانبكم المستحوذ على مناقب السعادة خلعة منقة ياقتها بالقصب واللؤلؤ ، ومحفوفة قبتها (بمصحف) من ماس البريلت مهدأة الى شرفكم العليا ، رفق من أمر بابلاغ هذا الامر الهمایونی ، وايصاله المستلزم المزيد الشريف والافتخار ، بخدمة البردة النبوية افتخار الاكابر والاكارم ، احمد نوري بك زيد علوه . نبعث ونسري بها الى ناديكم الشريف برفقة .

ثم اردف السلطان محمد رشاد في فرمانة للشريف حسين والوظائف الموكلة على عاته والتي تتضمن بأن :

" يستقبل الحجاج من مدارن صالح ، ويشييعوا اليها بالحراسة والوقاية التامتين من تعديات الاشقياء ، ومن هجمات ما ثر الطواف الضارة والموزية ، بيان جلبوا جواد الدقة ، وتهزوا رماح الحماية وتمكنوا ساعد المكنة في هذا الباب المهم وان صلاح الامور الصحية وحسب جرياتها مطلوب وملتزم لدى ذاتنا الملوکية . ولاتمام كل ما اوصينا به من الامور والشؤون واكمالها وفق مطلوبنا ببذل القدرة العدنانية . وأن تكون هذه المساعي موافقة لشأننا المقرن بالشوكة ، ومطابقة للحسافة والشهامة الهاشمية ، فاحرفوا من المآثر الجليلة في ذلك ، مع الدعاء لنا اعقب الصلوات ، وآيات الاجابات ، عند زرم زرم والمقام ومع المشايخ الذين لهم الصلاح معتاد . وان يداوموا جميعاً على الدعاء لدوام عمران دولتنا بهدوء بال ، وان تهتموا بذلك نحو مكاننا الهمایونية "(١) .

(١) للتفاصيل عن نص فرمان السلطان رشاد الى الشريف حسين ، لنظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص من ٤٨٧-٤٨٩ .

وبدون شك فإننا نلمس من الفراملين السلطانية ان العلاقات العثمانية - الشرفية كانت تتمتع بقسط كبير من الود والاحترام ، خدمة للمصالح المشتركة بينهما ، أو بتعبير آخر ان الفراملين عكست التحالف الإقليمي بين اشراف مكة والعثمانيين من أجل بناء مصالح مشتركة سليمة تمتد في جذورها الى عام ١٥١٧ ، فإذا كان الاشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى لغرض الامن والاستقرار الإقليمي والم المحلي ، فإن العثمانيين قد استفادوا من المقارنة الدينية المقدسة لطبقة الاشراف لغرض الاستحواذ على ولاء العالم الاسلامي قاطبة . وعلى أية حال فإن المراسلات في هذه المرحلة كانت قد سادها الاحترام والتودد ضمن الاطار الاسلامي .

وكانت مراسيم ثلاثة المراسلات الفرمائية السلطانية تتم في امارة مكة على النحو الآتي :-

- ١- الفرمان يصدر بالتركية والعربيه^(١).
- ٢- النسخة التركية تكتب بالخط الديواني وتقرأ أولاً ، وهي متوجة بالطغراء السلطانية ومحفوظة بختم الديوان الهمایوی.
- ٣- النسخة العربية متوجة كذلك بالطغراء السلطانية ومحفوظة بختم الديوان الهمایوی وتقرأ بعد التركية .

^(١) يبدو أن عدم معرفة امراء مكة المكرمة ، باشتئام البعض ، باللغة التركية فقد كان السلطان يرسل لهم كتابين سنويأ في موسم الحج احدهما بالعربية ، والأخر بالتركية ، وكانت توجد بعية أمير مكة المكرمة هيئة من الكتاب الذين يشرفون على المراسلات التركية يطلق عليها اسم "ديوان تركي" ، لنظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، وكان الشريف حسين من بين الامراء الذين يجهلون معرفة اللغة التركية وذلك على حد قول الامير فيصل لجمال باشا "والله (أي الشريف حسين) لا يقصد شيئاً ضاراً ، ولست تجهل أنه لا يجيد اللغة التركية ، ولو لوح لي أن هذه البرقية ترجمها مترجم عاجز عن فهم النص العربي فحرفها " جمال باشا ، منكريات ، ص من ٢٣٦-٢٣٧ .

- ٤- يقرأ النسخة التركية رئيس الديوان التركي للامارة الجليلة في مكة .
- ٥- يقرأ النسخة العربية رئيس الديوان العربي للامارة الجليلة في مكة .
- ٦- يقرأ الفرمان في منى في اليوم الثاني لعيد الاضحى صباحاً .
- ٧- يحضر الجنود بالبستهم الرسمية - وموسيقى الجيش ، فيعزف السلام السلطاني ويقرأ الفرمان .
- ٨- يحضر القراءة الوالي العثماني ، وقائد الجيش ، وأمين الصرة ، وأمير الحج الشامي ، وأمير الحج المصري وكلهم باللبسة الرسمية والاوسمة .
يحضر كذلك كبراء الاشراف ، وشيخ السادة ، ورئيس العلماء ، والملقبون . وبعد ذلك يقلدون يد الامير الشريفة وبهئونه .
- ٩- يستعرض الجيش العثماني ، ثم القوات الحجازية .
- ١٠- عند قبول الحج الشامي ، يأتي أمين الصرة والقططان أغامش حامل الهدايا السلطانية فيسلم اليها الرد الاميري على الفرمان .
- ١١- يكون الرد الاميري مكتوباً باللغة العربية فقط^(١).
- ١٢- يكون التوقيع الاميري على ظهر نسخة الرد لا في اعلامها ولا في اسفلها^(٢) .
- وكان من الطبيعي ان يكتب أمير مكة المكرمة وشريفها رسالة يرد بها على الفرمان السلطاني ، رداً رقيقاً مثمناً مكرمة السلطان ، ومتعبداً له بخدمة الاسلام والدولة .

^(١) يذكر جارشلي بأن امراء مكة المكرمة كانوا يردون على رسالة السلطان العربية بأخرى عربية وعلى رسالته للتركية بأخرى تركية ، وكان امراء مكة المكرمة يكتبون رسالة واحدة بمبادرة منهم وهي للرسالة التركية التي يرسلونها مع حاملي البشرى والتي يعلم فيها السلطان بأداء الحاج لمناسك الحج وعودتهم بسلام ، للتفاصيل انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

^(٢) للتفاصيل عن مراسيم تلاوة الفرمان السلطاني في مكة ، انظر الملك عبدالله ، الآثار ، ص من ٤٨٩ - ٤٩٠ .

ومن امثلة رد الاشراف على الفرمان السلطاني ، ما جاء في رد الشريف حسين على فرمان الولاية الذي اصدره السلطان عبد الحميد الثاني للشريف حسين :

" الى حضرة الخاقان الاعظم ، والخنكار الافخم . الباشا العظيم . والولي الحميم . محب آل بيت الرسول . وسلامة الزهراء البتول . ملك البرين والبحرين . سلطان الروم . السلطان بن السلطان ، السلطان بن عبد المجيد خان الثاني : لا زالت الويته على الخاققين منشورة ، وعساكره على اعداء الدين منصورة ، بجهة جدنا سيد المرسلين . عليه أفضلي الصلاة وأذكى التسليم ".

ثم اردف الشريف قائلاً :

" أما بعد فأننا ننهي الى الاعتراض الملكية الشريفة ، والجهات الخاقانية ، المنيفة ، ورود فرمانه السلطاني ، وخطابه الخاقاني ، المحظوي على عواطف المودة ، وأكيد المحبة ، يرفعه أمين الصرة السلطانية ، الفخмар الاكابر والاماجد المحظوي على كافة المحامد احمد بك وقطنان اغاسي ، عزت بك . فلتقيناه كما اشار السلطان الاعظم ، والباشا الافخم ، بكمال الفخيم والتعظيم . وتلو ناه بالاجلال والتكريم ، على ملاممن حجاج المسلمين ، وسكان البلد الامين ، ومن حضر من طيبة مدينة سيد المرسلين ، وشهرنا الهدايا السلطانية ورفعنا الخلعة^(١) السننية على الاعطاف الهاشمية ، شاكرين الايدي الملكية ، والعواطف الرحيمة السلطانية ... "^(٢).

^(١) كانت الخلعة التي تهدى الى أمير مكة ، عبارة عن جبة من الجوخ الاسود مطرزة الصدر بسلوك من الذهب الابريز الحر ، مزهرة بشكال مطرزة باللؤلؤ النافر في الصدر والظهر واليدين ، وفي مصك على هيئة نصف شمس من خاجر الالماس ، تتلوها خلع للجهة مطرزة بسلوك الذهب في الزيق واليدين فقط . انظر ، الملك عبدالله بن الحسين ، الاثار ، ص ٤٩١ .

^(٢) حول رد الشريف على الفرمان السلطاني ، انظر المصدر نفسه ، ص ٤٩٠ .

ومن الجدير بالتأكيد بأن هذا الاحترام الكبير الذي يكتبه اشراف مكة بما فيهم الشريف حسين لم يتغير حتى في حالة اصدار السلطان الفرمان الذي يتضمن بعزل الشريف عن الامارة ، وهذا ما جسده الشريف حسين تجسيداً واضحاً . اذ عندما تلقى فرمان السلطان محمد رشاد في ١٨ حزيران ١٩١٦ ، القاضي بعزله وتعيين الشريف علي حيدر في منصب الشرافة اي أميراً على مكة المكرمة خلفاً له ، اثر اعلانه الثورة العربية على الاتراك ، رد الشريف حسين رداً ينطوي على الاحترام المصاحب للاسى بيرقية في ١٢ تموز ١٩١٦ الى السلطان محمد رشاد ، مؤكداً للسلطان بقائه على الولاء والاحترام ، وموضحاً له بأن ثورته اعلنت ضد الاتحاديين الذين حدوا من السلطة الروحية والزمنية للسلطان والاشراف وعملوا على العداء العلاقة الدينية التي تربط بين السلطان والاشراف^(١) .

وهكذا نلاحظ بأن المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والسلطان العثمانيين سارت على وثيرة احده من التقدير والاحترام ، يل أن الشريف حسين لم يقدم على الالسعة لاحد السلاطين حتى في حالة اصدارهم فرمانين بعزله وابعاده عن امارة مكة العكرمة وشرافتها ، وعلى ما يبدو هذا يعود الى الاحترام الذي يكنه الشريف للمنصب الديني الذي يحمله السلطان (الخليفة) العثماني .

العرايسات المتباينة باليد :

شهدت الفترة ما بين اعتلاء الشريف حسين منصب الشرافة حتى توقف عمليات الثورة العربية سلسلة من الرسائل المتباينة ، التي كانت تتم بين الشريف حسين من جهة والسلطان والصدر الاعظم ووزرائه من جهة أخرى ، أو بين أولاد الشريف حسين من جهة والسلطان والصدر ووزرائه من جهة أخرى .

^(١) من الشريف حسين إلى السلطان محمد رشاد ، لوثيقة رقم (٤٨) ، ١٢/٧/١٩١٦ ، انظر موسى ، المراسلات ، ص ٧٩ .

وكانت احدى طرائق تبادل المراسلات باليد ، والامثلة والشاهد على ذلك كثيرة ^(١) ، منها ما يذكره الشريقي بقوله " وكان الشريف حسين يعتمد في الشؤون الخارجية والاتصالات مع الحكومة العثمانية على ولده الامير عبدالله الذي كان ينتقل بين جهة والاستانة حاملاً رسائل والده الموجهة الى السلطان العثماني والصدر الاعظم " ^(٢) .

وفي المقابل كان العثمانيون قد استخدمو ايضاً هذه الطريقة في نقل المراسلات ، اذ يشير الزبيدي ، بأنه عندما رفض الشريف حسين مشروع سكة حديد الحجاز ، حاول الاتحاديون اقناعه ، ووعله بأن يكون له ثلث دخل الحجاز ، وأن يتمتع بالأماراة (الشرافة) طول حياته وأولاده من بعده ، وقد ابلغ بذلك الخطابات عن طريق أبنه عبدالله ^(٣) .

وكان الامير فيصل ابن الشريف حسين ايضاً قد تولى مهمة نقل الرسائل المتبادلة بين والده والعثمانيين ، وعبر عن ذلك صراحة بقوله : " وأنا وان كنت في طرفي الى القسطنطينية لتقديم الرسائل التي عهد الي بها والدي الى رئيس الوزراء التركية " ^(٤) . كما ويذهب الى ذلك الريحاني ايضاً بقوله : " وكان فيصل في الوقت نفسه رسولاً بين والده وجمال " ^(٥) . وفي المقابل كان العثمانيون يحملون فيصل الرسائل الى أبيه ، فضلاً عن المراسلات الخاصة بينهما ^(٦) .

ويعطي لورنس وصفاً رائعاً عن طريقة تبادل المراسلات بين الشريف حسين وأولاده بقوله ، " وكانت مكاتب فيصل ورسائله الى أبيه ايضاً مغامرة محفوفة بالمخاطر وكان يحملها بعض الاتباع من خدم وحشمن من لا ترمي اليهم الشبهات .

^(١) للمزيد من التفاصيل عن تلك المراسلات ، انظر فصول الدراسة السابقة .

^(٢) الشريقي ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

^(٣) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

^(٤) ارسكين ، فيصل ، ص ٥٥ .

^(٥) الريحاني ، فيصل ، ص ٢٤ .

^(٦) لورنس ، اعمدة ، ص ٢٠ .

وكان هؤلاء يمتطون القطار المسافر الى الحجاز ويخبئون تلك الرسائل الخطيرة في اغماد السيوف او داخل الكعك او يضعونها بين نعلى الحذاء ويختيرونها . وفي بعض الاحيان كانت هذه الرسائل تكتب على اغلفة الطرود بغير سري خفي ^(١) .

اما بخصوص دور الامير عبدالله بنقل المراسلات المتبادلة بين والده والاتحاديين فقد اشارت صحفة الاستقلال البغدادية ^(٢) بقولها " ونظراً لخبرته التامة باحوال الاتحاديين واتصاله بالاندية السياسية في استانبول ، كان والده يعتمد عليه في المخابرات سواء مع الباب العالي او مع الاندية السياسية " ^(٣) .

الاتصال المباشر (المراسلات الشفهية غير الخطية) :

تعد الاتصالات المباشرة وسيلة اساسية من وسائل التفاهم والمراسلات وهي لا تقل أهمية عن المراسلات الخطية ، اذ انها تعبر عن وجهة النظر الرسمية .
كشفت الدراسة الكثير من الشواهد والادلة التي تتعلق بهذه الاتصالات او المباحثات المباشرة في معالجة جملة من الامور ذات الصلة بعلاقة الجانبين الحجازي والعثماني .

في ازمة عام ١٩١٤ المتعلقة بتطبيق قانون الولايات العثمانية في الحجاز .
ومد سكة الحديد من المدينة الى مكة المكرمة ، سافر الامير عبدالله الى اسطنبول للاشتراك في جلسات المبعوثان في ١٤ ايار ١٩١٤ ، وهناك تباحث مباشرة نيابة عن ابيه حول الخلاف القائم بينهما حول مسألتي تطبيق قانون الولايات العثمانية ومد سكة الحديد الى مكة . اذ اجرى الامير عبدالله مباحثات مع الصدر الاعظم سعيد حيدر ووزير الداخلية طلعت باشا ووزير العربية انور باشا ، وقد اسفرت هذه المباحثات

^(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

^(٢) وذلك لأن هناك صحفيتين باسم الاستقلال احداهما بصرية والآخرى بغدادية ، والمعلوم ان المنطقة العربية كانت تكثر فيها الصحف التي تحمل اسم (الاستقلال) لأن هدف العرب الاسلاميين كان في تلك الفترة هو الاستقلال من السيطرة الاجنبية .

^(٣) صحفة الاستقلال البغدادية ، عدد ١٩٦٧ ، ١٣ ، ايلول ، ١٩٣٣ ،

عن تحويل حكومة الاتحاديين الامير عبدالله أربعة شروط ليعرضها على والده . لكنه رفض تلك الشروط وقدم بدلها مقترنات حملها الامير عبدالله للصدر الاعظم ، وابلغها الصدر الاعظم عند وصوله اسطنبول في اواخر شهر تموز من العام نفسه^(١).

ومثال آخر يتعلّق بالدور الذي قام به الامير فيصل في نيسان ١٩١٥ إذ شكى الى السلطان ووزرائه من سياسة والي الحجاز وهب باشا اتجاه الاشراف ، مستنداً في ذلك على الاوراق السرية التي وجدت في محفظة وهب باشا . حيث عرض ذلك عند لقائه بالسلطان العثماني محمد رشاد مرتين ، ولقائه بالصدر الاعظم سعيد حليم ، ولقائه بوزير الحرية طلعت باشا وبوزير الداخلية انور باشا . وخلصت هذه اللقاءات الى قيام الحكومة العثمانية الى عزل والي الحجاز وهب باشا وعنت مكانه الفريق غالب باشا ، واوصته بتحسين علاقاته مع امير مكة المكرمة واشرافها وذلك من اجل ازاله شكوك الشريف حسين وابنه بنو ابا الاتحاديين والتي عرضها صراحة الامير فيصل أمامهم^(٢).

وفي الدراسة اشارات كثيرة لمثل هذه اللقاءات والمباحثات المباشرة ، التي نقلت فيها وجهات نظر ومقترنات ومطاليب الجانبين في المسائل القائمة بينهما . ويبدو أن ما يميز هذا النوع من المراسلات أن يكون القائمون بها ، اثناء يحتلون مكانة موثقة عند المرسل اليه من جهة ، وأن يكونوا في منصب يوكل لهم القيام بمثل هذه المراسلات . وفي كثير من الاحيان يكون الجانب الاول مهم جداً عند المرسل اليه من الجانب الثاني ، وعلى اية حال فإن الوسيط لا بد أن يتحلى بهاتين الميزتين لأنّه سينقل وجهة نظر مسؤوله .

ولعل عدم ثقة الشريف حسين بوالي الحجاز وهب باشا ، لاسباب التي وقفنا عليها ، كانت وراء طلب الشريف من الوالي صيغة المخاطبة مكتوبة رسمياً لا شفهياً ، وذلك عند زيارة الاخير للشريف في الطائف ، وقال له " أمرت بيرقيات ،

^(١) للتفاصيل ، راجع الفصل الثاني .

^(٢) للتفاصيل ، راجع الفصل الثالث .

وردت الى من وزارة الداخلية ووزارة الحربية بأن استطلع رأيكم السامي في الشهار العربي على روسيا وانكلترا " ، فرد عليه الشريف حسين قائلاً : " أنا لا أرى أن أجيب على هذا السؤال الشفوي بشيء وانتي انتظر هذا السؤال ... أن يرد الي برقياً فيسجل ويسجل جوابه ..." . وفعلاً وبعد أربع وعشرين ساعة وردت برقية من المصدر الاعظم وبرقية من وزير الحربية انور باشا بالسؤال عليه^(١).

بـ- المراسلات المستعجلة :

لا شك أن المراسلات المستعجلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده تظهر في الحالات السريعة ، وخاصة الفترة التي سبقت اعلان الثورة العربية ، وقد اتخذت هذه المراسلات صيغاً مختلفة منها :-

البرقيات المستعجلة :

قاد اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى لجوء القادة الحجازيين والعثمانيين إلى استخدام البرقيات المستعجلة في كثير من الأحيان . ولا غبار على ذلك ، لأن طبيعة المرحلة ت Demand استخدام مثل هذا النوع من المراسلات .

وكانت أول برقية بعثها الشريف حسين كانت في آب ١٩١٤ إلى السلطان محمد رشاد ، عندما أبلغ بضم الاتحاديين على دخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب العانيا ، فحضرهم الحسين ، من معنده الدخول في الحرب ضد دول الحلفاء القوية والتي تحيط باراضي الدولة العثمانية ، مشيراً إلى ضعف الدولة العثمانية بعد الحرب اليقانية ، ومستعرضاً فيها حالة أوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها^(٢) .

ولاحظ الوقوف على سرعة البرقيات ، نظراً لمطبيعة المرحلة الحرجة ، نلاحظ أن البرقيات كانت تصل خلال أقل من أربع وعشرين ساعة أحياناً ، ومثال ذلك نلاحظ عند رفض الشريف الاجابة على سؤال الوالي وهيب باشا شفاهما ، بخصوص

(١) للتفاصيل انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، من من ٤-١٠٥ .

(٢) للتفاصيل راجع المبحث الأول من الفصل الثالث .

رأيه (أبي الشريف) في دخول الدولة العثمانية الحرب ، بأنه خلال أربع وعشرين ساعة يتلقى (أبي الشريف) برقية من الصدر الأعظم ، وبرقية من وزير الحربية يسألاته عن رأيه في دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب المانيا^(١) .

وقد ظهر من خلال المراسلات أن البرقيات ازدادت عدداً خلال فترة دخول الدولة الحرب . إذ اخذت حكومة الاستانة تمطر الحسين برسائل من البرقيات المستعجلة حملت تواقيع كبار شخصياتها ، أمثال الصدر الأعظم وأنور باشا وطلعت باشا ، يطلبون منه ، وبالحاج ، اصدار اعلان بالجهاد الديني والاسهام فعلياً في الحرب^(٢) .

ولكن هناك برقية جاءت في غضون ساعتين ، وذلك على اثر مقابلة الأمير عبدالله لوالى الحجاز على بك لغرض الاستفسار منه عن مسألة فصل محافظة المدينة المنورة عن ولاية الحجاز ، فأجابه الوالى بالفعل رسمياً بعد أن اطلعه على برقتي الصدر الأعظم وبعد ساعتين من المقابلة ابرق الصدر الأعظم برقية الى الأمير عبدالله يقول فيها "أن ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكة الحديدية ، تضمن السرعة في المخابرات ، لذلك اعتبرت محافظة المدينة المنورة محافظة مستقلة مريبوطة بوزارة الداخلية رأساً لا بالولاية . وأما تبعات الامارة الجليلة وحقوقها ، فهي كما كانت ، من مكة المكرمة الى مدائن صالح"^(٣) .

ودفع اعتقال أنور باشا للرعييل الثاني من القوميين العرب ، بالشريف حس إلى الاسراع بارسال برقية إلى أنور باشا ، طالباً منه العفو العام عنهم ، بقوله "ربما لي ان ارضاء الشعب العربي ، يتوقف على مداوه قلبه الذي جرّه اتهام عدد كث من ابناءه ، بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية ." بل أنه يطلب مطليين آخرين في نفس البرقية ، هما ضرورة تمنع سوريا والعراق بالنظام الامركزي ، وجعل امارة مكة وراثية في اسرته ، ويقول بعد ذلك في برقته

(١) للتفاصيل راجع المبحث نفسه .

(٢) للتفاصيل عن البرقيات المتعلقة بالجهاد الديني ، راجع المبحث الثاني من الفصل الثالث .

(٣) حول نص برقية الصدر الأعظم الى الأمير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين ، منكرياتي ،

"فإذا قيلت هذه المطالبات فاتعهد بحشد القبائل العربية للجهاد ، بقيادة ابنائي في ميداني العراق وفلسطين ... وإذا لم تقبل هذه المطالبات . فارجوكم أن لا تنتظروا مني الاشتراك في حرب كنت نصحت بأن لا تثار ولا تشق"^(١) .

فضلاً على ذلك ، فإن اشعار بهذه الثورة العربية جاء اثر سهل من البرقيات المستعجلة بين القادة الحجازيين^(٢) ، ومنها ما يذكره الامير فيصل بأنه قد اصطلاح مع نسيب بك البكري عند عودة الوفد من المدينة على نص خفي لبرقيتين احداهما ترمز إلى اعلان الثورة وضرورة هروب الثوار من دمشق ، والاخري ترمز إلى تأجيل ذلك ، ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً إلى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقة مستعجلة من الامير فيصل هذا نصها :

دمشق - نسيب البكري

"ارسلوا الفرس الشقراء" .

وكان هذه البرقية اشعاراً ببدء الثورة حسب الانفاق بين فيصل ونبيب^(٣) . ولكن هذا لا يعني بأن فترة ما قبل الحرب لم تشهد مثل تلك البرقيات ، بل ظهرت لأنها متعلقة ، كما قلنا ، بطبيعة الظرف ، إذ كانت أول برقية مستعجلة رفعها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بجدة إلى مسؤوليهم ، اعلنوا فيها استيائهم من مقابلة الشريف لهم عند استقباله لاجل تهنئته بأماراة مكة المكرمة وشرافتها ، وما جاء في برقيتهم "بعث عبدالحميد برجل جلس على مقام اسلفه لا يعبأ بأحد ، ولا يقر بدسotor لا يتجدد"^(٤) .

(١) التفاصيل راجع البرقيات في المبحث الثالث ، الفصل الثالث .

(٢) حول نصر البرقيات بين القادة الحجازيين بخصوص اعلان الثورة ، انظر الفصل الرابع .

(٣) حول نص برقية فيصل إلى نسيب ، انظر موسى ، الحركة ، ص ٢٦٨ ، موسى ، الحسين ، من ٤١ ، حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص من ٢٨-٤٧ .

(٤) انظر تفاصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثاني .

الاتصالات اللاسلكية :

أدت الاتصالات اللاسلكية دوراً فعالاً في تبادل المراسلات سواء بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده ، أو بين مسؤولي الجانب الواحد ، في نقل ومعالجة العديد من الأمور المستعجلة بل والطارئة منها .

اذ نلاحظ في الوقت الذي وعد فيه الامير فيصل جمال باشا بقيادة (١٥٠٠) متطوع عربى لاجل الاشتراك فى حملة القناة الثانية ، كشف جمال باشا مفاوضاته مع الشريف حسين بالتلغراف ليبين له ضرورة القيام فيما وعد به نجله (الامير فيصل) ، حتى يظهر للجميع بأن الحجازيين مشتركون في هذه الحملة ، ويشير جمال إلى ذلك بقوله " فما زلت افلاوض والده بالتلغراف وابنه له ضرورة القيام بما وعد نجله "(١) . واما بخصوص عدد المتطوعين فيشير جمال باشا بقوله بأنه أجرى مخابرة طويلة مع الشريف حسين وطلب منه ارسال ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ متطوع بقيادة احد انجاليه لاجل الهجوم على القناة (٢) .

وكان فخرى باشا قائد قوات المدينة المنورة يرسل بعض تقاريره قبيل اندلاع الثورة العربية الى قائد جمال باشا بواسطة التلفون ، وذلك ما يخبرنا به جمال باشا نفسه بقوله : " وبينما أنا في بيروت يوم ٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ ، دعاني فخرى باشا من المدينة لمحادتي في التلفون وقال لي : ما زالت علاقاتي حسنة مع الشريفين علي وفيصل ومنذ وصولي الى هنا ، وقد دعواني أول أمس لزيارة مقام سيدنا حمزة (يقع في ضاحية المدينة) حيث معسكر المتطوعة فذهبت وتغديننا ، ولعب هولاء العاب الفروسية وانشدوا الآشيد الحماسية . ودعنيت مساء أمس الى

(١) لتفاصيل انظر ميدالى ، المصدر السابق ، ص ٥ ، لرسكين ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
انطوليوس ، المصدر السابق ، من ٤٢ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) مدبى ، المصدر السابق ، ص ٥ .

منزل الشريف على فقضيت وقتاً فيه . واتفقنا على أن نسافر أول كتبة من كتاب المتطوعة في هذين اليومين إلى درعا^(١).

ويبدو أن قلق مسؤولي الدولة العثمانية إزاء تصاعد فوران المد الإسلامي جعلهم توافقن لسماع أنباء ذلك الأقليم أول بأول ، ورأوا أن سرعة ذلك تتم عن طريق إقامة المزيد من خطوط التغرايف بين القليم الحجاز والاسنانة لوضعه (أي الحجاز) تحت مراقبة ورصد مسؤولي وزارة الداخلية العثمانية وذلك ما يتضح جلياً ، من برقية الصدر الأعظم للامير عبدالله التي جاء فيها " أن ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكة الحديدية ، تضمن السرعة في المخابرات ، لذلك اعتبرت محافظة المدينة المنورة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة الداخلية رأساً لا بالولاية "^(٢).

ولعب التلغراف اللاسلكي دوراً فعالاً في تناول المراسلات والبلاغات الحرية بين الشريف وأولاده أيام عمليات الثورة العربية كما تخبرنا بذلك جريدة القبلة^(٣) .

المراسلات بالشفرة :

وهي الصيغة الأكثر سرية في المراسلات لتناولها أموراً على غاية كبيرة من الخطورة والحساسية ، وغالباً ما تؤدي هذه الصيغة من المراسلات إلى نتائج حاسمة تقود إلى مرحلة جديدة في طبيعة ولهمة المراسلات المتبدلة بين الجانبين ، والامثلة

^(١) للتفاصيل ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، الرواи ، المصدر السابق ، ص ٦٨ ، الاعظمي ، القضية ، ج ٢ ، من ص ٨٧-٨٦ ، العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

^(٢) حول نص برقية الصدر الأعظم إلى الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٥٠ .

^(٣) نشرت هذه البلاغات في جريدة القبلة ، العدد ١٧ ، في ١٥ ذي الحجة ، ١٣٣٤ (١٣ من أكتوبر ١٩١٦) .

والشواهد على ذلك كثيرة أبرزها ، ان المطالب العربية الثلاث التي تضمنتها برقية الشريف حسين الى انور باشا في آذار ١٩١٦ كانت بالشفرة والتي تحت على :

١- اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .

٢- تقرير نظام الحكم الامركزي في سوريا والعراق .

٣- جعل الحكم في الحجاز وراثياً في اسرة الحسين والابقاء على الامتيازات المقررة لولايته الحجاز (١) .

كما أن اعتذار الشريف عن عدم استطاعته ارسال المتطوعين للاشتراك في الحملة الثانية على القناة جاء بالشفرة ايضاً ، وذلك من خلال الخطابين المرسلين منه (أي الشريف) الى جمال باشا والصدر الاعظم في ٢ حزيران ١٩١٦ ، والتي أمر جمال باشا بفك رموزهما ، فاذا هو (أي الشريف) يعتذر في اولهما عن عدم استطاعته الاشتراك في الحملة على القناة ، الى أن تجاب طلباته الثلاث الى انور باشا ، والتي أن يكف جمال باشا من اتباع خطبة الابهام والغموض حيال الشريف حسين وأولاده (٢) .

اما خطابه للصدر الاعظم ، فقد قال فيه ، بعد فك رموزه ، بأنه لا يعرف أي الرجلين يصدق : لهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما أظهر له المجاملة والود (ويقصد جمال باشا) ، او ذلك الذي استعمل معه الفاظ جارحة مهينة (ويقصد انور باشا) . فهو يرى نفسه مضطراً الى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من انور باشا منذ شهرين (٣) .

(١) حول نص برقية الشريف حين الى انور باشا ، انظر سعيد ، الثورة ، ج ١ ، ص ص ١١٠ - ١١١ ، وموسى الحركة ، ص ص ١٩٤ - ١٩٦٥ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ١١١ ، ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٢) حول نص برقية الشريف حسين الى جمال باشا ، انظر الاعظمي ، القضية ، ج ٦ ، ص ٨٨ ، العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٣) للتفاصيل حول نص خطاب الشريف حسين الى الصدر الاعظم ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢ .

ويشير جمال باشا بأنه اتفق مع الامير فيصل على مفتاح شفرة محددة بينهما لاستعماله " اذا جد أمر غير عادي يريد اخباري به " ، فوردت الى جمال باشا رسالة بالارقام من الامير فيصل قبيل سفره الاخير الى المدينة قال فيها " لقد صدر الى الامر بوقف نقل المتطوعين الى سوريا لاسباب اومن ان ابسطها لك شخصياً متى تشرفت بلقائك . وقد ساعتي كثيراً الحالة الجديدة التي نشأت ، ولما كان من بواعث الالم أن لا تقع عيني عليك ثانية قبل تسوية الامور تسوية مرضية فاتشرف بخبرك أنتي ذاهب الى مكة لقضاء بعض الوقت " ^(١) .

وكان من الطبيعي ان يكون اشعاراً بهذه الثورة العربية باستخدام الشفرة ، نظراً لما يتطلبه الحديث من سرية وكتمان عاليين ، فيشير الامير فيصل بأنه قد اصطلاح مع نسيب بك البكري عند عودة الوفد من المديمة على نص خفي لبرقيتين احداهما ترمز الى اعلان الثورة وضرورة هروب الثوار من دمشق ، والاخري ترمز الى تأجيل ذلك . ولم يك الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً الى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقة من الامير هذا نصها :

دمشق - نسيب البكري

" ارسلوا الفرس الشقراء "

وكان هذا نص الشفرة المتفق عليها لتكون اشعاراً بهذه الثورة التي اعلنت فعلياً في ٥ حزيران ١٩١٦ ، والمفت للنظر أن الامير فيصل يقول من حسن حظنا أن جمال باشا لم يكن حينئذ في دمشق بل كان في القدس ^(٢) . ولا شك أن هذا يلقي الضوء على أن جمال باشا لديه خبرة و دراية على فهم ما تتضمنه البرقيات من رموز .

^(١) حول نصر رسالة الامير فيصل الى جمال باشا ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ، سعيد ، الثورة ، ج ١ ص ١١٩ .

^(٢) موسى ، الحركة ، ص ٢٦٨ ، موسى ، الحسين ن ص ٤١ ، حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص ٢٧-٢٨ .

المراسلات بالنيابة او بالوكالة :

شهدت المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده بعض البرقيات المرسلة بالنيابة او على لسان الغير ان صبح التعبير ، وهذا ما يكون في الحالات المستعجلة التي تكون بموجبها المسألة على غاية كبيرة من الامامية ، وهذا ما تستتجه من البرقية التي رفعها الامير عبدالله على لسان والده (الشريف حسين) الى السلطان عبدالحميد الثاني ، لأن مستوى المراسلات لا يليق ولا يحق لاولاد الشريف ان يخاطبوا السلطان ، ولكن اذا كان لا بد من ذلك ، فهنا يلجأ الامير بالكتابة على لسان والده حتى يحقق ذلك المستوى .

وافصح الامير عبدالله عن ذلك بقوله : " فكتبت نسخة برقية الى مقام السلطنة " ، جاء فيها " نظراً لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فإني انتظر من الاعطاف السنوية السلطانية عدم حرمانى حقى وتعيينى في مقام آبائى " ^(١) .

ويبدو الامر أكثر وضوحاً في اللقاء الذي تم بين الصدر الاعظم سعيد حليم والامير عبدالله ، اذ قال الاخير " أن أبي يقرئك السلام ، ويقول أنه لا ينتظر أن يدافع عن حقوق الشرافة وعن مقام آبائه واجداده في عهد صداررة سعيد حليم باشا حفيد محمد على باشا الكبير ، صديق البيت " ^(٢) .

وعلى أثر اعدام جمال باشا في ٦ مارس ١٩١٦ الرعييل الاول من القوميين العرب واعتقال آخرين ، كتب الامير فيصل على لسان والده الى جمال باشا يرجوه الكف عن ايذاء العرب ورجالهم البارزين لأنهم جميعاً مخلصون للخلافة العثمانية ،

^(١) حول نص برقية الامير عبدالله الى السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٤١ .

^(٢) حول نص لقاء الامير عبدالله مع الصدر الاعظم سعيد حليم ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٧-٨٨ .

فأجابه جمال باشا بأسلوب شديد اللهجة وبسخرية وازدراء قائلاً : " أن يتنقى نفسه (أي الشريف) بدل أن يدافع عن سواده" ^(١) .

كما ورد هذا النوع من المراسلات على لسان الامير علي وذلك خلال الرسالة التي بعثها إلى قائد قوات المدينة المنورة فخري باشا ، التي جاء فيها : " بناء على الاوامر الصادرة من أبي ، سيف نقل المتطوعين إلى فلسطين . وللهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين إلى مكة بدلاً من ضياع الوقت هنا " ^(٢) .

٤ - المراسلات غير المباشرة :

انعكست آثار الحرب الحجازية - العثمانية التي ثبتت أثر اعلن الثورة العربية في ١٠ حزيران ١٩١٦ على طبيعة المراسلات ، الامر الذي أدى إلى قتلها ، بل وانقطاعها في بعض الاحيان ، مما دفعنا إلى تلمس صيغ جديدة عبرت عن المراسلات المتباينة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده ، وهذه الصيغ ، على ما يبدو ، هي :

٥ - المنشورات صيغة للمراسلات :

أصدر الشريف حسين ، أثر قيام الثورة العربية ، جملة مناشير وجهها إلى العرب والمسلمين بما فيهم أبناء الدولة العثمانية ومسؤوليهم ، أعلن فيها الانفصال عن الاتحاديين واستقلال الحجاز ، مبيناً أن وجهة المناشير عربية - إسلامية ، فهي تكشف عن ترابط بين العروبة والإسلام ، وترى في الإسلام قوة للامة العربية وسندًا للقومية العربية ، كما انها ترى في الثورة العربية عزًا للإسلام وسيطًا للعودة إلى الشريعة الإسلامية ^(٣) . اذ جاء في منشوره الاول بأن ثورته " جاعلة مبدأها وغايتها

(١) حول نص رسالة الامير فيصل إلى جمال باشا ، انظر ، جريدة العالم العربي ، العدد ٤٣٧ في ٢٥ آب ١٩٢٥ ،

(٢) موسى ، الحركة ، ص ٢٧٣ ،

(٣) انظر الدوري ، المصدر السابق ، ص ٦٦٩ ،

نصرة الاسلام ، والسعى لاعلاء شأن المسلمين ، والمساواة الشرعية في الحقوق بينهم وبين جميع من يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين ، قائمة في كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف ... مع استعدادها لقبول ما ينطبق على اصول الدين ويلاكم شعائره في انواع فنون الترقى الحديث واسباب النهضة الصحيحة ... هذا ما قد قمنا به لداء الواجب الديني علينا «^(١)».

واعلن الشريف بأن ثورته لم تكن ثورة على الخلاة ولا على الخليفة نفسه ، بل أنه يقر بسلطة الخليفة ويدافع عنه لأن الاتحاديين جردوه من حقوقه^(٢) ، فيقول "أما سلبياتهم ماللسلطان المعظم من حق الاشراف الشرعي ، وكذا القانوني ، فهو لا يجهله أحد من أهل العاصمة ، وأهل المعرفة في جميع اقطار المملكة ، ولا من الاجانب ايضاً حتى أنه لا قدره له على اختيار رئيس الكتاب في سلطنته الشريفة ، ولا رئيس خاصته المجلة المنيفة ، فضلاً عن اختيار المصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، فضلاً عن النظر في امور المسلمين ومصالح العباد والبلاد ، وقد اسقطوا بهذا بقايا شروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون كافة ، اذ يجب على المسلمين ان يكون لهم امام (خليفة) شرعي مستقل ، قادر على التصرف في اقامة الشرع ورفع لواء العدل «^(٣)».

ويؤكد الشريف بأن ثورته لم تكن كرهاً للترك ولا للحكم العثماني العادل ، فهو ينتهي على الدولة العثمانية وعلى سلاطين آل عثمان^(٤) ، بقوله ان اشراف مك المكرمة كانوا أول الحكام المسلمين الذين اعترفوا بالدولة العثمانية ، ويشير الى البعد التي اوفدتها شريف مكة الى السلطان سليم الاول اثناء اقامته في مصر بعد فتحها سنة ١٥١٧ يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على القليم الحجاز ، وأكده بأن ذلك "رغبة

^(١) للتفاصيل عن المنشورات وتحليلها ، راجع المبحث الاول من "الفصل الرابع" .

^(٢) الاسد ، المصدر السابق ، من ١٨٣ .

^(٣) للتفاصيل عن منشورات الثورة ، راجع المبحث الاول من "الفصل الرابع" .

^(٤) الاسد ، المصدر السابق ، من ١٨٥ .

منهم في جمع كلمة المسلمين واحكاماً لعرى جامعتهم لتمسك سلطنتها من آل عثمان العظام ، طاب ثراهم وجعل دار الخلد مثواهم ، بعروة اليمان بكتاب الله وسنة رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ولبناء احكام دولتهم على الشريعة الغراء^(١) .

ومن هنا فالشريف اعتبر الثورة على سوء سياسة الاتحاديين ومظالمهم ، واجباً يقتضيه الدين والقومية ، فكانت الثورة العربية للنهوض بالامة العربية ، ولدفع السوء عن عرب الحجاز وغيرهم من الجماعات العربية بعد أن تعرضت لعداء الاتحاديين لجنسيتها (قوميتها) وللغتها العربية^(٢) بقوله فلتنهض الثورة "بامتنا للاخذ على ايدي الظالمين ... ودفع السوء عن عشائرنا وجماعاتنا العربية"^(٣) .

فضلاً عن ذلك ، فقد خاطب الشريف حسين المسؤولين العثمانيين ، بأن دخولهم الحرب خطأ كبيراً ، مخاطباً العرب على ضرورة السعي للخلاص منه ، مما يبرر ثورته^(٤) .

بــ المراسلات من خلال الصحف

رأى الشريف حسين ضرورة اصدار جريدة سياسية يستعين بها على بث الدعوة العربية ونشر آرائه السياسية ونشراته وانباء زحف الجيش العربي وانتصاراته على الاتراك .

ودارت اتصالات بينه وبين شريف الفاروقى مندوبه فى القاهرة ، وقد عهد إليه الشريف حسين بشراء ادوات الطباعة و(الكليشيات) والتعاقد مع العمال الفنانيين ، واستيراد كميات الورق اللازمة لاصدار الجريدة بحيث يتتوفر لها رصيد محترم من ورق الطباعة . وقد حضر من مصر الى مكة المكرمة الاستاذ محب الدين الخطيب

^(١) للتفاصيل عن منشورات الثورة ، راجع البحث الاول من الفصل الرابع .

^(٢) الدوري ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

^(٣) حول نص منشور الشريف الثالث ، الظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٤ ، ٣١ صفر ١٣٣٥ هـ (٣٠ نوفمبر ١٩١٦) ، ص ص ٢-١ .

^(٤) راجع نص المنصور الثاني ، انظر البحث الاول من الفصل الرابع .

- احد رجال الحركة العربية - لشرف على اصدار الجريدة^(١) ، وقد صدر العدد الاول منها يوم الاثنين الخامس عشر من شوال ١٣٣٤ هـ (الموافق الخامس عشر من شهر آب ١٩١٦) ، وجاء على النحو التالي اسم الجريدة في الصفحة الاولى : (وما جعلنا القبلة التي كانت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عتبه)

القبلة :-

جريدة سياسية اجتماعية تصدر مررتين في الاسبوع لخدمة الاسلام والعرب مكة المكرمة يوم الاثنين ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ .

وكانت تصدر في شعب حياد في قلب مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، وتصدروها مررتين في الاسبوع (الاثنين والخميس) ، ولقيت الجريدة رواجا كبيرا في العراق ومصر والهند فضلا عن الحجاز^(٢) . ونلاحظ بأن الدول الثلاث الاولى كانت تحت السيطرة البريطانية ، لذا لا غرابة ان تقدم بريطانيا على فتح ابواب هذه الدول امام الجريدة ، وخاصة وانها تنشر الاخبار التي تتعلق بظلم العثمانيين ومساوئ حكمهم واستبدادهم ، واستهانتهم بالعروبة والاسلام .

ومنها نستطيع ان ندرك النقد اللاذع الذي كانت تصدره القبلة ، لسان الثورة العربية على استبداد الاتحاديين وسياساتهم المفرقة والمصارفة ، وللتذيد بخطة التترىك الاتحادية ، واستئثار الاتجاه الطورانى ولتهجئم الاتراك على العرب والمسلمين وعلى دورهم التاريخي^(٣) .

(١) يظهر اسم محب الدين الخطيب مديرًا مسؤولاً لجريدة القبلة من العدد الثاني (الخميس ١٨ شوال ١٣٣٤ هـ) وكانت الرسائل ترسل اليه الى ادارة الجريدة بحاره حياد ، انظر ، الدوري ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩ هامش (٨٧) ، العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص من ٣٦٣-٣٦٤ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ، هامش رقم (١) .

(٢) للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص من ٢٧٩-٢٨٠ ، العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص من ٣٦٣-٣٦٤ .

(٣) انظر القبلة ، العدد ١ (١٥ شوال ١٣٣٤) ، العدد ٢ ، (١٨ شوال ١٣٣٤) ، والعدد ٩ ، (١٤ ذي القعدة ١٣٣٤) والعدد ١١ (٢١ ذي القعدة ١٣٣٤) وغيرها .

وفي المقابل كانت الصحف التركية تقوم بدور اعلامي خبيث من اجل التضليل على العرب وال المسلمين ، وخاصة دورها في مسألة الجهاد الديني ، اذ نشرت العديد من المقالات التي تؤكد تأييد الشريف حسين لتركيا قلبا و قالبا في استفار المسلمين للجهاد الديني ضد بريطانيا و حليفاتها دفاعا عن الاسلام والاماكن المقدسة . ومن الصحف التركية الذي قام بذلك ، صحيفة (الاتحاد العثماني) الصادرة في بيروت والتي جاء فيها " لقد نشرنا أمس نفلا عن مصادر رسمية ان الامير عبدالله ابن شريف مكة قد تطوع للعمل في سبيل الجهاد ، و معه فرقة كبيرة من رجال القبائل الحجازية ، و يوسعنا الان ان نؤكد ان شريف مكة قد اعلن الجهاد في جميع احياء الحجاز ملييا في ذلك رغبة الخليفة . و ان القبائل يستجيبون من كل ناحية لهذه الدعوة باسلحتهم الكاملة " ^(١) . بل ان الجريدة نفسها قد نشرت في مقال آخر ، على ما يبدو ، قولها " وقد فهمنا الان ان شريف مكة قد اعلن بتاريخ ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ الدعوة الى الجهاد في جميع احياء الحجاز مليية لرغبة الخليفة " ^(٢) . كما نشرت في بغداد صحيفة اخرى موالية للاتحاديين تسمى (صدر الاسلام) مثل هذه البيانات الاعلامية المضللة ^(٣) . ولا شك ان هذه المقالات تعد رسائل وهمية تدعوا الى استفار المسلمين للجهاد الديني بجانب الدولة ضد بريطانيا و حليفاتها .

ولكن عند قيام الثورة العربية الكبرى في ١٠ حزيران ١٩١٦ ، نلاحظ بان الصحف التركية لم تصد اي اشارة الا في ٢٩ حزيران ، أي بعد ٢٤ يوما من اعلان الثورة الفعلية و ٣٩ يوما من اعلانها الرسمي ، اذ جاء فيما نشرته جريدة الشرق الرسمية بان " بعض الفئات القبلية هاجمت بقعة في حوار المدينة " ، الا انها لم تذكر شيئا عن الشريف واولاده او عن احتلال مكة المكرمة وجدة . وبقي امر الثورة في طي الكتمان حتى ٢٦ تموز عام ١٩١٦ حيث سمحت الحكومة العثمانية لجريدة

^(١) الصواب ، المصدر السابق ، ص ١٨٨.

^(٢) شرف ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

^(٣) الصواب ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(طنين) الصادرة في القسطنطينية ان تنشر على الناس صورة مشوهة عن الثورة . وهكذا ظلت الصحافة التركية على مدى عدة أشهر تسمى ثورة الشريف عصيانا فربما ثارته مؤامرة بريطانية^(١) .

ج - المراسلات من خلال الوساطات الشخصية :

شهدت السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى وساطات عثمانية لعقد الصلح مع الشريف حسين والقادة الحجازيين ، ومررت محاولات الفاهم او الوساطات بين الجانبين بثلاثة ادوار هامة لم تسفر عن نتائج ايجابية . تمثل الدور الاول بجهود جمال باشا ، وتمثل الدوران الثاني والثالث بمقابلات جمال باشا الصغير مع المسؤولين الحجازيين .

فقد جاءت عروض العثمانيين الاولى للصلح على يد جمال باشا في اواخر تشرين الثاني ١٩١٧ ، اذ بعث بثلاث رسائل الى القادة الحجازيين اثنتين منها الى كل من الامير فيصل ، والقائد جعفر العسكري ، فيما كانت الثالثة للامير عبدالله بتاريخ ٥ كانون الاول ١٩١٧ ، جاء فيها اقرار العثمانيين للحكم الذاتي الكامل للولايات العربية ، والاعتراف باستقلال العرب . ولكن الشريف حسين رفض العروض العثمانية ، بعد ان عرضها عليه ابنه فيصل ، بل وارسل رسالتان لفيصل تفضي بان لا يتخذ أي اجراء في الوقت الحاضر ، وعدم التدخل في موضوع الصلح وانه لا يمكن التقارب مع العثمانيين نهائيا ، مشيرا الى تفته (أي الحسين) بالحلفاء واعتبرهم السند القوي له^(٢) .

وفي الاول من شباط عام ١٩١٨ ، عاود الاتحاديون مرة أخرى طرق باب الصلح مع الشريف حسين على يد جمال باشا (الصغير) ، الذي أوفد رسولا الى الامير فيصل . يدعوه مجددا لعقد الصلح ، فلم يعارض فيصل عرض الصلح شريطة

^(١) المصواف ، المصدر السابق ، من ١٨٨ انطونيوس - المصدر السابق ، ص من ٢٩٧-٢٩٨ .

^(٢) حول نصوص رسائل جمال باشا الى فيصل وجعفر وعبدالله ، وتحليلها وردود فعل الشريف حسين عن العرض ، راجع المبحث الثالث ، الفصل الرابع .

انسحاب القوات العثمانية من المدينة المنورة ومعان وجميع محطات سكة الحديد حتى عمان ، ولكن والده الحسين أصر على رفضه لمشروع الصلح ، مؤكداً لفيصل تفته ببريطانيا ووفاء الحلفاء بوعودهم ، ثم بعث الحسين بدعة جمال الصغير وموقفه منها إلى السير وونجت^(١) .

ومرة أخرى حاول جمال باشا الصغير مذيد الصلح مع الامير فيصل وذلك في ٥ حزيران ١٩١٨ واجاب فيصل بالقبول مقابل الشروط الآتية :-

١- نقل جميع القوات العسكرية المرابطة على خط سكة الحديد بين المدينة عمان إلى عمان .

٢- التحاق جميع الضباط العرب الموجوين في الاناضول والروملي بالجيش العربي .

٣- يوضع الجيش العربي تحت امرة قائد حالة اشتراكه بجانب الدولة العثمانية ضد العدو .

٤- اعطاء سوريا استقلالاً ذاتياً .

٥- تتمتع القوات العثمانية من الاستحواذ على اية كمية من المواد التموينية الموجودة في سوريا في الوقت الحاضر ، لتبقى تحت تصرف الجيش العربي .

وارسل جمال الصغير مبعوثاً عنه هو الامير محمد سعيد الجزائري ليتولى مهمة التفاوض مع الامير فيصل ، واعلن الجزائري اثناء المفاوضات عن استعداد دولته لقبول جميع المطالبات التي يتقدم بها العرب ، ولكن ثقوق الشريف عسكرياً مقابل خسائر وهزائم الدولة العثمانية العديدة في الحرب ، جعل فيصل يطرح مطلب اساسي ، يتمثل بحرية واستقلال العرب ضمن اتحاد لا مركزي مع الدولة العثمانية ، شريطة موافقة العرب على الصلح مع الدولة العثمانية ، وكان من الطبيعي ان يرفض

(١) حول المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده وبعض القادة الحجازيين التي قامت اثر محاولات الصلح العثماني - الحجازي ، راجع المبحث الثالث من الفصل الرابع .

الاتحاديين ذلك^(١) ، وبالتالي فشلت آخر محاولات الصلح بين الهاشميين والعثمانيين خلال الحرب . والذي يهمنا ان هذه المحاولات التي قام بها الوسطاء كانت احدى وسائل تبادل المراسلات بين الجانبين .

(١) حول المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده وبعض القادة الجازيين ، التي قامت اثر محاولات الصلح العثماني - الحجازي ، راجع المبحث الثالث من الفصل الرابع .

ثانياً - لهجة المراسلات وتطورها :

عكست لهجة الرسائل المتبادلة بين مسؤولي الدولية العثمانية والشريف حسين وأولاده ، طبيعة العلاقات القائمة بينهما ، وقد اتخذت المراسلات المتبادلة ابان المرحلة (١٩٠٨ - ١٩١٨) الشكلا مختلفاً من اللهجات ، وفقاً لما تتضمنه المصطحبة العامة للجانبين .

ويمكننا تقسيم ذلك الى ثلاثة مراحل :

١- مرحلة ما قبل الحرب :

استهلت هذه المرحلة بتقديم الشريف حسين مذكرات رقيقة الى السلطان عبدالحميد الثاني بواسطة الصدر الاعظم كامل باشا ، يرجوه فيها تعيينه في منصب الشرافة على مكة ، الذي شفر بوفاة عميه الشريف عبدالله ، على أساس انه اكبر افراد العائلة الهاشمية سنا واحقهم بمقام آبائه ، اذ جاء في مذكرته ما يأتي : "بناء على وفاة عمي الشريف عبدالله بن محمد أمير مكة المكرمة ، بعد عزل ابن عمي الشريف علي بن عبدالله بن محمد وخلو مقام الامارة ، ولكوني أنس العائلة الهاشمية واحقها بمقام الآباء ، استرجم جلالة السلطان ان يتكرم بياصالي الى حقي الذي لا يخفى على جلالته مع خالص صداقتي واخلاصي " (١).

وتضمنت نفس اللهجة برقة الامير عبدالله الذي كتبها على لسان والده والتي جاء فيها : " نظراً لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فأنني انتظر من الاعطاف السنوية السلطانية عدم حرمانني حقي وتعييني في مقام آبائي " (٢).

(١) حول مذكرة الشريف حسين الى السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر عبدالله لن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ٢٠-٢١.

(٢) حول برقة الامير عبدالله الى السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر المصدر نفسه ، ص ٢١.

وفي المقابل عُ肯 الفرمان السلطاني الخاص بتعيين الشريف حسين أميراً على مكة ، ومذكرة الصدر الاعظم كامل باشا الخاصة بتوضيح صلاحيات الشريف في الامارة ، نفس مظاهر الود والاحترام المتبادل ، اذ ما جاء في مذكرة الاخير قوله " قوموا بواجباتكم السامية على أساس التعامل القديم وفتكم الله للخير . وان اعتماد الحضرة الملكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج الى تأكيد "(١) .

ولكن هذه اللهجة اتّخذت شكلاً آخرًا عند مجئ الاتحاديين إلى الحكم ، والذين حاولوا تطبيق السياسة المركزية في الحجاز ، الامر الذي دفع بالشريف حسين ، ومنذ وصوله الحجاز ، إلى اظهار نزعته المعارضنة لتلك السياسة ، يدفعه طموحه ، لتنزيت مركزه وسيادته في البلاد .

ويمكنا ان نلمس هذه الحقيقة من أول مقابلة بين الشريف والاتحاديين عندما قابله نفرا منهم لاجل استقباله ، واعلانيهم عن املهم في قيامه باجراءات اصلاحية في طريقة الحكم في الحجاز على اسس عصرية متمنه ، فثار الشريف في وجههم قائلا " ان الحجاز هو ارض الله ، وان الحكم الوحيد الذي سيظل سائدا فيه هو شريعة الله وقانونه السماوي وتعاليم رسوله العظيم " ، مؤكدا ان أي قانون آخر مهما وضع في تركيابن يسرى مفعوله في الحجاز (٢) .

ولا شك ان هذا كان ايذانا ببدء الخلاف العلني بين الشريف حسين وبين الاتحاليين ، الذين علموا بالأمر اثر البرقية التي استلموها من وفدهم في جده والد جاء فيها "بعث عبدالحميد برجل جلس على مقام اسلافه لا يعبأ بأحد ، ولا يقر بمستشار ولا يتجدد" (٣).

^(١) حول فرمان السلطان عبد الحميد الثاني ومذكرة صدره الاعظم كامل باشا انظر المصدر نفسه ، ص ٣١ ، موريش ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

^(٤) حول نص كلمة الاتحاديين ورد الشريف عليها ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٣٧ .
سعید الثرۃ ، ج ١ ، ص ٤٥ ، موریس ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

^(٣) عبد الله بن الحسين ، مذكرة أبي ، ص ٣٧-٣٨ .

وهكذا سادت لهجة التحذير والتحدي طابع المراسلات المتبادلة بين الشريف والاتحاديين ، بل سرعان ما اتخذت طابع التهديد والوعيد ، من اجل تجريد الشريف حسين من معظم امتيازاته الدينية والسياسية في الحجاز وبالتالي الى عزله^(١) .

ويتبين ذلك بشكل واضح من التعليمات التي زودوا بها واليهم في الحجاز وهيب باشا والتي جاء فيها : "اننا نعلم ان الشريف حسين يعمل بكل قواه في سبيل استقلال العرب وسلخ هذه البلاد عن السلطة العثمانية ، ولهذا اعتزمنا عزله وتولية الشريف علي حيدر (من آل زيد) بدلا عنه . فعليك حين وصولك الى مكة ان توجد خلافاً بين مقامي الولاية والامارة لنتمكن من تحقيق هذا الهدف "^(٢) .

وتتبين لهجة التهديد والوعيد بشكل اكثر في مقابلات وبرقيات انور وطلعت باشا ، ومنها مقابلة الاول للامير عبدالله بشأن سياسة الاتحاديين بتطبيق قانون الولايات العثماني في الحجاز ومد سكة الحديد الى مكة ، وما صاحبها من رفض واستكثار الاشراف لها ، اذ بدأ انور مقابلته مع عبدالله مهدداً : "ما هذا ؟ نحن نريد لو استطعنا ان نخلق من الشجر رجالاً لنضيقهم على اعدائنا ، والحجاز يقتل فيه رجال الامن ... "^(٣) .

ويرزت هذه اللهجة ايضاً في محادثة طلعت باشا مع الامير عبدالله ، بخصوص المسألة نفسها ، اذ بدأ طلعت بالقول للامير " اسمع ، انه لا يمكننا تغيير الولاية في كل شهر ، ولكن الذي يمكننا هو انشاء الخط الحديدي من المدينة الى مكة ومن جهة الى مكة ، ومن ينبع الى المدينة ، فان قام بذلك بمسؤولياته في هذا الباب ،

(١) للتفاصيل عن المراسلات التي اتخذت طابع التهديد والوعيد بين الجانبين ، انظر المبحث الثالث من الفصل الثاني .

(٢) حول سياسة الوالي وهيب باشا اتجاه الشريف واولاده ، انظر المبحث الخامس من الفصل الرابع .

(٣) للتفاصيل عن مقابلة انور باشا مع الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، من ص ٩٣-٩٤ .

عملنا له كل ما يريد . وان رفض فلا وداد ولا بقاء " ، ثم عرض عليه اربعة شروط لينقلها الى والده ، وقال له مهددا " وان رفض فلا عتب"^(١).

ولا شك ان في هذه اللهجة تهديدا واضحا من الحكومة العثمانية اذ انها في حالة رفض الشريف للشروط ستتخذ الاجراءات التي تراها مناسبة . اما بشأن الشكوى التي رفعها الامير عبدالله ضد تصرفات الوالي واعتداءاته على صلاحيات الشريف ، قال طلعت باشا وزير الداخلية ان حكومته لا تبالي بان تغير الولاية شهرا بعد الشهر ، وان ما يهمها هو تنفيذ السياسة التي تضعها .

وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه المرحلة تخلتها دعوات استجاد من الباب العالي الى الشريف حسين ، من اجل التوفيق بين القبائل الحجازية والسلطات الحكومية^(٢).

او محاربة كل من حاول القيام على الدولة او الانفصال عنها^(٣) ، اذ ان الشريف قد اظهر اخلاصه للدولة العثمانية ولم يتزدد ابدا في الاستجابة لمراسلات الباب العالي بهذا الشأن .

- مرحلة ما قبل الثورة :

اتسمت المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية من جانب والشريف حسين وأولاده من جانب آخر ، ابان المرحلة الاولى من الحرب العالمية الاولى ، بطابع التودد والمجاملة والاستشارة من الجانب الاول ، والرجاء والنصر وتحذير

(١) للتفاصيل عن محادثة طلعت باشا مع الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراتي ، ص ص ٩٣-٩٤.

(٢) حول نص دعوات الاستجاد العثماني من الشريف حسين ، انظر المبحث الرابع من الفصل الثاني .

(٣) ويقصد به حمله الشريف على نجد واليمن وحسير ، انظر المصدر نفسه ، اما بشأن القبائل الحجازية ، فان التقارير الورادة للباب العالي تؤكد بأن "بدو الحجاز قد جلبوا السكينة باجراءات الشريف الحكمة ..." انظر السعدون ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

واللهجة المزدوجة من الجانب الثاني ، فضلا عن لهجة التمويه والخداع من الجانبين .

يتضح ذلك من آخر رسالة بين الاتحابيين والشريف والصادرة من ابرز اقطابها طلعت باشا ، قبيل اندلاع الحرب ، وتؤكد على ضرورة مجاملة الشريف وعدم اثارته والتزول عند رأيه في مسألة السكة^(١) .

ويبدو ان هذا امرا طبيعيا من جانب الاتحابيين في هذه المرحلة ، لأن مصلحتهم تتلخص في الاستفادة من الشريف كورقة رابحة تسندهم عند دخولهم الحرب ، وذلك باعلانه الجهاد لتعينة الشعور الاسلامي بجانبهم ، نظرا لما يتمتع به الشريف من مكانة مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين . ولكن الشريف ادرك ان سياسة الاتحابيين هذه هي مهادنه وقوته . لذا نلحظه يرسل الى السلطان والصدر الاعظم وغيره من كبار مسؤولي الدولة ، يحذرهم من مغبة الدخول في الحرب ضد دول الحلفاء التي تحيط باراضي الدولة العثمانية ، مشيرا الى ضعف الدولة بعد الحرب البلقانية ، مستعرضًا في رسائله حالة اوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها^(٢) ، بل انه اعلن رجائه للسلطان محمد رشاد بعدم دخوله الحرب بقوله : " واستخلف جلالتكم بان لا تدخلوا الحرب"^(٣) .

وحذر الشريف الصدر الاعظم وانور باشا ، عندما استشاراه في دخول الحرب ، بقوله بان دخول الحرب يعد"خرق عظيم وخيانه للامانة ، وان البلاد ياجمعها لا ترضى عن حرب ضد هذه الدول" ، ولكنه يلجا الى اللهجة المزدوجة ، بقوله " وانهم وان كانوا عزموا على هذا ، فقبل نشوب الحرب عليهم ان يزودوا

(١) للتفاصيل انظر ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص من ٩٨-١٠١ ، موسى ، الحركة ، من ٨١ .

(٢) حول اللهجة المراسلات وتطورها بشأن فكرة دخول الدولة العثمانية الحرب ، انظر المبحث الاول ، الفصل الخامس .

(٣) حول رسالة الشريف حسين التحذيرية للسلطان محمد رشاد ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص من ١٠٣ - ١٠٤ ، زين ، سباب ، ص ٥٧ ، موسى،الحسين، ص ٤١ .

الجيش الخامس في اليمن بما يكفيه لثلاث سنوات وباحتياطي لما يطلب من مجاهدين ، وكذلك العمل لفرقه العسكرية بعسير وكذلك بالحجاز .

وإنه يجب الإسراع في هذه المدة بخزن المؤن في الولايات لمدة لا تقل عن خمس سنوات ، ويحذرهم قائلاً " وان لم تفعلوا هذا فهم سيضعون هذه البلاد في أخرج مركز قد ينضي بهم إلى ما لا تحمد عقباه "(١) . ولم تتضمن اجابة مسؤولي الدولة العثمانية عنه ، أكثر من شكرها لنصائحه (٢) .

وجمع الشريف حسين في لهجته المزدوجة هذه بين رفضه دخول تركياً للحرب ، وبين الدعوة لاتخاذ الترتيبات والاحتياطات العسكرية والاقتصادية الازمة لتنقیص آثار الحرب عن الجزيرة العربية . ولا شك ان هذا التحول في اسلوب ولهجة الشريف قد اشارت احد الباحثين الذي قال : ان " هذه الاراء من السداد والحكمة بحيث ترينا مقدرة هذا الشريف من ادراك وفهم التيارات السياسية وقتها "(٣) .

وعند دخول الدولة العثمانية الحرب ، اعلنت الدعوة الى الجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها ، وفي الوقت نفسه اتجهت الى اسلوب التردد والرجاء للشريف من اجل اصداره اعلاناً بالجهاد ، اذ تلقى الشريف سيلآ من الرسائل والبرقيات حملت توقيع كبار حكومة الاستانة ، من امثال الصدر الاعظم واثور وطلعت وجمال باشا (٤) .

هذا الموقف الجديد دفع بالشريف الى العودة الى سلوك الاسلوب المزدوج في مراساته مع مسؤولي الدولة ، بهدف التهرب من اصدار الاعلان ، فحاول أن يسوق

(١) حول نص الرسالة الجوابية التي بعثها الشريف حسين الى الصدر الاعظم وزير الحرية ، النظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، من ص ٤٠٥-٤٠٦ .

(٢) حول نص جواب الباب العالي للشريف حسين ، النظر المصدر نفسه ، من ٤٠٥ .

(٣) ثرف ، المصدر السابق ، من ٥٢ .

(٤) النظر انطونيوس ، المصدر السابق ، من ص ٢٢٤-٢٢٥ ، مورييس ، المصدر السابق ، من ٣٨ ، يعني ، المصدر السابق ، من ١٣٦ .

للدولة اعذاراً تبدو في ظاهرها قوية ولكنها كانت في حقيقة أمرها تبريرات تخفي وراءها سراً دفيناً هو الا يندفع في تحديد موقف مؤيد للاتحاديين من جهة ، ولا يسمح لهم باستدراجه الى تحقيق هدفهم المنشود في اصدار الجihad الديني من جهة أخرى ، اذ ورد في رسائله الجوابية " أنه يؤيد من اعمق قلبه الدعوة الى الجهاد ، ويتضارع الى الله سبحانه وتعالى ان يكل بالنجاح جهاد المسلمين في الدفاع عن دينهم ، ولكن يرى أن اقدامه على اصدار بيان علني يدعو فيه المسلمين الى الجهاد أمر ينطوي على مخاطر " ، وممضى الشريف يبين تلك المخاطر^(١).

ويبدو أن هذه اللهجة لم تقوت على الاتحاديين ، بدليل التجاهم الى لهجة خداع الجماهير عن طريق التصريحات والحملات الاعلامية المضللة ، التي تشير الى ان الشريف حسين قد بارك الدعوة الى الجهاد التي اصدرها السلطان وحكومته ، بل انهم استخدمو لهاجة الخداع مع الشريف نفسه من أجل عزله ، بعد أن ينسوا من استصدار دعوة للجهاد منه ، ويتضح ذلك من توجيههم دعوة رقيقة للشريف لزيارة دمشق بحجة اجراء مباحثات مع جمال باشا ، ولكن الشريف ادرك ذلك الامر الذي دفعه الى رفض الدعوة . وارد الشريف حسين ان يتضي على اسلوب البرودة بينه وبين الاتحاديين فأعلن موافقته من الاشتراك في الحملة العثمانية على قناة السويس ، الامر الذي احدث ارتياحاً كبيراً لدى حكومة الاستانة^(٢).

وهكذا استمر الشريف طيلة هذه المرحلة باستخدام اسلوب لهجة التمويه على الاتحاديين ليثبت لهم حرصه على تنفيذ مطاليب واهداف الدولة العثمانية وليرحد من شكوكهم نحوه ، ريثما ينتهي من المفاوضات بينه وبين البريطانيين هذه من جهة ، ومن جهة أخرى ربما يكون القصد وراء لهجته التمويهية هذه للحلولة دون تعرض الحركة العربية المتامية الى الخطر ، لا سيما وأن جمال باشا أخذ يسوق العديد من الاحرار العرب الى المشائق ، واستخدامه اللهجة الشديدة ضد الشريف واولاده .

(١) حول نص رسالة الشريف ، انظر موريس ، المصدر السابق ، ص ٣٨ ، يحيى ، المصدر السابق ، من ١٣٦ .

(٢) حول موقف الاتحاديين من سياسة الشريف نحوهم ، انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث .

ويتضح ذلك من قوله للأمير فيصل الذي عرض طلب والده بالغفران عن المعتقلين السياسيين والذي جاء فيه "أن يتقى نفسه (أي الشريف) بدل أن يدافع عن سواه"^(١). ويصف الأمير فيصل حالة جمال المضطربة بقوله "وقال لي في اتفه ان نابليون عمل لنفسه ذات يوم تمثلاً ، وطلب من صانع احذيته أن يرى أن كان في حذاء التمثال ما يوجب التغيير ليكون مطابقاً للواقع ، فعاب صانع الاحذية حذاء التمثال وتدرج الى عب البنطلون فقال له نابليون : لا ، انت صانع احذية ويجب أن تتف عند رأيك في الحذاء فقط . كذلك يجب أن يكون أمير مكة في حدود عمله ولا رأي له في أن نشنق أو لا نشنق"^(٢).

وأوضح الشريف في خطابه الى الصدر الاعظم اسلوب وزرائه وبالذات انور وجمال بقوله " انه لا يعرف أي الرجلين يصدق : أهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما اظهر له المجاملة والود (ويقصد به جمال باشا) ، ام ذلك الذي استعمل معه الفاظاً جارحة (ويقصد به انور باشا)"^(٣).

واخيراً نلمس بان الشريف حسين قد نجح بحكمته ودهائه من تمرير اساليبه على الاتحاديين ، واستطاع ان يسحب جميع قادته من تحت ايديهم وامام انظارهم^(٤) ، ليعلن في ١٠ حزيران ١٩١٦ ثورة العرب الكبرى من الحجاز .

(١) جريدة العالم العربي ، العدد ٤٣٧ ، ٢٥ آب ١٩٢٥ (وحديث مع جلاله فيصل الاول مع سليمان اللنبي فوزي صاحب الكشكوك)

(٢) حول لقاء فيصل مع جمال ، انظر جريدة العالم العربي ، العدد ٤٣٧ ، ٢٥ آب ١٩٢٥ (حديث مع جلاله فيصل الاول مع سليمان اللنبي فوزي صاحب الكشكوك)

(٣) للتفاصيل حول نص خطاب الشريف الى الصدر الاعظم ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، من ٢٤٨ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج ١ ، من ٤٢

(٤) للتفاصيل راجع الصفحات الاخيرة من البحث الرابع ، الفصل الثالث .

٣- مرحلة الثورة العربية :

يمكنا القول بأن اللهجة الشديدة المتمثلة بالتحذير والتهديد والوعيد هي التي طغت على أجواء المراسلات المتباينة بين القادة الحجازيين والعمانيين بعد أن أعلن الشريف حسين ثورته في الحجاز .

لقد دعا الشريف حسين في منشوراته جميع العرب والمسلمين الى الثورة على الدولة العثمانية لنيل استقلالهم ، والقضاء على الطغيان المتعسف التي قامت به عصبة أنور وجمال وطلعت أقطاب جمعية الاتحاد والترقي ضد العرب والمسلمين واعلن الشريف بيان ثورته هي واجب ديني قومي وفرصة منحها الله للمسلمين لبلوغ الاستقلال^(١).

وقد أشارت هذه الدعوات الاتحاديين لأنها هدفت إلى تعطيل سندتهم القوي والفعال في العرب وهو الجهاد المقدس ، وليس ادل على ذلك من لهجة جمال باشا الشديدة المصحوبة بالتنبيح والغضب والتي جاء فيها " من المؤسف أن إمرءاً دينياً قد عطل الجهاد المقدس في صميم الأرض الإسلامية المقدسة "(٢) .

ومن جهة الصيغ لهجة القادة الحجازيين بالتأكيد على دعامتى الدين والقومية ، كما هو واضح من منشورات الشريف ، وبيان 'دولة الترك لا تعمل لأجل دين أو عمل عام ينفع البلاد ، وإنها أعلنت الجهاد مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها مثل العرب " على حد تعبير الامير فيصل^(٣) .

وان لهجة الاتحاديين ، في هذه المرحلة تميزت بالعنف والتهور بل ساد طابع لغة للذم على تصریحاتهم ، بل وصل الحد الى أن جمال باشا كاد أن يرسل بنائب دمشق فارس الخوري الى المشنقة ، لأنه لم يبلغه عبارة كان سمعها عن استعداد جماعة من الناس للانتقام لشهداء ٦ ايلار ١٩١٦ ، كي يتلافي " الخطب قبل وقوعه ".

^(١) حول نص مشورات للشريف وتحليلها ، انظر المبحث الاول من الفصل الرابع .

^(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

(٣) طلب ، تاريخ ، ص ٦٥ .

وذلك على حد قول جمال " لأن في صلاً كان في قبضة يدي يراوغني ويغدعني فكان لي إمكان أن أقبض عليه ، وكان أخوه علي في متناول يد الحكومة في المدينة . فلو لئك أخبرتني كنت حجزتهم رهينة عندي فلا يجرؤ ذلك الشيخ الخرف والدهما على اعلان العصيان ولداه في قبضة يدي "(١) ... وهكذا يظهر جلياً النفس المضطربة للقادة الاتحاديين عند اعلان الثورة عليهم .

ويبدو ان الاضطراب كان كبيراً على سلوك طلعت بك ، الذي صرخ لتر اعلان الثورة قائلاً " نحن لا نحترم إلا رماة القنابل وحملة الديناميت والعرب لا يستحقون احترامنا واهتمامنا لأنهم ليسوا من هولاء ولا من أولئك "(٢) .

وتجه الاتحاديون الى اسلوب ضرب العرب بالعرب ، وذلك بعزلهم الشريف حسين (آل عون) وتعيين الشريف علي حيدر (آل زيد) بدله ، إلا أن سياستهم هذه باعث بالفشل لأن شخصية وشعبية الشريف حسين كانت قد ترسخت أكثر في نفوس وعقول معظم العرب والمسلمين ، الذين اعلنوا مبايعتهم للشريف ملكاً على البلاد العربية "(٣)" .

واخيراً التجأ الاتحاديون الى اسلوب المصالحة ، التي مرت بثلاثة ادوار هامة ، تمثل الدور الاول بجهود جمال باشا ، وتمثل الدوران الثاني والثالث بمقاؤضات جمال باشا الصغير مع القادة الحجازيين ، لكنها لم تسفر عن نتيجة ، لأن الاتحاديين لم يعبروا عن نيات صادقة بشأن محالات الصلح مع العرب ، بقدر ما كانت تهدف الى شق صف رجال الثورة ، من أجل حدوث خلاف بينهم حول مسألة قبول العرض العثماني بالصلح أو عدم قبوله ، اذ أن قبول هولاء لفكرة الصلح يعد كسباً كبيراً للعثمانيين ، ولم يتمكنوا من ذلك لأن العرب اتفقوا على رأي واحد ، وتمسكون به ، وهو حرفيتهم واستقلالهم ضمن اتحاد لا مركزي مع الدولة العثمانية "(٤)" ، الامر الذي

(١) موسى ، الحركة ، ص ٢٨٠ .

(٢) جريدة القبلة ، السنة الثالثة ، العدد ١٢٠ ، الاثنين ٤ صفر ١٣٣٦ م .

(٣) للتفاصيل انظر المبحث الثاني من الفصل الرابع .

(٤) للتفاصيل ، انظر المبحث الثالث من الفصل الرابع .

اسقط كل مراهنات وأساليب الاتحاديين الملتوية من جهة ، وحقق للعرب ما كانوا
يصبون اليه من حرية واستقلال ، بفضل نجاح ثورتهم التي رفع لواءها أمير مكة
المكرمة وشيفها الحسين بن علي.

الخاتمة

الخاتمة

لقد اتضح من خلال قراءة فصول الرسالة ، بأن المراسلات الشريفية - العثمانية قد اتسمت بالود والاحترام المتبادل حتى مجيء الاتحاديين عام ١٩٠٩ ، بل كشفت هذه المرحلة التحالف الإقليمي القائم على بناء مصالح مشتركة سليمة بين اشراف مكة والعثمانيين منذ عام ١٥١٧ ، اذ كان الادارة قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبيرى ، لغرض سيادة الامن والاستقرار الإقليمي والمحلى ، كما ان العثمانيين قد استفادوا من المقارنة الدينية المقدسة لطبقة الادارة لغرض الاستحواذ على ولاء العالم الاسلامي قاطبة . او بعبير آخر ان حكم الادارة لمكة قد سار جنبا الى جنب مع السلطة الروحية القديمة التي كانوا يمارسونها ، والتي تعززت من خلال العثمانيين بـ " السلطة الزمنية المحلية " . اذ كشفت الدراسة ان اشراف مكة هم السلالة العربية الاولى التي اعتمد عليها البلاط اعتمادا اساسيا في الحجاز ، وبصورة خاصة في مكة منذ بداية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين لأن اشراف مكة هم جزءا مهما من بنية النظام العربي القديم الذي استطاع البلاط العثماني ان يوظفه لصالحه ، وخصوصا ما يتعلق بذلك بشأن الاماكن الاسلامية المقدسة ، وخلصت الدراسة في هذه المرحلة ، ومن خلال المراسلات ، بأن العلاقات تكاد تكون ثابته بين الحكام العثمانيين كـ " السلاطين " و " اشراف مكة " ، ما دام هؤلاء الادارة لم يتبرروا أي حقوق سلطوية عربية (كقرشيو عرب) بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطات في الاسلام .

و عند تولي الشريف حسين لمنصب الشرافة وامارة مكة المكرمة عام ١٩٠٨ حاول جاهدا المحافظة على السلطنتين الروحية والزمنية للحجاج التي قلل من شأنها العثمانيين مستغلين بذلك سوء ادارة من سبقة من الادارة للحجاج . وانتهت الاتحاديون عند بروزهم على الساحة السياسية عام ١٩٠٩ ، سياسة التقليل من سلطات الشريف وفرض السلطة المركزية على اقليم الحجاز وجعله اقليما حاله حال الاقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية ، وذلك بتطبيق نظام الولايات العثمانية عليه فضلا عن تطبيق التجنيد الالزامي على سكانه ، ومذ سلك الحيد الى مكة ، وقد كشفت المراسلات هذه السياسة ، كما

كشفت ايضاً استياء الشريف حسين وأولاده وبقية علماء ووجهاء الحجاز منها ، لأنهم لا يرثبون رؤية الولاية العثمانية وهم يعتصبون سلطات شريفهم وفرض النظام على أقاليمهم ، لأنهم يعدون الشريف هو الحكم التقليدي ، وباستمرار حكمه يتم المحافظة على القيم والتقاليد الروحية الحية لديهم ، فضلاً عن ذلك فقد كان الشريف يمثل رمزاً لكيانهم الشبه مستقل ، وحاميه من سياسة الاتحاديين الطورانية ، وكان حرمانهم من سلطات حكم شريفهم ونفوذه معناه احكام سيطرة قبضة الاتحاديين على الحجاز ، وكانت خطورة الاتحاديين تكمن ايضاً في تركيزهم على اثار النزعات الاسرية التقليدية بين اشراف مكة وبالذات بين آل عون وآل زيد .

وأخذت هذه المراسلات طابعاً آخر عند اعلان الحرب العالمية الاولى ، اذ اتسمت بالتوعد والمجاملة والاستشارة والنصائح والتحذير ، فضلاً عن اللهجة المزدوجة من قبل الجانبيين ، وبالذات من الاتحاديين الذين رأوا في الشريف حسين ورقة رابحة ممكن الاستاد اليها عند دخولهم الحرب ، وذلك لما يتمتع به الشريف من مكانه مرموقة ومتزلة محترمة في نفوس المسلمين ، وبذا رغب الاتحاديين بضرورة اعلانه الجهاد لتبنيه الشعور الاسلامي بجانبهم ، ولكن الشريف حسين ادرك بان سياسة الاتحاديين هذه هي مهادنة وقية تتضمنها ظروف المرحلة التي تمر بها الدولة العثمانية ، لذا لجأ الشريف الى نصح العثمانيين بعدم دخول الحرب وحذرهم من مخاطرها ونصحهم بتأمين المستلزمات الأساسية للحيلولة دون امتداد آثارها على بقية أقاليم الدولة ومنها الحجاز . ولكن دخول الدولة العثمانية الحرب حتم على الشريف حسين اتباع سياسة ترمي الى نيل الأقاليم العربية استقلالها من الدولة ، وبذا بدأ اتصالاته بالبريطانيين لتنفيذ ذلك والتي توجهها بعملة العسكري الجريء في ١٠ حزيران ١٩١٦ باعلان ثورته على السياسة الطورانية الاتحادية من أجل انقاد الدين الاسلامي والقومية العربية من آثار تلك السياسة الاتحادية ، واستمر الشريف في نهجه القومي حتى تحقيق النصر التام لثورته التي ساهمت بشكل مباشر وفعال في هزيمة الاتحاديين في الحرب العالمية الاولى ، وبذا اعاد الشريف ، بفضل ثورته ، المجد لامتنا العربية ، فضلاً عن اماتته اللثام عن حقيقة السياسة العثمانية

- الاتحادية المتسترة وراء الدين الاسلامي واعلائهم ظلما وبهتانا امتداد الخلافة الاسلامية
لليهم . اي اسقاطة اسطورة الخلافة العثمانية باعلان ثورته الاسلامية - العربية .

(الملاحق)

ملحق رقم [١]

فرمان تعين الشريف حسين أميراً لمكة المكرمة (١)

بما ان الله سبحانه وتعالى جل شأنه وعم نواله قد نظم خلق كونه واحسنه وجعل كل شيء عنده بمقدار ، فقد اختص ذاتي بكمال قدرته الازلية لتكون خليفة للإسلام ولسلطاناً للثبات وجعلني سبحانه وتعالى بكمال عدله شرف الملوك ، وجعل سدي ملحاً للخاص والعام لذا كان من الواجب على ذاتنا الشاهانية ، والمحتم على دولتنا العلية ان يجعل ابواب عواطفنا الملوكية مفتوحة لكل من قام بحسن خدمتنا ، وبرهن بعمله على صداقته لدولتنا العلية حيث ان انواع مكارمنا التي لا غاية لها متournéeة لذوي الصدق من رجالنا وانت أيها الشريف المحترم من اعظم رجال سلطتنا ، كما انك سابقاً من اعضاء لجنة شورى دولتنا ، ومتخلق بحسن العبرة والفتانة والنجابة وأن أمالنا الشاهانية توافق في نجابتكم حسن الخدمة واظهر ما ثر الصدق لدولتنا العلية. وبناء على هذا الأمل فقد اعربت عن عواطفنا المنيرة السلطانية في اليوم السادس من شوال عام السادس والعشرين بعد الثلثمائة والألف مصحوبة بكمال توجيهاتي السنوية ، و تمام عنياتي الشاهانية فأحسنت ووجهت الرتبة السامية الوزارة الى عهدة استعدادك وتأهلك بموجب ارادتنا الملوكية ، أخص بتقديمي هذا الملوكاني الرفيع القدر ، حائزأ لنيشانين العثماني والمجيدي المرصعين الدستور المكرم الوزير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الناقد متهم مهام الآلام بالرأي الصائب ، ممهداً بنيان الدولة والاقبال مشيداً أركان السعادة والاجلال المحفوظ بعون الملك الأعلى و وزيري المختص بالسيادة الشريف حسين باشا أدام الله اجلاته . وأعطيتك هذا المنشور الفائق السرور واصدرت أمرى الملوكاني بتقديمي رتبة الوزارة الجليلة اليك من تاريخ فرمانى هذا الملوكاني الفائق على أمثاله وأقرانه. وانت أيها الوزير يلزمك أن تثبت على الصدق وحسن الخدمة في الأقوال والأفعال ل تستجلب مرضاتي الملوكانية. وكذا يلزمك أن تبذل الشفقة والرأفة على كل من كان دونك بقدر مقامهم وحسب درجاتهم واطلب منك أن تعمل بشرائط الوزارة ب تمام الاهتمام جاريا على

(١) ناصيف : المصدر السابق من ص ١٢-١٤ .

لسطاس الشرع القويم ومقاييس القوانين المؤسسة على العدل، وأن يجعل كل أمرك ونهايك
 دائرين على مدار الأمرين المذكورين ، وأن تبذل طاقتك في إجراء كل ما ذكر ، وأن
 توفي بكل ما هو من شرائط الوزارة كما ينبغي على النهج الشرعي والطريق النظامي .
 حرر في السادس من شهر شوال المكرم عام ١٣٢٦ انتهى.

ملحق رقم [٤]
بلاغ السلطات العثمانية في دمشق
عن
اندلاع الثورة العربية في الحجاز^(١)

اعتذرت بعض العصابات المولفة من ذوي الطمع والفساد ، ومن بعض جماء العريان وقد استمروا بالمال على بعض المخافر المجاورة للمدينة المنورة بالسلاح وخرقوا التغرايف وسكة الحديد ، فبادرت القوى العسكرية الى التكيل بذلك العصابات الواقع في الطريق ، وتمكنوا من دخول المدينة وشرعوا في اصلاح السكة ، كما أنشأوا داراً للمخابرات اللاسلكية في المدينة تجري المخابرات بواسطتها وفي الليلة البارحة زحفت قواتنا العسكرية على العصابة المجتمعين والمحاصنين في موقع الحسا (أول مرحلة للحاج السائر من المدينة الى مكة وتبعد عن الاولى ثلاثة ساعات وتسمى بير على ابعد بجوار المدينة ، واستولت على المواقع التي كان ممتلكاً بها العصابة المذكورون وطردتهم منها بعد تبديد شملهم . وقد تبلغنا برؤية من محافظ المدينة المنورة تشعر بأن أهل المدينة سروا سروأ عظيماً بما وقع وهذا نصها:

ولقد سر اهل البلدة الطيبة قليلاً وفاللهم يمحو القبائل الباغية والتکيل بها في المعركة الشديدة التي دارت امس وعادت الراحة الى ربوعها كما ان هذه الحادثة قد اثرت تأثيراً عظيماً في العريان المجاورة وتبهيل الى الله بتواли توفيقات دولتكم".

^(١) اذيع هذا البلاغ في اليوم الرابع من شهر شعبان ١٣٣٤ المصادف الخامس عشر من شهر يونيو ١٩١٦ .

ملحق رقم [٣]
مبايعة الحسين ملكاً على العرب
وصف حفل المبايعة^(١)

امتناع قاعات قصر الديوان الهاشمي العالى صباح امس بجماهير الاشراف كرام والعلماء والاعلام والاعيان العظام ، بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذو حبيبة مكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخيم ، ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا معظم امنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ، الا وهي اتفاق جلالته نبول بيعتهم له ملكاً على العرب - ومرجعاً دينياً لهم ريشما يقرّ قرار العالم الاسلامي على - أي يجمعون عليه في شأنه الخلافة الاسلامية .

ولما خصت احياء القصر العالى بحضورات الاعيان القائمين لهذا الغرض تشرف المثول بين يدي جلالته سيدنا المعظم في غرفة اعماله الخامسة حضرة العلامة الورع لشيخ عبدالله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكاله لفخام ، وأنبا جلالته بحضور هذه الجماهير لمعرض بعض المعروضات على مسامعه لكرمه ولما شرف جلالته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمى العالى استقبل رجال الامة تلك الطليعة الهاشمية المقدسة بقلوب صافية بالمحبة والاحترام والاجلال والاعظام ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالته نائباً عن وجه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من القديم ، فعرض على جلالته الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه وانهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامعه الشريفة فأجابه جلالته بالكلمات الملوكيه الآتية :

" وانني لم اكن ارى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جتنتم من اجله ، وذلك لما اعلم من نهوض بلادي بالأمر الذي نهضنا به ، وشدة اخلاصها له وعضها عليه بالتوارد . ولم تتحسر هذه العواطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم

^(١) نشر هذا الوصف في جريدة المقلة العدد ٢٢ الصادر في ٣ من اغسطس ١٣٣٥ (٢٠ من اكتوبر ١٩١٦) ص ١-٢.

وجمع كل ملتهم وقد وردت الى الرسائل من اعيانهم بذلك ، على ان هذا الامر الذي جئتم اليوم من اجله سينفي كل ما ر بما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة احوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادتنا وشيمتنا واصول ديننا وقوميتنا .
وانى اقسم لكم بالله العظيم انني لم ارد هذا الامر الذي تكلفوني به ، ولم يخطر على بالي عندما قمت معكم بنوهضتنا السعيدة ولكنني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته " .
وهذا ارفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالته والالحاح بقبول الذي جاءوا لاجله فقال جلالته :

" انكم حملتموني امراً انا اعرف الناس بما يسلترمه من الجهد وطالما قلت لكم اني واحد من جمهور الامة ابرم ما يبرمون من حق ، وارفض ما يرفضون من باطل ، وامد يدي لكل من ينتقون على اسناد امرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله . واذا كان لامانص مما ارذتهم فاني اشترط عليكم ان تعينوني على الفسكم وتساعدوني بآرائكم واعمالكم في كل ما يحقق آمالنا وأمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين . واتنا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل ، وعليه الاتكال في كل حال "

ولما انتهى جلالته من الخطاب الملوكى الذى كان يتخلله دعاء الناس وشأوه ،
اخراج حضرة قاضى التضاد العريضة التى اشرنا اليها واعطاها لحضره الشیخ عبد الملك
مرداد ليتلوها على مسامع جلالته وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ملك الحق المبين . والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق اجمعين وعلى آله الطاهرين . واصحابه الطيبين . وسلم تسليماً كثراً .

اما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين ، فذات الدنيا كلها في كل ازمانها الى ما اراد الله ان يتمه على السنن انبيائهم العظام من الشرائع الالهية والسنن التويمية والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات ، حتى استثارت الامم بنورهم واهتبت بهديهم . ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعاً وانه قد ثبت في صحيح مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفى من هاشم نبينا وفخرنا ونخربنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فيجدكم الاعظم خرجننا من الظلمات الى النور . وبيتكم القدس كان رشدانا بعد الجهل . وان البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية الى طريق الهدایة لايزال ملزاً بل شعثنا ونقويم اودنا واستلام زمام امورنا مهما تجشعتم من العناء لاجل هنائنا ، ومهما تحملتم من الجهد لاجل سعادتنا وما كان لنا ان نلجاً لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل ، ولا ان نصطفى قوماً غير الذين اصطفاهم لنفسه . وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " ان هذا الامر في قريش لا يعاد لهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين " .

وانه قال صلى الله عليه وسلم :

" لايزال هذا الامر في قريش ما بقى اثنان " .

فانتم قريش بل انتم الصفة من هاشم ، واننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بین يديه ، باننا لا نعلم اليوم أميراً مسلماً أتقى لله منكم وأشد خوفاً منه وتمسكاً باوامره وأقامه لشعائره قولاً وعملاً وأقدر على النظر في امورنا بما يرضي الله عز وجل . ونحن الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالتي السر والعلن .

وان حولكم أمة برهنت في ادوار كثيرة من ادوار التاريخ على انها عظيمة المدارك . عالية الهمة . كثيرة الاقدام ، حازمة ، عادلة ، صبوره رحيمه منصفه . ولو أن مصفحات التاريخ فقدت من الوجود لكتفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حيرت أسرارها العقول ، وادابها التي هي خزانة المعارف ، وأشعارها التي نظمت لالى الحكمة في البوادي القاحله أيام جاهليتها الأولى ، فضلاً عما أقامته من معلم الحضارة في كل بقاع الدنيا القديمة مما يزال أثره ماثلاً للانظار .

ان امة بهذه اثبتت العلوم الحديثة ان تكون دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن مثله في ارقى الأمم ، وبرهن تاريخها على أنها امة جد وعمل وثقلن وحسن سلوك ومكارم اخلاق ، تحفظ الجميل لمن يسديه اليها وتعرف معروف كل من له يد عليها وهي امة تستحق أن تتنشل من قيودها القبيله ، وتتقذ من وصاية فئة سفاكة مخربة جاهلهة مغرورة ليس فيها استعداد فطري للتحلى بشئ مما تحلى به العرب من المزايا والخصائص والأخلاق والفضائل ، وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاة الأمم ببقاء العرب محكومين لتلك الفتنة الوضيعة التي تحتاج الى الحجر عليها ، لا ان تكون امة كامتا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية وراسخة لوصايتها خائنة لجورها حتى ذاقت منها صنوف الذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تتفض هذه الفتنة كل يوم دعامة من دعائمه، وقد ورد في حديث جابر عن أبي يعلى بسند صحيح :-

" اذا ذل العرب ذل الاسلام "

فنحن يا سيد العرب ومنذ الاسلام من ايدي اعدائه المارقين نحمد اليك الله الذي اعزنا بك ونصر جند الله ببركتك وروحانية جدك صلى الله عليه وتنقرب الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك ، وموادة من وادك وأن

مودة آل بيت الرسول عليه وعليهم أفضـل الصـلاة والسلام هي الأجر الذي سـأله عـلى ما هـدانا إلـيـه من سـعادـتـيـ الدـنـيـاـ والـآخـرـةـ حيثـ قـالـ عـزـمـنـ قـائلـ:-
(قـلـ لـاـ اـسـأـلـكـ عـلـيـهـ اـجـرـاـ لـاـ المـوـدـةـ فـيـ الـقـرـبـيـ)

فـانـهـضـ يـاـ سـيـدـنـاـ إـلـىـ مـاـ شـاءـ اللـهـ أـنـ يـجـرـيـهـ عـلـىـ يـدـيكـ مـنـ اـصـلاحـ شـوـونـنـاـ
وـوـلـاـيـةـ اـمـرـنـاـ نـحـنـ مـعـاـشـرـ العـرـبـ الـذـيـنـ يـعـلـقـونـ آـمـالـهـ فـيـ صـلـاحـ دـيـنـهـمـ
وـدـيـنـاهـمـ عـلـىـ تـبـونـكـ سـرـيرـ مـلـكـهـمـ .

وـاـنـاـ نـبـاـعـ جـلـلـةـ سـيـدـنـاـ وـمـوـلـاـنـاـ (ـالـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ)ـ مـلـكـاـ لـنـاـ نـحـنـ عـرـبـ ،ـ
يـعـمـلـ بـيـنـنـاـ بـكـتـابـ اللـهـ تـعـالـىـ وـسـنـةـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .ـ وـنـقـسـ لـهـ
عـلـىـ ذـكـ يـمـينـ الطـاعـةـ وـالـاخـلـاصـ وـالـانـقـيـادـ فـيـ السـرـ وـالـعـلـانـيـةـ ،ـ كـمـ اـنـاـ
نـعـتـبـهـ مـرـجـعـاـ دـيـنـيـاـ لـنـاـ اـجـمـعـنـاـ عـلـيـهـ ،ـ رـيشـماـ يـقـرـ قـرـارـ عـالـمـ اـسـلـامـيـ عـلـىـ
رـأـيـ يـجـمـعـونـ عـلـيـهـ فـيـ شـأنـ الـخـلـافـةـ اـسـلـامـيـةـ .ـ

نـبـاـعـكـ عـلـىـ هـذـاـ يـاـ صـاحـبـ الـجـلـلـةـ وـنـقـسـ لـكـ بـالـلـهـ عـظـيمـ عـلـىـ طـاعـتـكـ
وـالـرـضـاءـ بـكـ وـالـانـقـيـادـ يـكـ فـيـ السـرـ وـالـعـلـانـيـةـ .ـ وـلـكـ عـلـيـنـاـ فـيـ ذـكـ عـهـدـ اللـهـ
وـمـيـثـاقـهـ مـاـ أـفـقـتـ الـدـيـنـ وـاجـهـتـهـ فـيـمـاـ فـيـهـ صـلـاحـ حـالـ عـرـبـ وـالـمـسـلـمـينـ ...ـ
فـمـنـ نـكـثـ فـأـنـمـاـ يـنـكـثـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـمـنـ أـوـفـيـ بـمـاـ عـاهـدـ عـلـيـهـ اللـهـ فـسـيـوـتـهـ أـجـرـاـ
عـظـيمـاـ .ـ

غـرـةـ الـمـحـرـمـ الـحـرـامـ سـنـةـ ١٣٣٥ـ هـجـرـيـهـ .ـ

وـلـمـ أـنـتـهـتـ تـلـوـةـ الـعـرـيـضـةـ أـقـبـلـتـ جـمـاهـيرـ أـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقدـ مـنـ الـاـشـرـافـ وـالـعـلـمـاءـ
وـالـأـعـيـانـ وـكـبـارـ التـجـارـ وـسـائـرـ ذـرـيـاتـ الـحـيـثـيـاتـ فـبـايـعـواـ عـلـىـ ذـكـ بـوـجوـهـ مـسـبـشـرـةـ وـقـلـوبـ
طـافـحةـ بـالـسـرـورـ .ـ ثـمـ تـقـدـمـ حـضـرـةـ الـفـاضـلـ الشـيـخـ فـوـادـ الـخـطـيـبـ فـبـسـطـ لـدـىـ جـلـاتـهـ آـمـالـ
سـوـرـيـاـ الـعـرـبـيـةـ وـذـكـرـ أـنـ أـلـئـكـ الشـهـداءـ الـذـيـنـ سـارـتـ بـذـكـرـهـ الرـكـبـانـ ،ـ اـنـمـاـ مـاتـواـ مـنـ أـجـلـ
الـوـحـدةـ الـعـرـبـيـةـ وـلـتـفـانـيـهـمـ فـيـ الدـافـعـ عـنـ شـعـائـرـهـمـ الـاسـلـامـيـةـ .ـ وـقـالـ أـنـ سـكـانـ تـلـكـ الـديـارـ

جدرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين برعاية جلالة سيد العرب وملكيها ، وبايده بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب الله وسنة رسوله.

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسدود والارتفاع والفلاح بعنابة سيدها ومنذها جلالة ملك البلاد العربية ، فآمن الحاضرون على كل جملة من دعائه.

و قبل انقضاض هذه الحفلة الكبرى ، تفضل جلالة سيدنا الملك المعظم فأجاب استرخام القوم بتعظيم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سعلن عنه في العدد القائم . وذلك اكرااماً لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة مع من قام عنه باليبيعة وناب منا به في أداء واجباتها .

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الأديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة أنيقة بصوت جهوري ، وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام .

وفي المساء اقيمت الزينات البدعية أمام دار الحكومة ودائرة البريد والبرق ودائرة البلدية ودار حضرة رئيس مجلس الشيوخ ودار حضرة وكيل المالية وادارة جريدة القبلة . واحتفل اهالي الحرات كلها وفي مقدمتها الشيكوة والمسفلة والقرارة ثم جروال وحارة الباب وججاد والقشاشية وشعببني هاشم وشعب عامر والنقا والشامية والسليمانية والمعديدة . وكانوا ينشدون آهازيجهم وأغانיהם الحجازية واليمانية على نغمات الطبول .

وكانت الحال مثل ذلك في جدة فإنه لم تبق فيها دائرة رسمية ولا منزل وجيه وذي حرثية الا و أقيمت عليه الزينات ، وأعظم من ذلك احتفال طبقة الشعب فقد كان له من هذا الحادث العظيم في التاريخ العربي أزهى عيد وأجمل احتفال ، حتى إننا ونحن نتكلم مع جدة بالتلفون لم نك نتفاهم مع حضرات الذين نتكلم معهم لارتفاع اصوات الشعب في شوارع مكة وشوارع جدة بتلك الأهازيج والأفراح .

وأتصل بنا بأنه بلغ عدد تلغرافات التهاني والمواساة التي أرسلت من جدة وحدها الفاً وخمسمائة تلغراف .

وعلمنا أن هذه الزيارات ستبقى مستمرة إلى اليوم الذي يشترك فيه الشعب بالبيعة في المسجد الحرام، وفي تلك الليلة ستلبس البلاد الحجازية حلقة المسرة والابتهاج لم يسبق لها مثيل في الأزمنة الماضية.

وأنه ليفعل للعرب أن يقوموا بهذا وأكثر منه لهذه الحادثة العظمى المحققة لأمالهم، لأنها الرجاء الوحيد لجعلهم عضواً حياً في المجتمع الإنساني ، والحد الفاصل بين ليل تاريخهم الحديث وفجره الساطع في سماء مدنיהם وارتقائهم إن شاء الله تعالى.

محلق رقم [٤]

علماء مكة المكرمة يوجهون خطاباً إلى العالم الإسلامي يحملون فيه على مظالم حكومة رجال الاتحاد والترقي^(١)

"فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الطالمون"

أتنا معاشر علماء بيت الله الحرام ، قد من الله تعالى علينا بما من به على كثير من علماء هذه الأمة من خدمة الشرع الشريف ، والغيرة على الدين المحمدي الحنيف. وقد علمنا ان الدنيا وما فيها لا تساوي في جانب الحق جناح بعوضة ، وان هذه الحياة لا يقام لها وزن الا بما يقدمه المرء فيها من صالح الاعمال لحياة الآخرة. وأي مسلم استأنست روحه بمشاهدة كعبة الله المعظمة في كل صباح ومساء وتشرف بسكنى أرض منها نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدميه الطاهرتين تبارك كل موطئ قدم فيها ، يرضى بأن تمس هذه المشاعر الدينية الخالصة ، ولم نختم في هذه الدنيا غير مجاورة بيت الله المحرم وخدمة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأننا بما حصل لنا من الاختلاط بهذه الفلة المتغلبة على مملكة آل عثمان الكرام ، واحتاكانا بها ، واطلاعنا على حقيقة ما تظاهره وما تبطنه لاحكام شرعنا وأداب ملتنا ، وما تفعله من المنكرات في بلادنا ، وما جرته من المصائب على اوطاننا ، وقد وضع لنا طريق النجاة الذي يأمرنا ديننا القويم بسلوكه ، وتبين لنا سبب الفلاح الذي قضت علينا المصالحة الاسلامية بالتمسك به وان من علم حجة على من لم يعلم وشتان بين من رأى المنكر بذل دمه في سبيل نفسه ، وبين من عاش بعيداً عن معرفة حقائق هذه الجهات فآراد ان يحكم عليها من قبل الحصول على المقدمات الكافية لاصدار الحكم فيها .

واذا لم تر الهلال فسلم لناس رأوه بالابصار

واننا لم يخف علينا ان فريقاً من اخواننا المسلمين خاضوا في امر نهضتنا غير بينة فشط بهم التسرع الى الحكم فيها عن غير علم ، اعتناداً على السماع من من لم يبن اقواله على اسس الحقيقة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه ابو داود

(١) نشر هذا الخطاب في جريدة القلم العدد ٢٧ الصادر في ٢٠ من المحرم ١٣٣٥ (١٦ نوفمبر ١٩١٦) ص ص ٢-١.

والحاكم بحديث صحيح " كفى بالمرء انما ان يحدث بكل ما يسمع " وفي رواية مسلم " كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع " . ونحن لا نطلب من ذلك الفريق ان يتسرع بموافقتنا قبل فهم حقيقتنا لاننا لانتفع بمثل هذه الموافقة ، ولكننا ننصح لاخواننا في الدنيا عملاً بالأمر الالهي في التواصي بالحق ، بأن لا يرتكبوا اثماً كبيراً عند الله بالتحديث بكل ما يسمعون ، والقطع فيما يتوهمون ويتخيلون . وندعوهم الى استعمال الروية ، وترك عصبية الجاهلية وذلك شأن المسلم الذي تشرب الاخلاق الاسلامية ، المعنية بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان جاعكم فاسق بنبا فتبيئوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

فيجب على المسلم الذي يحب ان يخوض في هذا الامر ان يبحث عن دواعيه وأسبابه ، وان يتحقق ماهية المنكر الذي نهضنا لازالته بأيدينا بعد ما ينسنا من ازالته بالسنّتا . اما نحن فقد علمنا علم اليقين ، ان تلك الفتنة المتغلبة قد عصت الله معصية عامة لم يخف فظاعتها نصح الناصحين ، ولم يدرأ عواقبها السيئة عن البلاد واهلها ردع للرادعين . ولا يظن ظان ان قوله هذا من قبيل الدعوى التي لم تقم البراهين على ثباتها ، بل ان هنالك وقائع ملموسة يستطيع كل انسان ان يبحث عنها ويتحققها ، ومع ذلك فاننا سنبينها للعالم الاسلامي في حين الحاجة الى بيانها ان شاء الله . ونكتفي الان بتکليف اخواننا المعترضين ان يرسلوا من يعتمدون عليهم الى الاستانة عاصمة الاتحاد ليشاهدو بأعينهم كما شاهد كثير من بأنفسهم وجود المخدرات من المسلمات التركيات موظفات في دوائر البريد والمالية بوظائف الرجال ، بكمال البهرجة والزينة والجمال ، سلفرات الوجوه ، يقابلن كل من يأتي اليهن من الرجال على اختلاف اجناسهم لقضاء شفائهم ، فما قول اخواننا (ارباب الدين والحمية) المعترضين علينا بلا روية في هذا الامر الذي هو نموذج لما يولمنا تفاصي شره ، وتنادي على رؤوس الاشهاد بالشكوى منه . وهل من تكون هذه القضية ادنى مرتب سيناتهم للإسلام والمسلمين تكون طاعتهم طاعة لمعصية كلا ورب الكعبة ثم كلا . فان اطاعتهم لا تتم الا بمعصية رب العالمين . رهاشا ان يرضي بذلك احد من المؤمنين . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لفظه الإمام احمد في مسنده (من امركم من الولاة بمعصية فلا تطیعوه) . وقال صلى

الله عليه وسلم فيما اخرجه الحاكم عن جابر بحديث حسن (من أرضى سلطاناً بما يسقط ربه خرج من دين الله) . وقال عليه السلام فيما اخرجه الديلمي (من سود اسمه مع امام جائز كان قرينه في النار) . وروى الخطيب عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (من سود مع قوم فهو منهم ومن روع مسلماً لرضي السلطان جئ به يوم القيمة معا) . وما نحن نرى بأعيننا ان المملكة قد انسلاخت عن شكلها الاسلامي الذي نعهد ونصرنا كلما بحثنا عن سبب موجب للطاعة وعن اي شرط من شروط الخلافة وانتظام امر الجماعة لا نجد . ونحن ليس من عرضنا بيان ما آل اليه امر الاسلام على ايديهم ، فن ذلك من واجب كل مسلم البحث عن حقيقته بنفسه ، وليس هو مما تستوعبه عجالتنا هذه . وحسبنا ان خبركم بأننا رأينا انفسنا امام امررين مختلفين تمام الاختلاف : احدهما ارضاء هذه الفتنة المتغلبة على المملكة العثمانية باغتصاب الله تعالى ، والثاني اغضابها باغتصابه تعالى . فاثرنا الآخرة على الاولى ورضي الحق على رضي الخلق ، ولو كان الخلفاء الراشدون _ شرفهم الله _ فلعلوا ما يفعلون الاتحاديون _ وحشا لهم من ذلك _ لترثينا الى الله بالقيام عليهم وترجيح رضاء الله على رضائهم . واننا لانفعل ذلك من عندنا بل بارشاد الخلفاء الراشدين انفسهم ، فقد خطب ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطبته الاولى بعد الخلافة فقال (اطليعوني ما أطعت الله ورسوله . فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) . وهذا كان يقول كل من ولى امر المسلمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين . وبهذا انتصر المسلمون وفازوا بالسعادتين ، وكانوا اعزاء بين امم الارض . ونحن قد حاولنا ان نجد لنا مخرجاً آخر يجمع بين ارضاء الله تعالى وعدم القيام على هؤلاء الناس ، فلم يعينونا على انفسهم في ذلك فغضب الله فنصرنا وثبتت اقدامنا ، تأييداً لشرعه وثبتتنا لدليه ، واحكمة هو يعلمها في اصلاح اخر هذه الامة بما صلح به اولها . وان كل قلب من قلوب المسلمين في المملكة العثمانية حتى الاتراك في الانضول ، بل وافراد العائلة السلطانية العثمانية في قصورهم يدعون الله لنا بالتائيد . وحشا الله ان يرد رجاء المظلومين ، ويغيب دعاء الائقاء على الفاسقين . وما لا ريب فيه ان اهل البلاد التي اضاعها الاتحاديون اثناء انتصارهم للامان لو قاموا على هذه الفتنة الباغية كقياما

لخرجت بلادهم عن دائرة الحروب الحاضرة ولبقيت لاهلها . اما اذا دامت الحال على هذا المنوال فسوف لا تبقى لهذه المملكة باقية فإذا علمتم هذا علاوة على ما ذكره صاحب جريدة (مشرق) الهندية في عددي ١٦ ، ١٩ سبتمبر من اسقاط صفة الخلافة عنبني عثمان وهو الامر المعلوم الطافح به كتب الشرع الشريف فقهية وكلامية ، يبين لكم اننا انما قمنا لتلافي هذه الاخطار ، وتأسيس دعائم جديدة للحكم الاسلامي والمدينة الصحيحة المؤسسة على أساس الشرع الشريف الذي طالما تمنيتم انتهاجه والعمل به . ونحن اذا لم نوفق في هذه النهضة المباركة الا لحفظ كيان بلادنا وسلامتها مما لم يغيرها من البلاد الاسلامية لكتفي . ويلفت انتظار المعترضين الى تخلص البلاد الاجرى مما اصاب اهلها من الكوارث ، وانقاذهما من ايدي من اوقعها في هذه المهاوي المهدلة ، ان كان ثمة حمية اسلامية او غير دينية . وها نحن قد فعلنا ما علينا ، وطهرنا بلادنا والله الحمد من جرائم الالحاد ، ونزاعات الفساد ، وما على المسلمين الذين لا يزالون يدافعون عن اولئك الطغمة الا ان يفينا الى امر الله من قبل ان تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانه يعلمون .

هذه حقيقة ما نحس به نحن علماء بيت الله الحرام ، اردنا ان تتفوا عليها دلائل احد في التسرع الى حكم ينافق الواقع . وقد اردنا ان تبذل النصيحة الاسلامية للذين لم يزالوا على تصورهم من بعض اخواتنا الذين لم يعرفوا تفاصيل احوال هذه الفتنة التي قمنا عليها ، فيغتروا بأضاليل مأجوريها الذين باعوا دينهم بحطام الدنيا . ومن اعظم انواع الخطأ الظن بأن القيام على هذه الفتنة هو من قبيل القيام على خليفة شرعى مستوف شروط الخلافة او بعضها . فيدخل من يظن ذلك تحت حكم قوله تعالى " انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله " وقوله صلى الله عليه وسلم " من كفر مسلماً فقد كفر ". ونحن انما فعلنا حتى الان ما دفعتنا اليه مصلحة ديننا ودنيانا ، وليس منا والحمد لله من لا يعرف احكام شريعته ، ومن لا يعمل بأوامر دينه ، ومن يجهل مصلحة امته وببلاده . والحكم الفصل بيننا وبين من يخالفنا الكتب الشرعية الموجودة بين ايدينا وايديهم . ولا نظن عالماً يجهل ما استفاضت به كتب المذاهب الفقهية والكلامية من مبحث الخلافة وشروطها ، والامامة واحكامها لم يشذ عن ذلك واحد من علماء الاسلام الاولين ، ولا من

فقهائه المتأخرین . وماذا يقول العالم الاسلامي في بني عثمان الذين يزعمون انهم خلفاء المسلمين مع انهم كانوا في احقب كثيرة العویة في ايدي الانکشارية يتصرفون بهم كيف شاهوا او شاعت اهواوهم بين خفض ورفع ، وقتل وخلع ، وتطاول لا يجري القلم بوصفه غير مراعين في ذلك ما هو معلوم في الكتب الشرعية من قواعد عزل الخلفاء وتنصيبهم كما تشهد بذلك تواریخهم . وها ان التاریخ قد اعاد نفسه ، وظهر لاؤلئک الانکشارية احفاد اعادوا تلك السیرة لاوی فی عبد العزیز ومراد وعبد الحمید ، وما قتل یوسف عز الدين ببعید ولا بد لمخالفينا القاتلین بخلافة آل عثمان من احد امرین : فاما ان یحكموا بان اهل الحل والعقد في شأن الخلافة هم هؤلاء الانکشارية واحفادهم . ولا نظن ان ذا مسکة من عقل يقول بهذا . لأن احكام الشرع الشریف تکذبه . واما ان یقولوا ان هؤلاء الانکشارية واحفادهم ليسوا اهل الحل والعقد . وفي هذه الحال نسائلهم : این الخلافة واین شروطها ؟ ... ونحن لائزمان مستعدین للاجابة عن كل شبهة تعرض للناس في ذلك . اذن فما بقى للمعترضین بعد هذا وذاك الا ان یثبوا الى رشدہم . ويرجعوا الى صوابہم . ويضمروا صوتهم الى صوتنا في وجوب القيام بالوسائل الجدية لاعزار الاسلام ورفع منار مجده . وعلى كل حال فإننا لا نريد التطويل في هذا البحث الذي الجائنا ضرورة الحال لالإشارة اليه . وان لنا مندوحة عن الاطالة فيه لدعاعی اجتتاب الاطنان . اذ اننا قوم لانقصد غير سلامہ دیننا وببلادنا . ونريد في الختام ان یعلم الشاهد منا الغائب منکم اننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه بأننا لا نعلم اليوم ملکاً من ملوك المسلمين اتقى الله من ابن رسوله المتبو عرض الملك على البلاد العربية ولا اشد خوفاً من الله تمسكاً بأوامره واقامة لشعائره قولأ وعملأ ، واقتدر على النظر في امورنا بما یرضي الله عز وجل . والعرب انما یابعوه ملکاً عليهم لما رأوا في ذلك من صلاح دینهم ودنياهم . واما الخلافة الاسلامية فمع ما هو معلوم من انحلالها في الوقت الحاضر لم تحرک في امرها ساکناً ريثما یقر قرار العالم الاسلامي على امر یجمعون عليه في شأنها . والسلام على من سمع القول فاتبع احسنـه ... والله یتولى هدانا اجمعین .

مفتى المالكية الشيخ محمد عابد المالكي	وكيل مفتى الحنابلة الشيخ محمد صدقه عبد الغني
قاضي القضاة و مفتى الأقطار الحجازية الشيخ عبد الله سراج	مفتى الشافعية السيد عبد الله الزواوي
نقيب السادة السيد محمد السقاف	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الكريم الناجي
شيخ الخطباء بالمسجد الحرام الشيخ احمد ابو الخير مرداد	أمين القوى الشيخ درويش عجمي
مدرس بالمسجد الحرام السيد عباس بن عبد العزيز المالكي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ علي باصصيل
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ على المالكي	مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد المرزوقي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد أمين مراد	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد جمال المالكي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الرحمن خورقير	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ جعفر لبني
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ أسعد بن احمد دهان	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ احمد بن عبد الله القاري
مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد هاشم مجاهد	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ سالم شفي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد علي سراج	مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد طاهر مسعود الدباغ
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ احمد بن عبد الله ناظرين	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ خليل بن ابراهيم عجمي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد بن كامل سندي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الرحمن بن سليمان قاضي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد على بلخيور	مدرس بالمسجد الحرام السيد احمد السقاف

مدرس بالمسجد الحرام الشيخ حسن اليماني	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ سعد بن محمد اليماني
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الله بن احمد المغربي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الله بن عباس حداوي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ حامد بن عبد الله القاري	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد بن سالم عجمي
مدرس بالمسجد الحرام السيد احمد بن عبد العزيز المالكي	مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد بن صالح عثيل

ملحق رقم [٥]

خطاب السلطان محمد رشاد بتعيين

الشريف على حیدر امیراً على مكة المكرمة^(١)

وزيري سمير المعالي محمد سعيد باشا ...

"حسب الايجاب وبناء على وقوع الفضال الشريف حسين باشا امير مكة المكرمة ، ولتأمين وظيفة خدمة الحرمين الشريفين هذه الوظيفة المقدسة التي هي اسمى الوظائف الأساسية لدينا ، قد وجهنا امارة مكة المكرمة مع رتبة الوزارة السامية الى عهدة الشريف على حيدر بك الوكيل الاول لرياسة مجلس الاعيان ، وذلك لما تتوفر فيه من اللياقة والكمال الذاتي واتصافه بحسن السلوك والسيره والتجارب ، وكفايته لهذه الوظيفة المقدسة . وقد ارسلنا بأمرنا هذا الى بابنا العالى . نسأل الحق سبحانه وتعالى متسلين بالمستوى على الله عليه وسلم ان يكون التوفيق لنا رائدا في كل زمان ... آمين .

٣٠ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ - ١٨ حزيران سنة ١٣٣٢ رومية *

محمد رشاد

^(١) العمري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

ملحق رقم [٦]

منشور الشريف على حيدر الى أهالي الحجاز^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا خطابنا لأهل وطننا الحجاز ومن يليهم حاضرهم وباديهم ، قاصيهم ودانيهم .
اننا نحمد اليكم الله الذي أثبتنا وأياكم في مهد السلام ، وأعزنا جميعاً بمحمد عليه الصلاة
والسلام ، وجعلنا وأياكم من جيرة البيت الحرام ، وأوجب لنا ولكم ما أوجب للجار من
الحق والذمام ، حمداً ليعني بعشر معشاره الكلام ولا ينهض القلم لو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام ، ونصلى ونسلم على سيدنا وجدها خير الأئم ، المنتخب من صميم
العرب في العين ، الذي قرن طاعة الله بطاعة الإمام عملاً بقوله تعالى (أطِيعُوا الله
وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) نصاً تبين فيه الحال من الحرام والنور من الظلام ،
وعلى الله البررة الكرام ، واصحابه الذين بلغوا بطاعته أنسى مقام . وبعد فلا يخفى عليكم
أنه مضى على ظهور الإسلام ١٢ قرناً تقلب عليه فيها أحوال كثيرة وأدوار مختلفة من
بسط وقبض ورفع وخض وزلزال وتمكين في الأرض ، وجرى له أن يخسر كثيراً من
الله ويستردها ، ويفقد جماً من أسباب قوته ويستجدها ولم يدع الإسلام بلداً للأعداء ولا
الأعداء جداً للاسلام الا عالجوها اجتباها وأجلوا قداحها الا بلدنا الحجاز فلم يذكر التاريخ
فيما سطر ولا أرتنا العبر فيما غير ... أنه ارتفت إليه لعدو الدين همة ، ولا المتن به من
غير ملة الإسلام ملمة ، بل بقي الحجاز رغم جميع الغواويل وما تعاقب على البلاد من
الدول والدواويل بكرةً من الممالك لم يطمئنها فاتح ، ولا امتدت إليها يد طامح حرمة الله
لبيته المعظم ومعجزة لصفيه صلى الله عليه وسلم . وقد وطئ العدو مصر وسودانها
والهند ونجابها وتحريف اليمن وأحقافها وعمان وأطرافها وهذه المرة تعرض للبصرة
وأهوازها ، ولكنه لم يجسر أن يتعرض لمكة وحجازاً هابكان الحجاز من حرمة المسلمين
وهوى أئندة الموحدين ومكان آباننا أمراء الحجاز من المحافظة والمناصحة تكتففهم عناية

^(١) العمري ، المصدر المسابق ، ج ٢ ، ص ص ٣٠-٣٦ .

الخلفاء والسلطانين . وما زال كذلك حتى نشبت هذه الحرب العامة وقامت الدولة العثمانية فيها بأخذ ثارات الاسلام المقام الباهر ، الذي اعاد للإسلام سيرته الاولى ، فلم يكن للعدو أن يتمنى من الحجاز ما وجده في غيره محالا ، ولا أن يرجو في جوار الحرمين الشريفين مجالا فادا بالشريف حسين بن عون وهو نفسه يواطئ العدو على الحجاز ويحاول أن يجعل بيت الله الحرام قبله الاسلام ومرقد الرسول عليه الصلاة والسلام تحت حماية دولة مسيحية محاربة للدولة العلية ، باذلة قصارى جهودها في اذلال جميع الملة الاسلامية ، وجميع ما يموه به الشريف المشار اليه تبريرا لخروجه على الدولة وتخريجا لقضية ضربة المسلمين بعضهم ببعض لا ينفي شيئاً أمام الله الذي يعلم السرائر وأمام رسول الله (ص) الذي شرعه مثل الشمس ظاهر امام ولا امام الامة الاسلامية التي تعلم الانكليز وما يصنعون وما مثله ومثل ما يدعوه الا كما قال الله تعالى (يحرقوه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) . ولن يقلب الشريف حسين حقائق ، ولن يخفى واقعاً ولن يقنع احداً أنه يقدر أن يكون أميراً مستقلاً بنفسه وإن يخاصم الدولة العثمانية فضلاً عن أن يلي شؤون الاسلام ، ويدعى لنفسه الكفاية الازمة لحماية الحرمين ، فلا بد له اذن حتى يتمكن من مناسبة دولة عظيمة كالدولة العثمانية من أن ينضوي تحت جناح دولة أجنبية عظيمة . وهذا ما فعله الآن باتفاقه مع دولة انكلترا التي تخدعه وتزيّن له أمانيه ، وتخرجه من طاعة الدولة التي تحميه حتى اذا تمكنت من الأمر - لاذر الله - كان مآلها معها كمال خديوي مصر وسلطان زنجبار وأمير (الحج) وأمراء الهند وسائر الحكومات الاسلامية التي وقعت في حبائل الانكليز ، ومن رأى العبرة في غيره فليعتبر . وكان على الشريف حسين قبل أن يجعل الضرر عام صيداً لبازه ، أن يكرر بأن انكلترا لا تمد بضياعه الا لكي تحل بريعه ، وأنها متى أدخلت أصبعها في الحجاز لم تبرح تتمكن شيئاً فشيئاً حتى تستصفيه وتلتحق بيته مما أخذته اختلاساً . فليسأل أولئك الامراء الذين تذمروه ، ولويتضاح تلك المعاهدات التي أمضتها انكلترا معهم ومع غيرهم ، يعلم كيف صاروا بعد الوجود الى العدم ، وكيف عادوا قارعين من التدمير .

ومهما غالط الشريف حسين في كونه لا يستطرق الحجاز لجنود مسيحية ، وإنما تمده انكلترا بجنود مسلمين فإن الجند الذي يأتي من قبل الانكليز مسلمين كانوا أو

نصارى ، فما داموا خادمين دولة مسيحية مقاتلين في صفوفها متقددين لسيوفها يحاربون بأمرها ليأْ كان حتى ابناء دينهم كما لا يخفى ، فلم يبقى فرق بين المسلم يومنذ والنصراني . اذ ان النتيجة على الاسلام واحدة الاصل هو الرأس والاعضاء تابعة . وما من مكابر في كونه لو فاز هؤلاء الجنود المسلمين - بزعم الشريف - على العساكر العثمانية ل كانت العاقبة هي فوز انكلترا المسيحية على الدولة العثمانية الاسلامية بل كانت النتيجة - والعياذ بالله - هي استعلاء النصرانية على الاسلام في مهد الاسلام ودار محمد عليه الصلاة والسلام . وسواء كان هؤلاء الجنود المسلمين الذي هم في خدمة النصارى او نفس الشريف حسين الذي انضم اليهم ، فانهم شرعا في حكم الانكليز فالدولة العلية حالفت الالمان وهم نصارى فجاز له هو أن يتحالف الانكليز قال تعالى : (ومن يتولهم منكم فأنه منهم) ، واحتجاجه يكون الدولة العلية حالفت الالمان لتضرب بهم دولا مسيحية ثانية ، ول تستظهر بهم على الأخذ بثار الاسلام من اعدائه ، متهزة فرصة اختلافهم لتربيتهم شفافاً ، وهكذا توقفت الى أن رأت بعضهم معنباً بيدي بعض جراء على اعتنائهم المسلمين ، وفافاً على أن الالمان وان كانوا نصارى فلم يملکوا ثغر ارض من ديار المسلمين ، ولا ضربوا الذلة والمسكنة على ١٥٠ مليون مسلم نظير الانكليز الذين استرقوا أجل بلاد الاسلام ، واسترقوا أهلها وصار قصارى همهم أن يلاشوا للإسلام كل قوة سياسية وان يجردوه من كل سلاح ، حتى لا يحدث المسلمين أنفسهم في يوم من الأيام لخروج عليهم . وأول شئ يبادرون اليه أن تم لهم من الامر شيء في الحجاز المجاهدين رحمهم الله ، عندما توجهت اراده أمير المؤمنين مولانا السلطان محمد الخامس لنا بامارة مكة وكان قد بلغ العسيل الزبي ، واصبح الحجاز على شفا استخرت الله تعالى في قبول الامارة لاحبا بالامر والنهي وهذا الامر كما تطمون هومن عشنا درج ، وهذا الغور هو من افتنا انبلاج ، ولكن اشقاً على الحرمين الشريفين من لوث مداخلة الاعداء الذي ليس بعده لو تركوا وشانهم الا الدخول بالانفس والدوس بالاقدام تراباً بقي طاهراً اكثر من ١٣٠٠ عام . وما كان لنا اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لنا الخيرة من امرنا وتعين التهوض والجهاد . ووجب ان نبسط لكم واقع الحال وأن نصرح لكم تكون توافق الشريف حسين مع النصارى هو عباره عن وضع الحرمين الشريفين تحت سلطتهم

- والعياذ بالله - ولا يلدع المؤمن من جحر مرتين ، فكيف تراه يلدع مراراً ولا ينتبه . وبينما لكم لكيلا يفتر الضعفاء منكم بما يزينه بعضهم من الاباطيل ، وما يتغافلون به الساكن من اهل الباادية من زخرف الاقاويل ، ولئلا يضطرنا بعض الجهلة الذين رأت الضلاله عليهم ان نرهف فيهم حداً شهيراً ولكي (لانتعذ قبل ان نبعث رسولـا) واننا لاندحوكم جميعاً الى الطاعة بدعاوة القرآن ودعوة السلطان ودعوة اجدادنا ذوي زيد الذين لهم امر الحجاز دون غيرهم من قديم الزمان ، ان تنفروا خلفاً وتقابلاً لمقاتلة العساكر المنفذين من قبل النصارى والانكليز ، ومن تجرا على مظاهرتهم من البغاء الظالمين ، وان تكونوا عضداً للعساكر الشاهانية الزاحفة من المدينة الى مكة تطهيراً لها من المارقين ، فمن يتخلف عن اجابة داعي الله ورسوله (فقد باه بغضب من الله) . ومن رأى الاجنبي قد بدأ بمد يده الى حرم الله وروضة رسوله وهو راض او قاعد عن النصرة ، فقد اظهر برأته من رسول الله . ومن تجرا على مناصرة الاجانب اعداء الدين ومصالحهم او مكاتبهم او موافقة اي شقى شاق لعصا الطاعة ، فقد عرض نفسه لنكاial الدنيا قبل عذاب الآخرة والتي احشى اهل هذه البقاع المقدسة من ان يوجد فيهم من يختار طاعة الشيطان على طاعة السلطان ، لا سمح الله هو تجرید العرب من اسلحتهم او لا بصورة الشراء كما فعلوا بعشائر العراق وعمان وجنوبي اليمن . وكانت فتنة مسقط المعلومة بسبب اخذ السلاح . وثانياً بصورة التجريد بقوة كما فعلوا بعشائر مصر والسودان حتى ، اذا ارادوا ان يجوسوا خلال الديار لم يقدر العرب على دفعهم عنها وحلية فلا مناسبة بين محالفه الالمان ومحالفه الانكليز ، ولو كانوا من مذهب واحد وا

تعالى يقول : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم وتنسقون لهم ان الله يحب المقصيين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في واخراجكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوه ومن يتوله منكم فاؤذلك هم الظالمون) . والانكليز اخرجوا بلاد الهند الطويلة العريضة ومصر والسودان وزنجبار والصومال وقسم من جزيرة العرب وغيرها من ملك الاسلام وملوكيها ، واعادوا اعزء اهلها اذلة . ولم يكنفوا بذلك حتى ظهروا الفرنسيس على التملك المغرب الاصغر او واسط الفريقيه ، وظاهروا الطلييان على طرابلس والرويس على فارس ، واتفقوا مع اعدائهم على

المسلمين ولم يبقى شيء الا فطواه لطمس معالم الاسلام واتيان بنائه من القواعد . وكان باقىاً عليهم الحجاز لم يفرعوا عذرته ولا رقوا ذروته فوجدوا طلبتهم ، وبالالسف ، عند من كان اولى الناس بالمحافظة على الحجاز لكونه هو الذي استودعه ايه الدولة العليا ، وامنته لحفظه بالمال والرجال ، ولكننا نحن آل البيت الموكل اليينا صيانة هذا البيت ونحنا الذين نزل في حقهم قوله تعالى : (انما ي يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، ويظهركم تطهير) . وقد علم الناس كيف ان جدنا الحسن بن علي رضي الله عنهم قد نزل عن الخلافة كلها حقناً لدماء المسلمين وانشققاً على هذا الدين فلا يكون منا الذي في ايامه تبسط دول النصارى ايديهم الى الحجاز لاول مرة في الدهر ولا تكتب هذه السنة العظيمة في تاريخنا بعدها سبق من مواقفنا الكريمة امام هذه الملة (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً) ولذلك ودرأ بالحسنة السيئة واقتداءاً بالسلف ومن يرضى بالكفر بعد الايمان وارباً ببعض ابناء الوطن والاخوان في الدين عن ان يصيروا جزراً للسيوف التي عرفوا موقعها من اعدائهم الانكليز والفرنسيين عندما حشدوا على (جناق قلعة) وجاموا اشد قوة واثاراً في الارض (ورد الله الذين كفروا بغيضهم لم ينالوا خيراً) . ولا شك عندنا في كون الله يحمي هذه البقاع التي فيها حرمه والروضة التي فيها خير من دفنت في القاع اعظمها . ويوقفكم في هذا الجهاد المقدس الى الضرب بالسهم الذي لكم فيه الحظوظ الوافرة والوجوه السافرة وحسنات الدنيا والآخرة ، وواجهدوا حتى تكون (كلمة الله هي العليا) ويكون لكم نظم حاشيتي الدنيا والدين ، وبيو البغاء المتلاعبون بحرم الله المقدس وحرماته بالذل المهين ، والاجانب الذين قد استصرؤهم بالخسران المبين ، وحتى تدخلوا المسجد الحرام قريباً ان شاء الله آمنين محقفين رؤوسكم ومقصرين . فلا يغركم بغي اهل البغي وفساد اهل الفساد ، ولا يهولكم لكم تمددهم وتقلبهم في البلاد فان العاقبة للمتقين (ان الذين يحدون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لاغلينانا ورسلي ان الله قوي عزيز) . والله يكتبكم في خيرة جنده ، ويؤيدكم تعالى بنصر من عنده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

ملحق رقم [٧]
في ضوء العلاقات العثمانية الحجازية
صور من الحياة الاجتماعية الرسمية في الحجاز أيام موسم الحج

أولاً- صورة تمهيدية:

نص حجة استلام الكسوة الشريفة ووصفها :

محكمة مصر الكبرى الشرعية في يوم الثلاثاء خمس عشر ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وألف ، الموافق ثاني فبراير سنة أربعين وتسعمائة وألف آذن فضيلة ثالثي الذي مصر حالا لحضررة العلامة الشيخ محمد ناجي أحد اعضاء المحكمة المذكورة لسماع ما يأتي ذكره فيه ولكتابه وهو الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى أفندي الكاتب كلاما بالمحكمة المذكورة بكتابة ما يلي ذكره فيه ، ولدى حضررة العضو الموصى اليه بحضور الكاتبين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبي عبد الله الحسين رضي الله تعالى عنه ، الكائن بمصر المحروسة ما يقرب من خان الخليلي والجامع الازهر بقسم الجمالية في الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم .
أشهد على نفسه الحاج محمد احمد المحاملي الساكن بالدربر الاصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم احمد مصطفى بن مصطفى ، الاشهاد الشرعي وهو بأكمل الاوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضررة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك بن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمة وأربعة رتوكه " أي دوائر مركبة على حملين من الثمانية احمال التي ذكرها فيه .

مزركرة ثمانية أحزمة والأربعة رتوكه المذكورات بالمخيش الابيض والاسفه المطلبي بالبنديكي الاحمر على الحرير الاسود والاطلس والحرير الاخضر المبطن باليفون الابيض والنوار القطن المركبات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال المذكورة كل منها تسعه اثواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعا بالذراع البلدي ، طول كل

ذراع منها سبعة وخمسون سنتيمتر وكسور من الساندي ، واثنان من الثمانية احمال المذكورة كل منها ثمانية اثواب من الاثواب المذكورة ، والاربعة احمال باقى الثمانية احمال المذكورة اثنان منها سبعة اثواب ونصف من الاثواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منها ستة اثواب ونصف من الاثواب المذكورة، وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلبي بالبندق الاحمر على الحرير الاسود والاطلس الحرير الاخضر والاحمر المبطنة بالبفت الابيض والنوار القطن الاطلس الحرير الاخضر ، بها خمسة شراريب حرير اسود وقصب وكثير ومخيش وستة اذررة (كذا) فضة مطلية بالبندق الاحمر ، واثني عشر شرابية صغيرة حرير احمر وقصب وكثير والتي عشر شمسية مزركشة على الحرير الاحمر ، وكسوة مقام مولانا سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم، المبطنة بالبفت الابيض المزركشة بالمخيش والاصفر المطلبي بالبندق الاحمر على الحرير الاخضر ، وعشرة شراريب صغيرة حرير احمر وقصب وخمسة اذررة فضة مطلية بالبندق الاحمر بها سجق قطن مشبك بقطن قطن واذررة شراريب من قطن هندي احمر واصفر وبها ترتر احمر وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزركش بالمخيش الاصفر المطلبي بالبندق الاحمر ، على الاطلس الحرير الاخضرية ترتر ملون وكثير اصفر مبطن بالاطلس الحرير الاخضر ، ترتر ملون وكثير اصفر مبطن بالحرير الاخضر به شرابيان قصب وكثير وقطن قصب ، وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبية داخل بيت الله الحرام المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلبي بالبندق الاحمر على الحرير الاسود والاطلس الاخضر والاحمر المبطنة بالبفت الابيض والنوار القطن والاطلس الحرير الاخضر بها ترتر ، وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلبي بالبندق الاحمر على الحرير الاسود والاخضر والاحمر ، بها خمسة اذررة فضية مطلية بالبندق الاحمر وعشرون شمسيات مزركشة بالمخيش الابيض والاصفر على الاطلس الحرير الاحمر ، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطنة بالبفت الابيض والاطلس الحرير الاخضر وستارة باب منبر الحرم الشريف المكي المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلبي بالبندق الاحمر

على الحرير الاسود والاخضر المبطنه بالبفت الابيض والنوار القطن والاطلس الحرير
الاخضر وثلاثة مجاديل " حبال قطن " احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله
الحرام ، واحدى واربعين عصفورة (حبل قطن مجدول) احتياج الحلق ، وغالبيتين من
النحاس مغطاتين مملوكتين بماه الورد الباش احتياج خسيل بيت الله الحرام حسب المعتمد
ثم يمضى هذا الصك الشرعي او حجة الاسلام في اجراء التسليم والاستلام وشهود الحال
واسماء القضاة الى آخره ...

ثانيا - الاحتفال بالكسوة الشريفة عند سفرها الى الحجاز :

ثم تنقل الكسوة الشريفة والمحمل من مقرهما بوزارة المالية الى ميدان صلاح الدين
بالقلعة ، للاحتفال الكبير الذي يجري عادة هناك ويحضره سمو الخديوي والوزارة
والاعيان والعلماء للاحتفال الكبير الذي يجري عادة هناك ويحضره سمو الخديوي
والوزراء والاعيان والعلماء ، وتطلق المدفعية للخديوي ساعة حضوره احدى وعشرين
طلقة ، وتصدق الموسيقى بالسلام لسموه ثلاثة والحضور يهتفون لسموه بقولهم (اندمر
جوق باشا) أي يعيش أندينا طويلاً والخديوي وجميع الحفل راقعي ايديهم بالتحية على
جيابهم . ثم يتقدم قائد جمل المحمل وهو مدير مصنع الكسوة الى سمو الخديوي ويسلمه
المقود فيقبله ويعطيه لقاضي القضاة فيقبله ايضاً مع بعض الحضور ثم ، يعطي اخيراً
للمأمور الذي ينتظر المحمل امام الجامع المعروف بال محمودية . ثم ينتقل الركب الى
مسجد الحسين رضي الله عنه ليتسلم المحمل والكسوة الشريفة امير الحج وأمين الصرة .
ثم يسير الركب جميعه الى محطة السكة الحديد بالعباسية لينقل الى السويس ومنها الى
جدة بالباخرة .

ويقول اللواء ابراهيم رفت لما وصلت الباخرة مرفاً جدة لم يحضر الحاكم ولا احد
من قبله لتهنئة الامير بالوصول حسب العادات المتتبعة ، ولاسيما أن الباخرة بها امير الحج
وقسم عسكري يتبع احترامه ومساعدته في نقل امتعته وارشاده الى المعسكر الذي ينزل
به ، انما حضر طبيب المحجر الصحي للكشف على راكبي الباخرة واصحاب السفن
الشرعانية " السنابيك " لينقلوا المسافرين وأمتعتهم الى البر حيث ان الباخرة ترسو

بعيداً عن الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعاب بالمرفأ. ثم اتنا عد رسو الباحرة اطلقنا سبعة مدافع ایذانا بالوصول، ولم ترد علينا الباحرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدفع كما هو المعتاد، فكررنا التحية باطلاق احدى وعشرين مدفعاً ، وعزفت الموسيقى بسلام جلاله السلطان وأعقبته بالدعاء له ثالثاً ، ثم بسلام الخديوي والدعاء له كذلك . وبعد تلکو ردت التحية باطلاق المدفع من قلعة جهة وقد قضت قوانين الدولة العلية في جهة بأن يرخص من كل حاج ثمانية قروش رسم المحجر الصحي وقرشان رسم اجازة السفر الى مكة.

وبعد الانتهاء من دفع الرسوم ونقل الحجاج والامتعة والمحمل والكسوة الشريفة احتفل بالمحمل احتفالاً رسميَا من قبل جنود الدولة العثمانية واصطف الجند على الجنانين وهم حوالي ٦٠٠ جندي (٤٠٠ نظامي و ٢٠٠ غير نظامي) ثم مر المحمل بجميع شوارع جهة كالمعتاد وكانت الفرحة بادية على وجوه الأهالي والموسيقى تصدح بالأغاني الشجيبة.

ثالثاً- ميناء جهة وحجم النشاط المعماري والاقتصادي فيه:

هو ميناء مكة المكرمة ويقع على الشاطئ الشرقي للبحر الاحمر يحيط بها سور ذو خمسة اضلاع ، وارتفاعه اربعة امتار وبه تسعة ابواب وبها حوالي ٣٣٠٠ منزللا مبنية بالحجر الابيض المستخرج من البحر. ويتكون المنزل من طبقتين الى خمسة طوابق والواجهات الامامية بها الروشن^(١) (اكتشاك خشبية مسقوفة خارجة عن المبني) والبيوت الكبيرة العالية لسكنى علية القوم وتقابل الدول الاجنبية والمحافظ ، وبجدة مقام للحكومة وللكلات للعسكر ومكتب للبرقيات وبناء فخم للمجلس البلدي والحجر الصحي.

وبالساحل بناء الجمرك بها خمسة جوامع وثلاثون مسجداً مفروشاً بالحضر الناعمة الجميلة النظيفة ، بها فندقان وأربعون مقهى وصيدلية ومكتب تعليم راق وواسعة كتائيب للصبيان ومستشفى ومصنع للجير ومذبح زارعون مخزنًا تجارياً ، وتسعمائة محل وآلية تجارية لطحن الحبوب واسعة وأربعون طاحونة ومثلها مخابز وعشرون مطابخ

^(١) مظلة تركية .

وسوق لبيع السمك وأخر للصدق ومكاتب للبريد وبه جبانة قرية من ثكنات العسكر، وفي وسط الجبانة قبر امنا حواء وشوارعها مختلفة من ٨ امتار الى ١٥ امتار او حاراتها ضيقة وغير منتظمة وبها مجار لتصرف مياه المطر، وبها ٨٠٠ صهريج لخزن مياه المطر وبها مجلس بلدي ومجلس للاحكم وقاضي شرعى وسكنها خليط من اجناس شتى مكين ويعيشون وحضر مميين وهنود وآتراك وشواوم ومصريين وتعدادهم حوالي ٢٥٠ ألف نسمة^(١).

رابعاً- السفر الى مكة المكرمة:

وبعد ذلك يتجه ركب المحمل والحجاج ميمماً مكة المكرمة بعد أن تحفه فرقة من الجند العثماني برئاسة القائم مقام، ثم يحط رحاله في قرية بين جدة ومكة المكرمة في قرية تسمى بحرة والطريق واد رملي.

ثم يصل الركب الى اول مكة المكرمة ، ويقف بمكان يبعد حوالي ميل عن الحرم الشريف أمام المضيفة " المسافر خانه " التي بناها السلطان عبد الحميد الثاني للفقراء ، ويكون بانتظار الركب المطوفون يقدمون الهدايا للحجاج والفاكهه وماء زمزم المبارك ، وكذلك يكون في الانتظار مندوب عن الوالي وآخر عن الشريف ، ثم ينطلقون الى بئر طوى للاغتسال والوضوء والتهيؤ لدخول الحرم الشريف لأداء نسك الطواف ، ثم السعي . ثم يقوم امير الحج وامين الصرة بزيارة الوالي والشريف ثم يقوم دولة الشريف عن الرفيق برد الزيارة في مقر معسكر المحمل وكذلك دولة الوالي احمد راتب باشا . ثم يشترك امير الحج وامين الصرة في الاحتفال بغسل الكعبة المشرفة مع دولة الوالي وعظاماء الحجاج والدفتر دار والقومدان للجند المكي . ثم يدخلون الكعبة للصلوة بداخلها على الاربع الاتجاهات ، وتنفتح الكعبة من قبل السيد محمد صالح الشيبى امين المفتاح لمن يريد من الحجاج للدخول مقابل ريال (برم) وقيمتها عشرة قروش مصرية . وتنفتح رسمياً في ١٠ محرم لدخول الرجال وفي ١١ محرم لدخول النساء ، وفي ١٢ ربيع الاول للدعاء للسلطان .

^(١) ابراهيم رفعت باشا ، مصدر سابق ج ١ ص ٢٣ .

وتحرم الكعبة قبل الصعود الى عرفات برفع الكسوة من اسفلها الى اعلا ووضع ازار ابيض في اسفلها .

خامساً - الصعود الى عرفات :

يتحرك الركب من معسكره في اليوم السابع من شهر ذي الحجة بعد ان يثبت قاضي مكة اول شهر ذي الحجة ميماناً عربات ماراً بحارة الباب فالشيشكة فالسوق الصغير فجیاد ، وفيها دار الحكومة العثمانية المسماة (بالحمیدية) نسبة الى السلطان عبد الحميد الثاني الذي بناها والتکية المصرية ، ثم يتجه الى المسعى ثم الشاشية فسوق الليل فالغزة . وبها دار الشريف التي شيدتها محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية . ويقف الركب هناك برهة تعزف فيها الموسيقى ويهتف الجميع بادجا هز جوق بشـا (يعيش السلطان طربلا) .

ثم يمر الركب بمنى ومزدلفة الى ان يصل الى عرفة ويقطع الركب عادة هذه المسافة من المعسكر الى عرفة في حوالي ٦ ساعات . ثم يقيم الركب خيامه بعرفة ويتهيأ للعبادة . وميدان عرفات فسيح مساحته نحو مليون مربعين تقريباً وبه جبل الرحمة الذي يقف عنده عادة المجاج للداعاء مستقبلين القبلة وله درج تصل الى اعلاه . ويحيط بودادي عرفة من جهة الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة الذي يصل الى مكة المكرمة ، ويبيق الحجيج بعرفة الى زوال الشمس ودخول الليل من اليوم التاسع من شهر ذي الحجة . ثم ينطلق مليئاً الى المزدلفة للمبيت بها ولقط الحجرات ليرموا بها جمرة العقبة وهي بأول منى من جهة مكة المكرمة ثم يفيضوا الى مكة لطواف الافاءة والعودة ثانية الى منى .

سادساً - الاحتفال بتلاؤه فرمان السلطان العثماني :

يكون الاحتفال عادة بسرداق الشريف ، وعليه فقد اجتمع الحجيج في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة بسرداق الشريف عون الرفيق لتلاؤه الفرمان السلطاني والدعاء للشريف . وكان في ذلك الحفل اميري المحملين المصري والشامي وامين الصرة والضباط وكبار رجال الدولة العثمانية والحجاج . ويصطف امام المحمل كل من حرس

الوالى والشريف بموسيقى المحمل ، ويقدم الحرس على جواد حامل الفرمان السلطانى ، واخرون يحملون خلعاً معتاد حضورها من الاستانة سنوياً.

وكان للشريف عون الرقيق مكان خاص بالسرادق وعلى يمينه جلس في اليوم الحادى عشر من شهر ذى الحجة ١٣٢٠ هـ - ٧ مارس ١٩٠٣ ميلادية ابن عم شاه العجم وصهره والشريف على باشا نائب الشريف والشريف محمد ناصر غالب باشا ثم بقية الاشراف ثم قاضى مكة المكرمة ثم العلماء والاعيان ثم ضباط المحمل المصري . وعلى يسار الشريف عون جلس العشير احمد راتب باشا والى الجزار ثم سلطان الشحر والمكلا ثم نجله ثم حفيده ثم امير وامين وموظفو المحمل الشامي ثم امير وامين وموظفو المحمل المصري ثم موظفو مكة المكرمة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق خرج عليهم الشريف في زينته من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الاشراف ، فقام الجميع وقبلوا يده من وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسلطان الشحر والمكلا حينما انحنى لتقبيل يديه ، ثم تقدم الى الامام وتسلم المكتوب السلطانى " الفرمان " من يد حامله وقبله ، وكان في داخل كيس من الاطلس الجميل موضوع في بقحة من الحرير الاطلسي الاخضر موشأه بالقصب المنسوج ذي الرسم البديعة ، ثم رجع الى مكانه وجلس على اريكة وسط السرادق ووضع الفرمان على يمينه ثم ما لبث ان وقف « والحضور وامر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد علي الفندي . وقد كان الفرمان مكتوباً باللغتين التركية والعربية فقراء الكاتب أولاً باللغة التركية ثم باللغة العربية .

التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكي ، وهتف العساكر والجموع بالله الخليفة الاعظم . ثم تقدم امين الصرة الشامي وسلم الشريف خلعة والبسه ايها فوق الخلعة التي كان يلبسها وهي الخلعة التي اديت له في العام المنصرم وهذه عادة سنوية . ثم تقدمت له خلعة اخرى من قبل السلطان عبد الحميد فلبسها ايضاً ، وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الاسود ومطرقة بالقصب ، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها ثم وزعut خلع اخرى على باقى الموظفين وقارئ الفرمان .

ولتقل الخلع الجديدة كان يرفع الخلعتين الجديدين شخصاً تخفيقاً عن الشريف ، ثم ادبرت كؤوس المرطبات على الحاضرين والموسيقى الشاهانية والمصرية يتذارسان الالحان ، ثم قبل الجميع يد الشريف وانصرفوا .

ويتضمن الفرمان الثناء على الخليفة والشريف ونصح الشريف بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها ، وفيه كثير من الآيات القرانية والاحاديث النبوية التي تأخذ بمجامع القلوب ولكنها مواعظ لم تصافح الاذن الصاغية والقلوب الوعائية ، فيقول اللواء ابراهيم رفت " انك تسمع عقب تلاوة ذلك الفرمان دوى الرصاص يرمي به العربان حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول سببهم " .

ثم تنتهي أيام التشريق بمعنى ويعود الحجاج إلى مكة ينتظر إلى ان ياذن الشريف لهم بالسفر إلى المدينة ، وهيهات ان يأمر بذلك الا بعد ان ينفق كل واحد من الحجاج ما يملكه ثم يتحكم في طرق المواصلات هو والعربان الى ان يصل الحجاج المدينة المنورة ثم الى يواخرهم للعودة إلى بلادهم.

سابعا - نص حجة استلام الصرة^(١) :

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية في يوم الاربعاء ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ - الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٠٣ أفرنكية أذن فضيلتو مولانا أفندي قاضي مصر حالاً حضرة العلامة الشيخ أحمد الغرابلي احد اعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتي ذكره والشيخ أمين يوسف ومحمد أفندي مصطفى من كتاب المحكمة المذكورة بكتابته ولدى حضرة العضو الموصى اليه ، وبحضور الكاتبين الموصى اليهما بالمجلس المنعقد في الساعة ١٢ أفرنكى صباحاً من اليوم المذكور بسراي نظارة المالية المصرية اشهد على نفسه سعادة ابراهيم باشا رفت أمير الحج الشريف المصري وحضره مهدي بيك احمد أمين الصرة الشرفية وحافظ أفندي نجمي صراف الصرة المذكورة وحسن أفندي خليفة كاتب اول الصرة المرقومة أنهم قبضوا واستلموا ووصل اليهم من عهدة سعادة احمد مظلوم باشا ناظر المالية حالاً مبلغ الصرة الشرفية ، الارسالية المعتمد ارسالها لاما

^(١) رمعت باشا ، المصدر السابق ص ٨-٧ .

الحرمين الشريفين ومرتبتات العريان والاشراف ومصارف دائرة المحمل الشريف المصري ذهاباً وإليها طلعة سنة تاريخة وقدر ذلك بمبلغ ٦٠٤ مليمات و ١٥٧٥٣ جنيه ، وبيان مفردات ذلك : ١٥٥١٤ جنيه انجليزي و ٣٢ جنيه مجيدي و ٤٨,٥ بنتو و ٢٥٤٨,٥ ريالاً مصررياً و ٥١٨١ قرشاً و ٤٤٧ مليمماً قبضاً واستلاماً ووصولاً شرعيات حسب اقرارهم بذلك بالمجلس المذكور ، بحضور كل من محمود لقندي كاتب بادارة الخزينة العمومية بنظارة المالية وعلى لقندي علوى الیوز باشی ، حرب بنظارة المالية وذلك بنقد وعد وفرز وزن الصرف المذكور .

الكاتبان	نائب حضرة مولانا القاضي
حضره الشيخ أمين يوسف	العلامة الشيخ أحمد الغرابلي
ومحمد لقندي مصطفى	

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً - خبر ما نبدأ به مصادرنا القرآن الكريم.

ثانياً - الوثائق العلمانية غير المنشورة :

أ- ملفات الأرشيف العثماني باستثنابول :

١- وثيقة برقم (٣٩٤١) ، رقم الظرف (٧٤) ، رقم الكارتون (١٤) ،
وثيقة غير مورخة .

٢- وثيقة برقم (٣٩٤٢) ، رقم الظرف (٨٨) ، رقم الكارتون (١٢) ،
وثيقة غير مورخة .

٣- وثيقة برقم (٣٩٤٣) ، رقم الظرف (٧٤) ، رقم الكارتون (١٤) ،
الوثيقة بتاريخ (١٣١٧) هـ .

٤- وثيقة برقم (٣٩٧٥) ، رقم الظرف (٥١) ، رقم الكارتون (٧٨) ،
الوثيقة بتاريخ (١٨٩٨) ربيع الاول (١٣٩٨) هـ الموافق ٥ شباط
(فبراير) ١٨٩٦ م .

٥- وثيقة برقم حـ (٤٧١) ، رقم البحث (٤٠١٠) ، الوثيقة غير
مورخة .

ثالثاً - المخطوطات العربية غير المنشورة :

١- محمد السنوسي ، الرحلة الحجازية ، جـ ١ ، مخطوطة محفوظ في
دار صدام للمخطوطات ، بغداد ، برقم (٤٠١٤١) .

٢- مؤلف مجهول ، خمسائين اليمن ، مخطوطة محفوظ في دار
صدام للمخطوطات ، بغداد ، برقم (٢٤٦) .

رابعاً - المذكرات :

- ١- الحسين ، عبدالله بن ، مذكري ، (مكتبة برهومية ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٩) .
- ٢- الحسين ، الملك عبد الله بن ، الآثار الكاملة ، (الدار المتحدة للنشر ، بيروت ١٩٧٣) .
- ٣- السفاح ، جمال باشا ، مذكريات جمال باشا السفاح ، ترجمة على احمد شكري ، (دار البصري ، بغداد ١٩٦٣) .
- ٤- العسكري ، تحسين ، مذكري عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية (مطبعة العهد ، بغداد ، ١٩٣٦) .
- ٥- العسكري ، جعفر ، مذكريات جعفر العسكري ، تحقيق وتقديم نجدة فتحي صفو ، (دار السلام ، لندن ، ١٩٨٨) .
- ٦- الغصين ، فائز ، مذكري عن الثورة العربية (مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٥٦) .
- ٧- فيضي ، سليمان ، في خمرة النضال ، مذكريات سليمان فيضي ، بغداد ، ١٩٥٢.
- ٨- قدرى ، أحمد ، مذكري عن الثورة العربية (مطابع ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٥٦) .

خامساً - الكتب العربية والترجمة :

- ١- أحد أعضاء الجمعيات العربية السورية ، ثورة العرب ضد الاتراك ، مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها ، حقيقة وقدم له الدكتور محمد شبارو (دار مصباح الفكر ، بيروت ١٩٨٧) .
- ٢- ارسلان ، شبيب ، الارتسامات اللطائف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، وقف على تصميمها وعلق على بعض

- حوالىها السيد محمد رشيد رضا (مطبعة المنار، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ) .
- ٣ ————— تعليقات على كتاب حاضر العالم الاسلامي ، لثروب ستوارد ، ترجمة عجاج نويهض (دار الفكر ، بيروت ، ط ٨ ، ١٩٧٣) .
- ٤ ————— سير ذاتيه ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٥ الازقى ، محمد بن عبد الله ، تاريخ مكة ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- ٦ الاسد ، ناصر الدين ، الثورة العربية الكبرى والادب في : دراسات الثورة العربية الكبرى (الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧) .
- ٧ الاعظمي ، احمد عزت ، القضية العربية ، أسبابها ، مقدماتها ، تطورها ونتائجها (مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٣٤) .
- ٨ الماوتين ، عبد الحميد ظل الله في الارض ، ترجمة راسم رشدى (دار النيل للطباعة ، القاهرة ، د . ت) .
- ٩ انطونيوس ، جورج ، يقطنة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٠) .
- ١٠ الياس ، محمد وحراز ، رجب ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧) .
- ١١ الياس ، محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤ (المكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت) .
- ١٢ باشا ، ابراهيم رفت ، مرآة للحرمين او الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ / ١٩٢٥ م) .

- ١٣ - البتونى ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية (المطبعة الجمالية بمصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣١٩هـ / ١٩١١م) .
- ١٤ - البركاتي ، شريف عبد المحسن ، الرحلة اليمانية (المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ٢، ١٩٦٤م) .
- ١٥ - برو ، توفيق على ، العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨-١٩١٤ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧.
- ١٦ - بوند رافسكي ، الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى يومنا ، ترجمة الياس شاهين (مسكو ، دار التقى ١٩٨٥).
- ١٧ - البيطار ، الشيخ عبد الرزاق ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر حقه وعلق عليه حفيده محمد بهجت البيطار (مطبوعات المجتمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٦٣) .
- ١٨ - بيهم ، محمد جميل ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٥٠) .
- ١٩ - —————— سوريا ولبنان ١٩٢٢-١٩١٨ (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨) .
- ٢٠ - تايلر ، الصراع على السيادة في أوروبا ١٨٤٨-١٩١٨ ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز ، الموصل ، ١٩٨٠.
- ٢١ - تشايبلز ، ارسكين ، فیصل الاول ملك العراق ، ترجمة عمر ابو النصر ، (المكتبة الاهلية ، بيروت ، ١٩٣٤) .
- ٢٢ - ثابت ، كريم ، فیصل (المكتبة العصرية ، بغداد ، ١٩٣٣) .
- ٢٣ - جارشلي ، اسماعيل حتى اوزون ، امراء مكة في العهد العثماني ، ترجمة عن التركية الدكتور خليل علي مراد ،

- (منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦).
- ٢٤- جريدة الأيام ، الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، (مطبعة الأيام ، دمشق ، د . ت) .
- ٢٥- الجميل ، سيار ، العثمانيون وتكوين العرب الحديث ، من أجل بحث رئيسي معاصر ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، (١٩٨٩).
- ٢٦- حراز ، رجب ، الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ، ١٨٤٠ - ١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٢٧- الحكيم ، يوسف ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- ٢٨- حمادة ، محمد عابدين وظبيان ، محمد تيسير ، فيصل بن الحسين من المهد إلى اللحد ، (دمشق ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٣) .
- ٢٩- حمزة ، فؤاد ، قلب الجزيرة العربية ، مكة المكرمة ، ١٩٣٣ .
- ٣٠- الخترش ، فتوح عبد المحسن ، العلاقات السعودية - اليمنية ١٩٢٦ - ١٩٣٤ (منشورات السلسل ، الكويت ، ١٩٨٣) .
- ٣١- الخولي ، حسن صبرى ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين (دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٣٢) .
- ٣٢- داغر ، أسعد ، ثورة العرب (مطبعة معظم ، مصر ، ١٩١٦) .
- ٣٣- دروزة ، محمد عزّة ، نشأة الحركة القومية الحديثة (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧١) .

- ٣٤- الدسوقي ، محمد كامل ، السياسة الدولية وفلسطين (دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦) .
- ٣٥- دنجلون ، ريشارد ، تونس في البلاد العربية ، ترجمة محمود عزت موسى (د.م ، د.ت) .
- ٣٦- الدورى ، عبد العزيز ، التكوين التارىخي للأمة العربية : دراسة في الهوية والوعى ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤) .
- ٣٧- دى خورى ، جالدى ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتى ، دار المتنبى للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- ٣٨- الرافعى ، عبد الرحمن ، عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٣٠ .
- ٣٩- الراوى ، أمير السواء الركن المتقاعد ابراهيم ، من الثورة العربية الكسرى إلى العراق الحديث ، (مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٦٩) .
- ٤٠- رفيع ، محمد محمد ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري في : المنتقى في أخبار أم القرى ، تحقيق وتعليق وتعليق محمد عبد الله مليبارى ، (مطابع الصفا ، مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥) .
- ٤١- رمضان ، محمد رفعت ، علي بك الكبير ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠) .
- ٤٢- الريحاني ، أمين ، فيصل الأول (مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٤) .
- ٤٣- ————— ملوك العرب ، بيروت ، ١٩٢٩) ؟

- ٤٤- الريماوي ، سهيله ، جمعية العربية الفتاه السرية ، دراسة وثائقية ١٩٠٩ - ١٩١٨ ، (دار مجدهاوي للنشر والاعلان ، عمان ، الاردن ، ١٩٨٨) .
- ٤٥- زايد ، محمود ، احداث الثورة العربية الكبرى من اعلانها الى دخول فيصل دمشق ، دراسات في الثورة العربية الكبرى (منشورات الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧) .
- ٤٦- الزبيدي ، محمد حسين ، ملخص باشنا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٩) .
- ٤٧- الزركلي ، خير الدين ، ما رأيت وما سمعت (المطبعة العربية مصر ، ١٩٢٣) .
- ٤٨- زكي ، عبد الرحمن ، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير القاهرة ، ١٩٥٠ .
- ٤٩- زين ، نوري الدين زين ، أسباب الثورة العربية الكبرى (الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٦٥) .
- ٥٠- _____ ، الصراع الدولي على الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان (دار النهار ، بيروت ، ١٩٧١) .
- ٥١- _____ نشوء القومية العربية ، (دار النهار ، بيروت ١٩٦٨) .
- ٥٢- العساعي ، احمد ، تاريخ مكه ، (مطبع دار قريش مكه ، ١٣٨٥) .
- ٥٣- المسوداني ، صادق حسن ، العلاقات العراقية - السعودية (١٩٢١ - ١٩٣١ ، دراسة في العلاقات السياسية (دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٥) .

- ٥٤- سعيد أمين ، أسرار الثورة العربية الكبرى ومساءة الشريف حسين (دار الكاتب العربي ، بيروت ، د.ت) .
- ٥٥- ————— ، تاريخ الدولة السعودية ، (دار الكاتب العربي بيروت ، د.ت) .
- ٥٦- ————— ثورات العرب في القرن العشرين (دار الهلال القاهرة ، د.ت) .
- ٥٧- ————— الثورة العربية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٤ .
- ٥٨- شبيكة ، مكي العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١) .
- ٥٩- الشريقي ، ابراهيم ، الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها (الدراسات العربية ، مؤسسة العرب ، لندن ، ١٩٨٤) .
- ٦٠- شكر ، ابراهيم صالح ، قلم وزير ، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسوريا والعراق ، عرض خالد محسن اسماعيل (مطبعة المعرف ، بغداد ، ١٩٧٠) .
- ٦١- الشناوي ، عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، (مكتبة الأنجلوس المصرية ، القاهرة ، ط٢٥، ١٩٨٦) .
- ٦٢- الشهابي ، الأمير مصطفى ، محاضرات في الاستعمار (« الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٧) .
- ٦٣- صالح ، انيس ، الهاشميون والقضية الفلسطينية ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦) .
- ٦٤- ————— ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦) .
- ٦٥- صبيح ، محمد ، بطل لا نساء - عزيز على المصري وعصره (المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ١٩٧١) .

- ٦٦ — فيصل الاول (دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت.).
- ٦٧ الصواف ، فائق بكر ، العلاقات بين الدولة العثمانية والقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٢٩٣ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٧٦ - ١٩١٦ م) مكة المكرمة ، ١٩٧٨ .
- ٦٨ طربين ، احمد ، الوحدة العربية ١٩١٦ - ١٩٥٨ ، دمشق ، ١٩٦٦ .
- ٦٩ طلاس ، مصطفى ، الثورة العربية الكبرى (دار طلاس ، ط ٢ ١٩٨٧).
- ٧٠ طلس ، محمد أسعد ، تاريخ الأمة العربية ، عصر الاتجاهات (دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٣) .
- ٧١ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المملوكي في مصر والشام القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٧٢ عبد الغني ، عارف ، تاريخ امراء مكة المكرمة من ٨ هـ - ١٢٤٤ هـ ، (مكتبة الانجلوس المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٦) .
- ٧٣ عبد الكرييم ، أحمد عزت ، دراسات في تاريخ العرب الحديث بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٧٤ عشماوي ، محمد عبد الباقى ، الوطن العربي بين وحدين عثماني وعربي ، (مطبعة تهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨) .
- ٧٥ عطيه ، ادوار ، العرب ، ترجمة محمد قنديل البقلبي (الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١) .
- ٧٦ العقاد ، محمد احمد بن عيسى ، المخلاف السليماني او الجنوب العربي في التاريخ (القاهرة ، ١٩٦١) .

- ٧٧ - العمري ، محمد طاهر ، مقدرات العراق السياسية ، (المطبعة
العصيرية ، بغداد ، ١٩٢٥).
- ٧٨ - العوينات ، منيره عبد الله ، علاقات نجد بالقوى
المحيط _____هـ ١٣١٩-١٩٠٢/١٣٣٢-١٩١٤ م (ذات العسلان ،
الكويت ، ١٩٩٠).
- ٧٩ - غربال ، محمد شفيق ، عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٨٠ - فارس ، نبيه أمين وحسن ، محمد توفيق ، هذا العالم العربي ،
(دار العلم للملائين ، بيروت ، ١٩٥٣) .
- ٨١ - فرحات ، عبد الكريم ، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب ،
القاهرة ، (مكتبة دار النقاء ، عمان ، ١٩٩٠) .
- ٨٢ - _____ المياسنة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى
١٩٢٠-١٩١٦ ، (دار المراتب الجامعية ، بيروت ، ط ٢ ،
(١٩٨٧).
- ٨٣ - فرنو ، ف. و ، يقظة العالم الإسلامي ، ترجمة صبيح شعبان ،
(دار الحكمة ، بيروت ، ١٩٥٦).
- ٨٤ - فؤاد ، علي ، كيف غزونا مصر ، ترجمة نجيب الارمنازي ،
(دار الكتاب الجديد ، القاهرة ، ١٩٦٢).
- ٨٥ - فيضي ، سليمان ، التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية ()
المطبعة المحمودية ، البصرة ، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣).
- ٨٦ - قاسمية ، خيرية ، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ -
١٩٢٠ ، (دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧١).
- ٨٧ - القاعجي ، قدرى ، جيل القيادة ، قصة الثورة العربية الكبرى
ونهضة العرب ، (دار الكتاب العربي ، عمان الأردن ،
(١٩٦٧).

- ٨٨- كوثاني ، وجيه ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠ ، (مهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٧٦).
- ٨٩- لوتسكي ، فلاديمير بوريد فيتش ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة الدكتور عفيف البستاني (دار التقدم ، موسكو - بيروت ١٩٨٠).
- ٩٠- لورنس ، ت. آ. ، أعمدة الحكمة السابعة ، (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣).
- ٩١- مالكون ، جبران ، جلالة الملك عبد الله المعظم واستقلال المملكة الأردنية الهاشمية (مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٤٨).
- ٩٢- المحامي ، محمود كامل ، الدولة العربية الكبرى ، (دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦).
- ٩٣- محمد علي ، أورخان ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحدث عصره ، بغداد ، ١٩٨٧.
- ٩٤- محمد ، علاء جاسم ، الملك فيصل الأول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٨٣-١٩٣٣ (مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٩٠).
- ٩٥- المختار ، صلاح الدين ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، (منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت).
- ٩٦- مدير شعبة فيلق قوات المرتبة الأولى في العجاز ، الثورة العربية على الدولة العثمانية ، تعریب محی الدین میدانی ، بيروت ، ١٩٣٣.
- ٩٧- مصطفى ، حامد ، الجهاد في الإسلام ، ماضيه وحاضرها ، (مكتبة المثلث ، بغداد ، ١٩٤٨).

- ٩٨- مصطفى ، عبد المنعم ، لورنس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠).
- ٩٩- منسي ، محمود صالح ، حركة البقظة العربية في الشرق الآسيوي (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥).
- ١٠٠- موريس ، جيمس ، الملوك الهاشميون ، (منشورات المكتب العالمي للترجمة والنشر بيروت ، د. ت).
- ١٠١- موسى ، سليمان ، الثورة العربية الكبرى ، الحرب في الحجاز ١٩١٨-١٩١٦ ، عمان ، ١٩٨٩.
- ١٠٢- _____ ، الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسناد (دار الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٦).
- ١٠٣- _____ ، الحسين بن علي والثورة العربية ، عمان ، لجنة تاريخ الأردن ، ط٢ ، ١٩٩٢.
- ١٠٤- _____ ، الحركة العربية ، سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، بيروت ، دار التوار ، ١٩٧٧.
- ١٠٥- _____ ، غربيون في بلاد العرب ، (منشورات دار الثقافة والفنون ، المطبعة الوطنية ، عمان ، ١٩٦٩).
- ١٠٦- _____ ، لورنس والعرب وجهة نظر عربية (عمان ، ١٩٦٢).
- ١٠٧- _____ ، المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨ ، (عمان ، الأردن ، ١٩٧٧).
- ١٠٨- ناصيف ، حسين محمد ، ماضي الحجاز وحاضرها (مطبعة خضر ، مصر ، ١٣٤٩).
- ١٠٩- نديم ، العقيد الركن شكري محمود ، حرب فلسطين ، (شركة النبراس للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط٤، ١٩٧٤).

- ١١٠- نايلتي ، فيليب وسمبسون، كولن، المختفي من حياة لورنس العرب ترجمة إيلي لاندرو ابراهيم العابد ، (الموسعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧١).
- ١١١- النجار ، ابراهيم سليم ، الملك فيصل الأول (بغداد ، د . ت).
- ١١٢- نجيب ، أحمد وقاسم ، أحمد ، التاريح الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٦٤.
- ١١٣- النعيمي ، احمد نوري ، اثر الاقليه اليهودية فى سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- ١١٤- السوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (مطبعة الشعب ، بغداد ، د . ت).
- ١١٥- وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١).
- ١١٦- وهيم ، محمد طالب ، مملكة العجاز (١٩١٦ - ١٩٢٥) ، دراسة فى الاوضاع السياسية ، البصرة ، ١٩٨٢ .
- ١١٧- يحيى ، جلال ، الثورة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- ١١٨- يعقوب ، هارولد . ف ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة احمد المعنواхи ، مركز دراسات البحوث اليمني - صنعاء ، (دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٨).

سالسا - الرسائل الجامعية :

- ١- حسن ، سعد كاظم ، الملك فيصل الاول ودوره فى الثورة العربية ، رسالة ماجستير ، مقدم الى معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- عيد ، جبار يحيى ، التاريح السياسي لامارة حائل ١٨٣٢ - ١٩٢١ رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .

- ٣- العلمي ، احمد حسين ، حركة الاستقلال العربي ، دراسات تاريخية في مفهوم الاستقلال في فكر الاحزاب والجمعيات العربية ١٩٠٨ - ١٩١٩ ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشترافية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- ٤- محمد ، علاء جاسم ، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق ١٩٢٠ - ١٩٣٦ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ .

سابعاً - الدوريات العربية :

- ١- الزيلعي ، أحمد بن عمر ، نظام المشاركة في الحكم لدى اشراف مكة ٩٢٣-٦٤٧ هـ / ١٤٩-١٥١٧ م ، مجلة المدار .
- ٢- السعدون ، خالد حمود ، مقاومة القبائل لسلكة حديد الحجاز اسبابها ، تطورها ، خلال عامي ١٣٢٦ هـ - ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٨ م - ١٩٠٩ م ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الرابعة عشرة ، آب ١٩٨٨ .
- ٣- شريف ، طه ، الاحداث العربية في تاريخها الحديث ، سلسلة اخترنا لك ، العدد (٥١) ، القاهرة ، د.ت .
- ٤- الملك عبد الله ، مجلة الهلال ، القاهرة ، نيسان ١٩٣٩ .
- ٥- منسى ، محمود صالح ، موقف أهل الشام من التبعية للحجاز ابان الحرب العالمية الاولى ، مجلة الشرق الاوسط ، جامعة عين شمس ، العدد الثاني ١٩٧٥ .
- ٦- النجار ، مصطفى عبد القادر ، فكرة الثورة العربية لعام ١٩١٦ واستقلال العرب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٣٨٣ ، السنة الثامنة ، العدد ٨١ ، تشرين الثاني ١٩٨٥ .

ثامنا - الموسوعات العربية :

- موسوعة المعارف الاسلامية ، الطبعة العربية .

تاسعا - الصحف العربية :

ن	اسم الصحيفة	مكان الصدور	العدد	تاريخ الصدور
-1	الاستقلال	بغداد	١٢٢٤	٥ كانون الثاني ١٩٢٧
-2	كذا	كذا	١٢٢٥	٥ كانون الثاني ١٩٢٧
-3	-	-	١٩٦٧	١٣ آيلول ١٩٣٣
-4	العالم العربي	-	٤٣٧	٢٥ آب ١٩٢٥
-5	القبلة	الحجاز	١	١٣٣٤ شوال ١٥
-6	كذا	كذا	٢	١٣٣٤ شوال ١٨
-٧	-	-	٩	١٤ ذي القعدة ١٣٣٤
-٨	-	-	١١	٢١ ذي القعدة ١٣٣٤
-٩	-	-	١٣	٢٥ ذي القعدة ١٣٣٤
-١٠	-	-	١٧	١٦ ذي الحجة ١٣٣٤
-١١	-	-	٢٠	٢٦ ذي الحجة ١٣٣٤
-١٢	-	-	٢٢	٣ محرم ١٣٣٥
-١٣	-	-	٢٣	٦ محرم ١٣٣٥
-١٤	-	-	٢٧	٢٠ محرم ١٣٣٥
-١٥	-	-	٣١	٤ صفر ١٣٣٥
-١٦	-	-	٣٩	٣ ربيع الاول ١٣٣٥
-١٧	-	-	١٣٠	٤ صفر ١٣٣٦
-١٨	-	-	١٨٨	٢ رمضان ١٣٣٦
-١٩	-	-	٣٠٠	١٣ شوال ١٣٣٧

عاشرا - الكتب الاجنبية :

1. Baker , Randall , King Husain and the Kingdom of Hejaz, the oleander press, 1979.
2. Bermond (ed) , Le Hedaz dans La Guerre mondial payot, paris, 1931 .
- 3- Dawn , G. Ernest , From Ottomanism to Arabsim , London, 1973 .
4. Philby, H. st. J. Arabia, London , 1930.
5. Hawort , D.,the Desert King, London , 1964.
6. Hogarth , David George , Hejaz before world War (Falcon, oleander , 1978).
7. Lewis,Bernard,The Emergence of Modern Turkey Royal Institute, International Affairs, U.k,U.S.A, 1968.
8. George Liold, The Truth about the peace treaties Vol 2, London , 1938.
9. Richard , Sohofidd and Gerald Blake , Arabian Boundoniss : Primary Documents 1853 - 1957.Vo 12 (Avehive Editions) England , 1988.
10. Still,George , A Prince of Arabia. London , 1948.

احد عشر - الدوريات الاجنبية :

1. Abir . M, the Arab Rebellion of Amir Ghalib of Mecca (1788-1813) , Middle Eastern Studies, Vo1.7.No.2.May,1971.
2. Abu-Manneh , Butrus, Sultan Abdulhmaid and The Sharifs of Mecca 1850-1900 , Asian and African Studies, Vo1, 9, No. 1. , 1973.



المطابع العسكرية